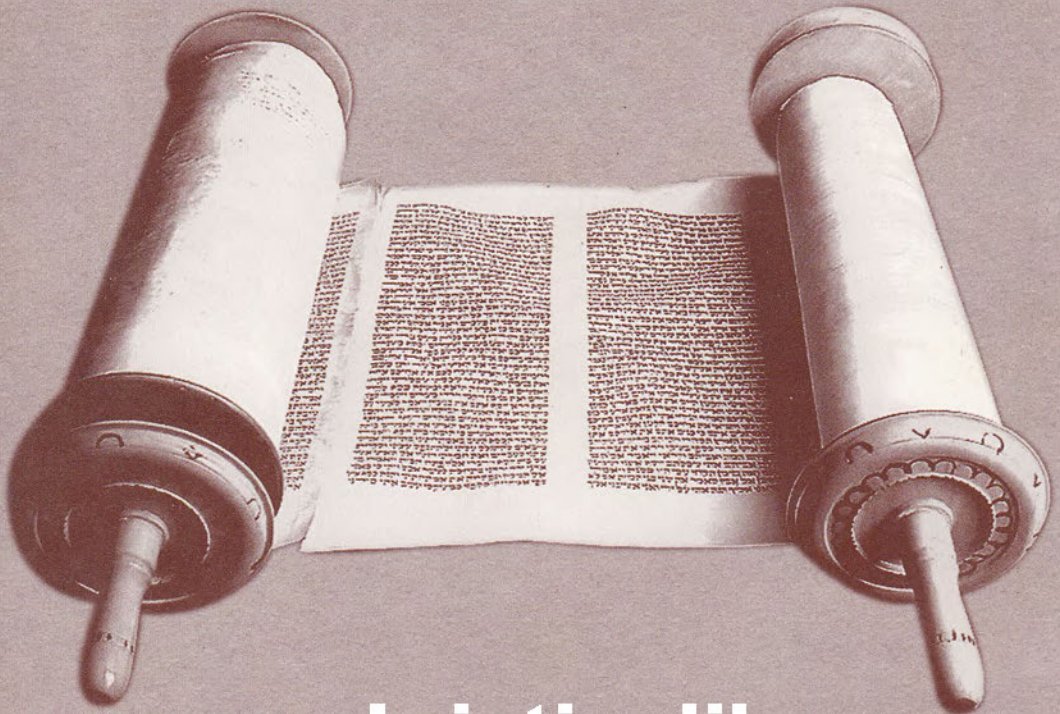


الكتاب المقدس بين التاريخ والآثار

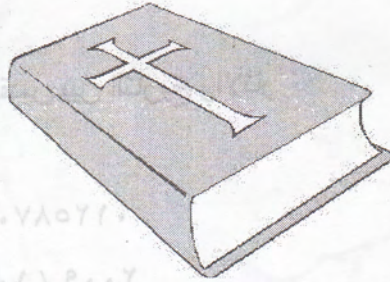


www.christianlib.com

تقديم
أرشيدياكون د. ميخائيل مكسي
مدرس بمعهد الدراسات القبطية

إعداد
قليبي نجيب
دبلوم الدراسات القبطية

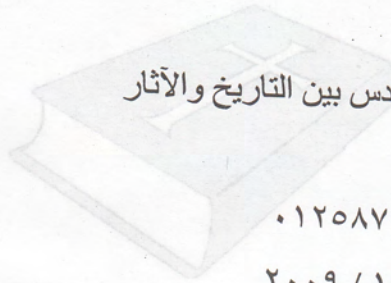
الكتاب المقدس بين التاريخ والآثار



ارشيدياكون د. ميخائيل مكسى
مدرس بمعهد الدراسات القبطية

قليني نجيب
دبلوم الدراسات القبطية

رسقما بالتقا نبي التقا زيل لتا



اسم الكتاب : الكتاب المقدس بين التاريخ والآثار

المؤلف : قليني نجيب

ت : ٠١٢٥٨٧٠٣٤٦

رقم الايداع : ٢٠٠٩ / ١٠١٣١

الطبعة : الثانية مزيدة ومنقحة

ت : ٢٤٩٥٠٦٩٠

المطبعة : سان مارك للطباعة

سبيما رنية

رسقما زيل لتا

فيلسقا تاسا زيل

فيلسقا تاسا زيل



تقديم الأرشيدياكون

د. ميخائيل مكسى

هذا الكتاب هو بحث تاريخي واثري هام، يفيد دارسي الكتاب المقدس، إذ يكشف عن صدق أحداثه ويؤكد صحته، ويفيد بمعلومات كثيرة لكل الباحثين والدارسين للوحي المقدس. ونطلب من الرب ان يجعله نافعا لكل من يقرأه، بصلوات قداسة البابا شنودة الثالث، أمين.

ارشيدياكون د. ميخائيل مكسى اسكندر

الجيزة في 31 - 1 - 2008

(عيد نياحة القديس انطونيوس)

مقدمة الكتاب

يشتمل الكتاب المقدس على عدد من الأسفار دونها اناس الله القديسون بوحى منه في ازمنة وامكان مختلفة، على مدى نحو خمسة عشر قرنا من الزمان. وتتنوع اسفاره ما بين التاريخي، والشعري، والروائي، والتعليمي. وينقسم الكتاب الى قسمين: الأول منهما يحتوي على اسفار العهد القديم، والثاني يشمل اسفار العهد الجديد. ويعد ميلاد السيد المسيح محور العهدين، والحد الزمني الفاصل بينهما ان كان هناك مجال للفصل. واسفار العهد القديم تبدأ باسفار الشريعة الخمسة، وهي تحدثنا عن بداية الخليقة، وسقوط آدم، والطوفان، ثم تجديد العهد مع نوح وابراهيم واسحق واختياره ليعقوب ونسله. ثم تطلعنا الأسفار التاريخية على اخبار العبرانيين من عهد يشوع ابن نون وحتى خراب مملكة الشمال على يد الآشوريين، ومملكة الجنوب على يد البابليين. ويحدثنا سفرا عزرا ونحميا عن عودة المسبيين اثناء العهد الفارسي. كما يحدثنا سفرا المكابيين الأول والثاني عن خضوعهم للأسكندر المقدوني وخلفائه من السليوقيين. واما الأسفار الشعرية، فهي عبارة عن صلوات وابتهالات وحكم وأمثال من شأنها ان تسمو بالنفس البشرية وتقربها من الحضرة الإلهية. واسفار الأنبياء تحتوى على نبؤات وانذارات منها ما يخص أمما وأفراد، ومنها ما يتعلق بالسيد المسيح منذ البشارة بتجسده وحتى قيامة الأموات وتمجده.

والقسم الثاني يتضمن اسفار العهد الجديد، والتي تبدأ بأخبار البشيرين عن السيد المسيح الذي هو محور البشائر وباقي الأسفار ايضا. ثم يليها سفر اعمال الرسل الذي دونه القديس لوقا مؤرخ الكنيسة الأول. ثم مجموعة من الرسائل الرعوية التي بعث بها القديسون بولس وبطرس ويوحنا ويعقوب ويهوذا الى المؤمنين في الكنائس المختلفة. ويختتم العهد الجديد برويا القديس يوحنا الحبيب والتي يقدم لنا الوحي المقدس من خلالها اطلالة على الحياة السمائية التي تلهب قلب المؤمن بالشوق اليها حيث النعيم الأبدي للأبرار، والعذاب الدائم للأشرار.

وقد قمنا بنعمة الله بتناول الجانب التاريخي في الكتاب المقدس، ومطابقة احداثه بروايات اساطين التاريخ، وبما قدمه لنا علماء الآثار من كشف توافق محتوياتها ما جاء فيه من احداث تاريخية. ولعل الوقوف على تلك الوقائع والأحداث يعد من الأهمية بمكان عند تفسير بعض النبؤات، مما لا يعطي مجالا لتفسيرات عشوائية بعيدة عن الحقيقة والواقع التاريخي جملة وتفصيلا. لذلك ينبغي على دارسي الكتاب المقدس ومفسريه ان يقفوا على تاريخ الملوك والشعوب والأمم الذين اشارت اليهم اصابع الأنبياء. وهو ما اردنا تقديمه في هذا العمل المتواضع عسى ان ييسر على القارئ والدارس معا فهم الأسفار التاريخية في الكتاب المقدس الثمين وتفسير آيه الكريم.

التكوين والأجيال الأولى

التكوين وبدء الخليقة

أفتتح الوحي الإلهي سفر التكوين بالإفصاح عن علة الوجود وموجبه بقوله "في البدء خلق الله السماوات والأرض. وكانت الأرض خربة وخالية وعلى وجه الغمر ظلمة " (تك1:1). ثم عرض تباعا لمراحل التكوين التي عَبر عنها بالأيام الستة⁽¹⁾، مبتدءاً بالنور الكوني الذي وصفه العلماء بالقديم. ثم عمل الله سماء الجلد (الغلاف الجوي). وأمر المياه أن تجتمع في مكان واحد فنشأت البحار والمحيطات. وظهرت اليابسة التي سوف تستقبل علي متنها آدم وذريته.

ويفسر العلماء ذلك بأن بعض الماء ضغط رأسيا على اليابسة وعمق المحيطات والبحار. كما أدى ضغط الماء الى تباعد الشيطان عن بعضها نتيجة للضغط الأفقي للمياه. والبعض الآخر تبخر وسكن بالقدرة العلوية في جلد السماء. وتلك هي مياه الطوفان التي ابقاها الله الى ذلك اليوم المحتوم.

وقال الله " لتنبت الأرض عشباً، وبقلاً يبزره بذرا كجنسه، وشجراً ذا ثمر" (تك1:11). الأمر الذي فسرهُ العلماء بأن الأرض كانت كتلة ملتتهبة انفصلت عن سديم، وبدأت تبرد رويدا رويدا، ومن ثم سمحت برودة قشرتها لنمو العشب أولا لان جذوره ليست عميقة. ثم البقل، وأخيرا الشجر لان جذوره أكثر عمقا. ثم خلق الله الشمس، والقمر، والنجوم.

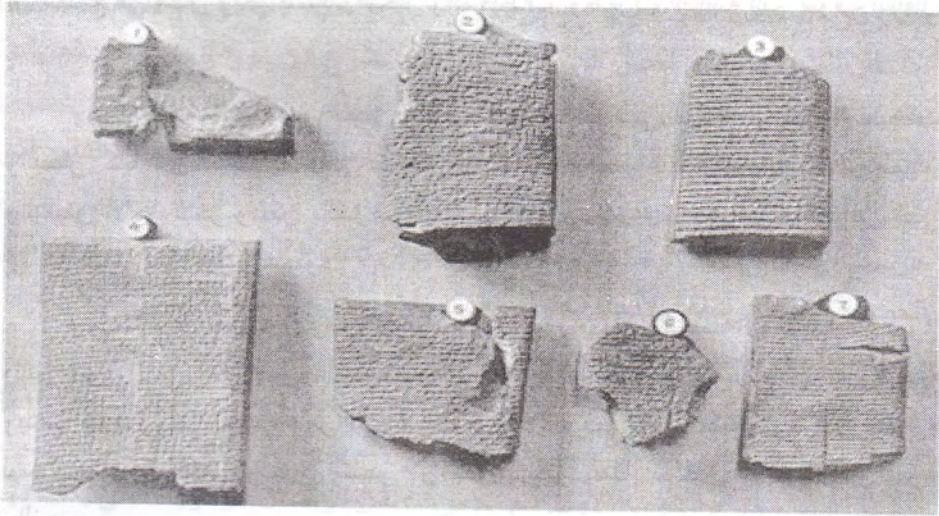
وبعد ان هيا الرب المناخ الملائم للكائنات الحية أوجد الحيوانات الزاحفات، والطيور، والثنائيين، والأسماك. وقد عثر العلماء علي هياكل عظمية لديناصورات تسبق ظهور الانسان، وهو ما يوافق ترتيب الوحي لظهور الكائنات. وقد وردت قصة الخليقة في آثار أمم الشرق القديم، فقد عثر لايرد في أطلال مدينة نينوي علي ألواح⁽²⁾ تقول أحداها:

(1) يراد بالأيام الستة حقبة زمنية وليست أيام معدودات. وقد ذكرت للفصل بين المراحل المختلفة التي مرت بها الخليقة. والله قادر ان يخلق الكون بما فيه ومن فيه دفعة واحدة في زمن سابق او لاحق لما خلقه فيه. ولكن لحكمة لا نعلمها اوجد الموجودات في اوقات بعينها قد قدرها لها دون غيرها، ولا يسأل لماذا او كيف. ومثاله كذلك انه لم يظهر في دنيانا متجسدا من فور سقوط ادم وزوجه في المعصية، بل انه ارجأ امر الفداء الالف السنين.

(2) محفوظة الان بمتحف لندن، وقد تم الكشف عنها نتيجة لأعمال الحفر التي قام بها كل من لايرد و راسام وجورج سميث (1845 - 1847 ، 1849)، على الضفة الشرقية لنهر الدجلة قبالة مدينة الموصل الحالية. وهذه الألواح عثر علي بعضها في اطلال قصر الاشوريين، والبعض الاخر كان محفوظا في

" لما القطر الأعلى لم يُدع بعد سماء، والقطر الأسفل لم يتسم بعد أرضاً... والمياه اجتمعت إلي مكان واحد... لم يكن ناس بعد ولا حيوانات جالت. " (1).

" When in the height heaven was not named, - And the earth beneath did not yet bear a name, And the primeval Apsû, who begat them, And chaos, Their waters were mingled together, And no field was formed, no marsh was to be seen..... " (2)



الواح اسطورة الخلق - متحف لندن

وتصدق القصيدة القديمة في وصفها لحالة التشويش التي كانت عليها الأرض عند التكوين بما لا يختلف كثيرا عما جاء في سفر التكوين من أنها كانت خربة وخالية (تك: 1: 2). وذلك وفقا لما ورثته البشرية، الخلف عن السلف، وهو الأمر الذي يُفترض انهم تناقلوه من

مكتبة معبد الاله نيبو. كما اسفرت اعمال الحفر عن تحديد موقع المدينة القديمة والتي تبلغ مساحتها نحو سبعة اميال ونصف الميل.

(1) الاسقف ايسيدوروس - المطالب النظرية في المواضيع الالهية ص 474، & ل. دي لاورت - بلاد ما بين النهرين ص 166 - ترجمة محرم كمال، & ول ديورانت - قصة الحضارة المجلد الاول ص 217 و 218.

(2) THE SEVEN TABLETS OF CREATION - LEONARD WILLIAM KING - LONDON 1902 & BRITISH MUSEUM - THE BABYLONIAN LEGENDS OF THE CREATION - TABLET I .

نوح وابنائيه. وهم بدورهم نقلوه عن اسلافهم من قبل الطوفان. وأولئك اخذوا القصة عن آدم الذي أخبر بنيه بروح الوحي عن خليفه الله. ولكن بمرور الوقت وبانحراف البشر عن طريق الحق، شوّهت الحقائق وتسلت اليها ضلالات كثيرة. ومن خلال حالة الضلال التي قادهم الشيطان اليها، فقد وصلتنا القصة البابلية مشوشة ومزدحمة بالخرافات، بينما في سفر التكوين جاءت خالية من ذلك ومعبرة عن قدرة الله وعظمته في خليقته ومرضية لضمير الانسان وملائمة لعقله.

وتتحدث الاسطورة البابلية عن خلق السماء والارض: " في البدء كان الماء العذب، والماء العكر (الحماة) مختلطين معاً في المحيط الأزلي. ثم قام مردوك (معبود البابليين الشهير) بتنظيم هذا التشويش، عندما فصل بين الإثنين، مما أوجد قطراً أعلى وقطراً أسفل. والقطر الأعلى كون السماء، والقطر الأسفل شمل الأرض والبحار والجبل المقدس. وفي أسفل الأرض تكون الجحيم. والبحر هو الحد الفاصل... وعلى هذه الأرض خلق مردوك البشر لخدمة الآلهة..."⁽¹⁾.

وعلى الرغم من اتفاقها في الشكل العام الا انها لا تخلوا من الخرافات فهي تنسب ذلك الى مردوك احد ارباب البابليين، وتتحدث عن جحيم مادي يوجد في اسفل الأرض، وتصف حالة التشويش بالمحيط الأزلي. وكل هذه الاعتقادات تخالف العقل والنقل معا.

وعند قدماء المصريين كان الاعتقاد السائد ايضا في مسألة الخلق انه قبل كل شئ كان المحيط الأزلي، ومنه خرج اتوم من تلقاء ذاته، ثم قام هو بعمل كل شئ بعد ذلك. يقول اتوم رب الارباب عندهم: " كنت بمفردي في المحيط الأزلي، جامدا وبدون حراك ولم اجد مكانا اقيم فيه ... فالكثيرون هم من خلقوا وانبثقوا من فمي في الوقت الذي لم يكن هناك وجود للسماء ولا وجود للأرض. ولم تكن التربة الصلبة قد خلقت بعد، ولا الثعابين القائمة في المكان، فخلقت البعض منها في المحيط الأولي في حالة جمود حينما كنت لا اجد مكانا اقيم فيه..."⁽²⁾.

ومن ذلك نرى ان الفكر المصري القديم - والملئ بالخرافات - كان يفترض وجود المادة الاولى. انهم لم يعتقدوا في العدم بل كانوا يرون ان الكائنات بل وحتى الالهة خرجت جميعا من هذه المادة الأولى التي اسموها المحيط الأزلي او الأولي. وهو ذات الاعتقاد الذي كان سائدا عند البابليين وهو ما يشير الى انه خرج من اصل واحد وهو ان الأرض كانت

(1) Jacques Vicari. La tour de Babel.

(2) ديمتري ميكس و كريستين فافار ميكس - الحياة اليومية للالهة الفرعونية، ص 29، 31 - ترجمة فاطمة عبد الله محمود - القاهرة 2000.

مغمورة بالمياه كما قال الوحي " وعلى وجه الغمر ظلمة... وروح الله يرف على وجه المياه " وقطعا كان امر الخليفة - وغيره - معروفا من قبل كتابة التوراة. وقد تناقله البشر شفاهيا بالتسليم، جيل من بعد جيل حتى انتهى به الامر الى ان يصبح محض اساطير، فجاء الوحي الكتابي ليصحح ليس السلوك فقط بل والاعتقاد ايضا.

وفي الفكر اليوناني القديم اعتقد اصحاب المذهب الاورفي ايضا في حالة التشويش التي سبقت ظهور الكائنات فهم يقولون " في البدء كان الخواء والليل اللذان انتجا بيضة خرج منها اروس (الحب) المجنح "(1)

ووسط هذه الاساطير تظهر رواية الوحي عن الخلق واضحة ونقية من الخرافات والالوهام التي تملأ الاساطير، مشيرة الى المصدر الاوحد للخلق وهو الله تعالت قدرته. " في البدء خلق الله السموات والارض " ثم يخبرنا الوحي بمراحل التكوين التي جاءت ملائمة لعقل الانسان على مر العصور وموافقة لمعطيات العلم الحديث.

التكوين والعلم

منذ منتصف القرن الثامن عشر بدأت تظهر نظريات علمية حول الكون ونشأته. وكان أولها نظرية الألماني ايمانويل كانت (1755م). وهي تعد أول نظرية ذات طابع علمي. ثم تلتها نظرية لابلاش (1796م). وقد رأى كانت أن المجموعة الشمسية نشأت عن تصادم مجموعة هائلة من الأجسام الصلبة التي كانت تسبح في الكون⁽¹⁾ فانبعثت عن تصادمها حرارة. هذه الحرارة حولت الأجسام الصلبة المعتمدة إلى أجسام غازية متوهجة تألفت منها السدم. كما نتج عن تصادمها قوة جعلتها تدور حول نفسها بسرعة كبيرة. ثم بدأت أجزاء من جسم أحد السدم تتكاثف وينشأ عنها قوة طاردة. أدت هذه القوة إلى انفصال كتل من هذا السديم الواحدة تلو الأخرى فكونت الكواكب التي نعرفها. ولم يبق من السديم غير نواته التي تكونت منها الشمس.

أما لأبلاش فينحصر رأيه في افتراض وجود الجسم الغازي الهائل مسبقا. وان حركته البطيئة جعلته يبرد رويدا رويدا، ومن ثم بدأ حجمه يقل، وبالتالي ازدادت سرعة دورانه حول محوره. ثم إنبعجت منطقته الاستوائية وانفصلت عنه مكونة أحد الكواكب. وبتكرار الأمر نشأت الكواكب الأخرى. وأخذت هذه الكواكب تدور حول ما تبقى من السديم، وهو قرص الشمس. وقبل ان تبرد هذه الكواكب، حدث لها ما حدث للسديم وانفصلت عنها الأقمار بنفس الطريقة.

ويتضح لنا من خلال هاتين النظريتين ومن غيرهما⁽²⁾ أن الذين نادوا بها إنما جميعهم يسلمون بوجود المادة الاولى التي نشأت عنها الكواكب والنجوم. سواء كانت هذه المادة صلبة او غازية. والسؤال الآن من الذي اوجد هذه المادة الاولى؟! انها قطعا من صنع الله. فلا يمكن ان توجد هذه المادة بمحض الصدفة كما تراءى للبعض. بل وتراءى لهم ايضا ان الصدفة هي التي خلقت للمادة هذا النظام الأجرومي. ولكن أتى للصدفة ان

(1) يرى العالم جيمس جينز ان محيط الكون يتراوح ما بين 8.. الى 5.. مليون سنة ضوئية، ويرى العالم ادوين هابل ان نصف قطر الكون يبلغ 35 بليون سنة ضوئية، علما بان السنة الضوئية هي المسافة التي يقطعها الضوء في سنة كاملة وهي تساوي 5,869,713,600,000 ميلا.

(2) تقول نظرية تشمبرلن ومولتون بأن الشمس انفجرت عندما اقترب منها نجم هائل نتيجة لقوة جذب هذا النجم للشمس. ومن ثم انفصلت عنها عدة اجزاء هي التي كونت الكواكب المعروفة. ويرى اخرون مثل jeqns و jeffreys ان الكواكب انفصلت بغير انفجار بل بمجرد تمدد حصل للشمس في شكل عمود هائل من الغاز، عندما اقترب اليها هذا النجم الهائل. وان هذا اللسان الغازي تجزأ فنشأت عنه الكواكب التي تحولت بالتدريج الى الحالة الصلبة. وقال Hoyle أنه منذ بلايين من السنين انفجرت في الكون كتلة ضخمة من المادة فتناثرت اجزاؤها فتكونت منها النجوم والمجموعات الشمسية والنيازك.

تبدع هذا النظام الدقيق الذي تسير به مجموعتنا الشمسية وغيرها من الكواكب والنجوم؟! اذا جاز ذلك لجاز ايضا ان نسلم بأن أكثر من مليوني حجر إقُطعت بمحض الصدفة، وتجمعت بالصدفة عينها وكونت لنا هرمًا. دون ان تكون وراءه عبقرية وارادة المصري القديم. ولجاز لنا كذلك ان نسلم بأن عناصر الطبيعة تفاعلت فيما بينها وكونت لنا سيارة أو طائرة أو مركبة فضائية. فإذا كان العقل الواعي يرفض ان تكون هذه الأشياء المعقدة قد نشأت بمحض الصدفة، فكيف نتصور أن الكون باتساعه الهائل وبنظامه الفريد، والكائنات الحية المعقدة قد نشأت بتلك الصدفة التي يتمم بها الملاحظة بغير وعي!!!

ان هذه النجوم لو كانت تسير بغير ضابط لاضحى الكون مشوشا، ولأصبحت اجرامه تتخبط فيما بينها وترطم وتتناثر جزيئاتها في الكون الفسيح. لا ان يؤدي ارتطامها ببعضها - كما رأى لوكير في نظريته التي عرفت باسم نظرية النيازك - الى اجتماعها معا. والتجربة العملية ترينا ذلك فإن الشهب والنيازك عندما يقترب أحدها من الغلاف الجوي ويحتك به فمع سرعته الهائلة يتوهج ويتناثر وتجذب أرضنا شظاياه، وقد اضحت صلبة معتمة لا حرارة فيها ولا ضوء. كما ثبت للعلماء بالبرهان ان النيازك تسير بسرعة مروعة في الفضاء مما يؤدي الي استحالة خضوعها لقوانين الجاذبية فيما بينها، الأمر الذي نادى به لوكير⁽¹⁾ تفسيرا لنشأة الأجرام.

ويرى العلماء ان هناك ما يعرف بقوة الجذب والطرْد بين الشمس والكواكب التي تسير حولها. هذه القوة تتناسب على حسب كتلة كل كوكب والمسافة بينه وبين الشمس. وأن هناك قوة أخرى طاردة تنشأ عن دوران الكواكب حول الشمس. وأن وجود هاتين القوتين يتحدد وموقع كل كوكب بالنسبة لها. وبالتالي لو زادت قوة الطرد في جرم ما لابتعد عن الشمس. ولو قلت لأقرب منها. ولو انعدمت لألتصق بها. وقطعا فان الله هو الذي يحفظ هاتين القوتين. أليس هو الخالق وحده؟! كما يقول الوحي "ارفعوا الى العلاء عيونكم وانظروا من خلق هذه؟ من الذي يُخرج بعدد جُنْدَها، يدعو كلها بأسماء. لكثرة القوة وكونه شديد القدرة لا يُفقد أحد" (ش40: 26).

(1) يرى لوكير ان الشمس نشأت عن مجموعة هائلة من النيازك التي تصادمت واحتكت ببعضها فزادت حرارتها وصارت شمسا وان كل شمس بعدما يتوقف التصادم والاحتكاك تبرد تدريجيا وتتحول الى كوكب. وان ذلك كما يرى العالم نفسه يحدث بمحض الصدفة.

ادم و السقوط

بعدهما أعد الله كل ما يحتاج إليه الانسان خلقه، ودعاه آدم، مودعا إياه في جنة عدن⁽¹⁾. وعن تحديد موقع الجنة اختلف الباحثون والمفسرون. فقال ديلتشك أستاذ اللغة الآشورية في تقرير نشره سنة 1881 ان مكان الجنة هو في المنطقة الواقعة إلى الشمال من بابل بين نهري دجلة والفرات. واعتقد البعض انها ارمينيا حيث ينبع الدجلة والفرات. ويعتقد اخرون انها القسم الجنوبي من العراق حيث الأرض الخصبة. ومن الفرات كانت تتفرع انهار صغيرة تصب في دجلة. ومنها نهري فيشون وجيحون" وكان نهر يخرج من عدن ليسقى الجنة. ومن هناك ينقسم فيصير أربعة رؤوس اسم الواحد فيشون.. واسم النهر الثاني جيحون وهو المحيط بجميع ارض كوش⁽²⁾. واسم النهر الثالث حداقل(الدجلة) وهو الجاري شرقي اشور. والنهر الرابع الفرات " (تك2: 11-14).

وجاء في سجلات تغلت فلاسر- تصديقا على ما جاء في سفر التكوين - أن أرض كاندونياش تسقيها أربعة انهار. وتصف القصة⁽³⁾ السومارية الفردوس باعتباره مكان يسوده البر والنقاء، ولا يدخله المرض، كما لا يدنوا الموت منه. وفيه ايضا "الحمل لا يطلق صراخاً... الأسد لا يقتل والذئب لا يفتك بالحمل.. لا يُسمعُ الأنين.." ⁽⁴⁾.

ثم خلق الله حواء لتكون عوناً لادم في الخير. ولكنها أعانته علي مخالفة وصية الله والإذعان للحية (الشيطان) بالأكل من ثمر الشجرة التي حرم الله الأكل منها كنوع من الاختبار. فلم يجني ابوانا من شجرة المعصية سوى ثمرة الموت والطرد من الجنة "فاخرجه الرب الاله من جنة عدن ليعمل الارض التي أخذ منها." (تك 3: 23).

وقد جاء في آثار الفينيقيين ان "هوانكتي الروح القديم هو الذي خلق الانسان (الرجل) أولاً ثم المرأة" وجاء ايضا ان "ميتهو يبس التراب الأصفر، وكون منه الانسان". و " أن كاننا اعلي خلق الانسان الأول وكان لباسه محزماً بأوراق الشجر".

(1) عدن اسم عبري يعني بهجة حيث غرس الله الجنة - قاموس الكتاب المقدس ص 613.
(2) يعتقد ان ارض كوش هي عيلام التي كانت تعرف قديماً باسم كاشو - قاموس الكتاب المقدس ص 613. وهي غير كوش الافريقية والتي تنتسب لها مملكة الكوشيين التي حكمت مصر في الاسرة الخامسة والعشرين (2) اخبار 12: 3).
(3) عرفت باسم انكي ونيهورساج Enki et Ninhursag وهي محفوظة الآن بمتحف جامعة فلادلفيا.
(4) Samuel Noah Karmar - L'histoire commence à summer p. 170

وقد عثر في بابل القديمة علي عمود نقشت عليه صورة تمثل شجرة واثنين جالسين علي جانبيها. وكل منهما يمد يده إليها، يريد ان يقطف من ثمرها. وخلف أحدهما صورة تنين⁽¹⁾ وهو ما يشير الى قصة سقوط آدم.

وجاء في آثار البلاد الواقعة بين فارس والهند ما نصه: "... كانت السماء معدة له (للإنسان) بحيث ان يكون متواضع القلب... وألا يلجأ إلي الديوا (إبليس)... فخادعها منذ البداية... وتستمر نفساهما في الجحيم إلي انبعاث الأجسام... وقدم لهما (الديوا) ثمانية ثمارا فأكلها... وظهر لهما بعد (ذلك) خروف... فأضرما نارا وشويا الخروف وأكلا اللحم واكتسبا بالجلود".

وتتحدث ملحمة جلجامش⁽²⁾ السومرية عن رغبة إنكي ENKI (يقابل آدم) في التعرف علي نباتات الفردوس؛ فسأل إيزمود ISIMUD: "ما هو هذا النبات؟" فأجاب: "إنها شجرة وقطعها من أجل إنكي وقدمها له فأكلمها". وبنفس الطريقة التهم إنكي ثمانى شجرات، ولذلك غضب عليه الإله (نينهورساج NINHURSAG) ولعنه وحكم عليه بالموت. فخرج إنكي من حضرة الآلهة واختفى... وعندئذ لعن نينهورساج إسم إنكي... سيظل كذلك حتى يأتيه الموت، لن أراعيه بعين الحياة. وعندئذ بدأت صحة إنكي في التدهور، واعتلت منه ثمانية أعضاء، وبدأت قواه تخور. ولكن الآلهة شفت أعضاء الثمانية المعتلة..

وتتفق اسطورة السقوط هذه في مضمونها - وإن اختلفت في شكلها الاسطوري - مع رواية الوحي عن سقوط آدم. وهذا يعد دليلاً على أن قصة السقوط وطرده آدم من الجنة أخذت تنتقلها الأجيال، الخلف عن السلف؛ ولكن بمرور الزمن عمل فيها الخيال فوصلت إلينا باهتة، مستترة خلف الشكل الاسطوري الذي ذكرته القصيدة، والتي تتفق مع ما جاء في سفر التكوين في فيما يلي:

اولا : عصيان إنكي وأكله النباتات المحرمة منساقاً إلى غواية إيزمود يتفق مع أكل آدم من ثمار الشجرة المنهى عن الأكل منها تحت تأثير الشيطان.

ثانياً: العقاب الذي حل بإنكي، وطرده من حضرة الآلهة يتفق مع طرد آدم من حضرة الله وقد كان يخاطبه من قبل فما لأذن.

(1) الاسقف ايسيدوروس - المطالب النظرية في المواضيع الالهية ص 479.
(2) عثر على الواح الملحمة في جنوب بابل بالقرب من منطقة الوركاء الحالية، وهي اوروك القديمة، وهي ارك الواردة في تك 10: 10. والتي كانت موطننا لنمرود.

ثالثاً: تذكر الاسطورة ان إنكى تعرض للمرض والموت وهو حدث للجنس البشري. وتدخل الإله يتفق مع تدخل الله لإنقاذ آدم. واخيراً تقول القصيدة إن الذى رمم ضلع إنكى (جنبه) هى الربة نينتى NINTI وهذا يذكرنا أن حواء أخذت من ضلع آدم.

وعرف آدم حواء - بعد السقوط- فحبلت وولدت بنيماً وبنات. وكان آدم وسيطاً بين الله وبين ذريته. يرشدهم الى ما يجب عمله، وينهاهم عما لا يجوز فعله. ولذا فعندما قدم هابيل من غنمه قربانا فان الله قبل تقدمته رافضاً ما قدمه قايين أخوه من ثمار لم يأمر الرب بتقديمها. أو بالأحرى لان أعماله كانت شريرة. فامتألاً قلبه حقداً ووثب علي هابيل أخيه وقتله. ومنذ ذلك الحين والبشرية في عراك دائم والشعوب في تطاحن مستمر الأمر الذي سوف نراه جلياً ونحن نقالب معا صفحات التاريخ.

ومات آدم بعد حياة حافلة بالتعب والمشقة دامت لتسعمائة وثلاثين سنة. ويقص علينا ابن العبري رواية ليس هناك ما يدعمها من دليل سوى ذكره اياها. يقول فيها ان نوح اوحى الى سام بأن يُخرج تابوت ادم من الفلك. وان يسير به الى حيث يهديه ملاك الرب. فهذه الى جبل اورشليم حيث وضع التابوت. وأضاف ان السيد المسيح صلب فوق المكان الذي دفن فيه آدم وهو ما يعرف باسم الجلجثة (الجمجمة)⁽¹⁾. وبعد موت آدم أعرض الوحي عن ذكر أسماء بنييه وبناته إلا شِيث (عاش 912 سنة) الذي خلف أبيه في القيام بدور الوساطة بين الله والناس، وهو الذى لم يترك نفسه بلا شاهد.

والذين خلفوا شِيث هم: انوش (905 سنة) وقينان (910 سنة) ومهلليل (895 سنة) وبارد (962 سنة) وأخنوخ (365 سنة) ومتوشالح (969 سنة) ولامك (777 سنة) وأخيراً نوح (950 سنة). وتقدر المدة من آدم الى نوح بحسب الترجمة السبعينية بنحو 2242 سنة، ومن الطوفان الى ابراهيم بنحو 1077 سنة. ولكن ذكر هؤلاء الاشخاص لا يعني بالضرورة انه لا يوجد غيرهم لم يذكر فربما اكتفى الوحي بذكر الصالحين منهم. وربما كان مقدار السنة من الشهور والايام مختلفا عما نحن عليه الان. وبذلك تمتد الفترة الزمنية من ادم الى نوح، ومن نوح الى ابراهيم لا بعد مما في تقديرنا. وهو ما يتيح للبشر عندئذ ان ينتشروا على وجه البسيطة، ومن ثم يسقروا حول مصادر المياه ويؤسسوا الحضارات المعروفة لنا والمجهولة عنا.

(1) غريغوريوس الملطي المعروف بابن العبري - تاريخ مختصر الدول ص 10

الطوفان وتعمير الأرض

نوح والطوفان:

لما كثر شر الانسان ولم يتبع وصايا الله التي فاه بها علي لسان أصفياه، والتي تناقلها البشر بالتقليد، الخلف عن السلف، لهذا انذرهم علي قم نوح عبده بأنه سوف يغرق الأرض ومن عليها (تك:6:8). وبالفعل لم ينجو من الطوفان سوى نوح وبنيه الثلاثة : سام وحام ويافث، ونسائهم وبنيتهم. وبضع أزواج من الطيور والحيوانات.

وقد أشارت آثار القدماء إلى الطوفان، وهو ما يعنى ان قصته انتقلت اليهم بالتواتر. فتقول القصة البابلية : " ان الآلهة غضبت علي الناس فأرسلوا عليهم الطوفان لأبادتهم. فأشفق (إي) اله الحكمة؛ فانقذ شمش وزوجته، ان علمه كيف يبني فلكا. حط هذا الفلك علي جبل نذير. وأرسل يمامة تستطلع. ولما ندمت الآلهة علي انها أبادت البشر- فمن يقدم لها القرايين؟! - وجدت شمش هذا يقدم لها القرايين، فاشتمت الرائحة الذكية..."⁽¹⁾.

وقيل ان مياه الطوفان هي التي كانت قد جعلها الله فوق جلد السماء عند التكوين "وفصل الله بين المياه التي تحت الجلد، والمياه التي فوق الجلد" (تك:1:7). أما الفلك فقد عثر عليه المستكشفون فوق جبال آراراط⁽²⁾ التي أشار إليها في سفر التكوين (تك:8:4) قبل ثلاثة آلاف وخمسمائة عام.

وفي القرن التاسع عشر عثر الأثرى ج. سميث في مكتبة نينوي القديمة، علي لوحين يرجع تاريخهما إلى الألف الثاني قبل الميلاد، ويذكران قصة الطوفان. وقد اختلفت بعقول الناس وخرجت في ثوب أسطوري، جاء فيها: "ان مدينة شوريياك. الواقعة علي الفرات. لم تكن أهلها تكرم الآلهة. وقيل لي... اصنع مركبا. اجعل بذار الحياة من كل نوع يصعد إلي وسط المركب.

قلت: إذا صنعت الذي أمرتني بصنعه سخر مني الشباب والشيوخ !

ففتح (هيا) - فاه - وقال لي:.. ان سخرؤا منك فقل لهم من احتقرني حل عليه العقاب... فبلغ طوفان الإله السماء... فباد عن وجه الأرض كل موجود حي.. وقد حمل الفلك إلي بلاد

(1) ول ديورانت - قصة الحضارة ص 217، 218

(2) وردت في النقوش الاشورية باسم اوراطو، وهي ارمينيا حاليا على حدود تركيا وروسيا. ويبلغ ارتفاع جبل اراراط البركاني نحو 5214 مترا. وكان سكان المنطقة يتعبدون لهالدي ويعتبرون انفسهم ابناء له. فلعله جدهم الاكبر وعبوده كغيرهم من الشعوب التي عبت اجدادها.

نيزير فأوقف جبلُ نيزير الفلك فلم يتجاوزهُ... خرجت حمامة.. فذهبت الحمامة ورجعت، مقرا لها لم تجد... فأرسلتُ غرابا ففارق الغراب ولم يعد. وأخرجتُ الحيوانات وسرحتها. قدمتُ ذبيحة، وجعلتُ نارَ الذبيحة علي رأس الجبل..."⁽¹⁾.



وتوافق هذه الرواية وغيرها ما جاء برواية الوحي عن الطوفان في الشيء الكثير، وإن اختلفت في الشكل الأسطوري. (راجع تك 6، 7، 8).

كما عثر على لوحة⁽²⁾ سومرية كانت ضمن مجموعة اللوحات المعثور عليها في أطلال مدينة نيبور NIPPUR القديمة. وقد نُشرت هذه اللوحة التي قام بترجمتها أرنوبو بوبيل ARNOPO POUBEL سنة 1914. وقد جاء فيها:

"...عندئذ شيد زيوزودرا (Ziusudra) (يقابل نوح) الملك فلكا هانلا.. وبينما زيوزودرا يقف بجانب الحائط أتاه الصوت : أنت يا من تقف بجانب الحائط... سأقول لك كلمة إستمع لقولي، وأصغى إلى أوامري... إن الطوفان سوف يجتاح مراكز العبادة ليقضى على نسل البشر، هذا هو القرار، قرار جميع الآلهة. بالأمر الصادر من أنو ANU و إنليل EInlil تقوم جميع العواصف بعنف في وقت واحد. وفي نفس اللحظة يدهم الطوفان مراكز العبادة خلال سبعة (سنة) أيام وسبع ليالي... فغمر الطوفان الأرض. وطفى الفلك الهائل فوق

(1) الاسقف ايسينوروس- المطالبات النظرية ص485، 484 وكذلك

- Jean Bottero et Marie Josephe Steve -La Mesopotamie P. 46 et 47

(2) محفوظة بمتحف جامعة فلادلفيا.

المياه بواسطة العواصف، وخرج أوتو UTU الذى ينشر النور فى السماء وعلى الأرض. وفتح زيوزودرا طاقة من الفلك الكبير جداً وأدخل أوتو البطل اشاعته فى الفلك. وسجد زيوزودرا حينئذ أمام أوتو وقدم له (القربان) عجلاً وذبيح شاة...⁽¹⁾.

ولما خرج نوح من الفلك سالما هو وبنوه ابنتي مذبحا للرب، واصعد عليه المحرقات قربانا وحما (تك:8:20). وتوارثت كافة الشعوب والأجناس عادة تقديم القربان - دموية وغير دموية - شكرا وإرضاء لأربابها، علي الرغم من التباين الزماني والمكاني بينها. فكم من كباش وعجول سيقت إلى معابد الفراعنة، والكلدان، والآشوريين وغيرهم.

علي ان التشابه الكبير في شكيلات العبادة وطقوسها لدى هذه الشعوب مثل شريعة القربان والأضاحي انما يدل علي انها خرجت من اصل واحد. ولكن بمرور الزمن عملت فيها العقول والأهواء وأصبحت على ما كانت عليه من التباين والاختلاف. ومن غير المعقول ان يكون موسى النبي قد أخذ شريعة تقديم الأضاحي من كباش وغيرها جريا علي عادة الشعوب الوثنية. لكن الشيء المؤكد ان تلك الأمم كانت قد تناقلت هذه العوائد منذ عهد نوح ومن قبله آدم. فيذكر سفر التكوين ان الله صنع لأدام وزوجه أقمصه من جلد (الحيوان) (تك:3:21). أي انه علمها ذبح الحيوان كقربان للتكفير عن الإثم، والارتفاع بجلده لستر العورة. كما ان الله قبل ذبيحة هابيل الحيوانية، ولم يقبل تقدمة قابين غير الدموية (تك 3:4).

(1) Samuel Noah Kramel, L'histoire commence à Summer P. 178 et 179.

أدلة حدوث الطوفان

تاريخ الطوفان:

يُرجع الباحثون حادثة الطوفان الى الفترة ما بين الالف الخامس والرابع قبل الميلاد. وان كنا نميل الى إرجاعه الى ما قبل ذلك. بحيث تكون هناك مدة كافية لنشأة الحضارات وتطورها على النحو الذي نلاحظه ونحن نتتبع تاريخ وحضارات الأمم القديمة. فقد اشارت اعمال التنقيب الى وجود أثارها العمرانية الى ما قبل الألفية الخامسة او السادسة قبل الميلاد. وعن حادثة الطوفان قال العالم هابجوج Hapgoog ان الكرة الارضية تعرضت لكارثتين في طور تكوينهما. وعني بالحدث الثاني الطوفان الذي ارجعه الى عام 6000 قبل الميلاد.

ولكن تراءى لبعض المفسرين ان الطوفان يرجع الى عهد احدث من ذلك بكثير حاسبين أعمار الأباء الكبار من آدم حتى نوح. والحقيقة انه لا يمكن التشكيك في أقوال الوحي. ولكن بما ان الكتاب المقدس ليس مثل كتب التاريخ فهو لم يسرد من تاريخ الأباء إلا ما فيه فائدة للبشر. لهذا فليس من الضروري ان يكون من ذكرهم الوحي هم كل من تناسلوا من ادم الى نوح. بل المرجح انه اكتفى بذكر رجال الله وليس رجال التاريخ.

وقد استغرق نزول المياه وتدفقها أربعين يوماً، بينما استمرت مياه الطوفان منذ دخول نوح الى الفلك وحتى جفاف الأرض وخروجه منه حوالي 385 يوماً حسبما نفهم مما جاء في سفر التكوين (تك7: 11، تك8: 14-16). ويعتقد البعض ان الطوفان كان عالميا وشمل الكرة الأرضية ويدللون على ذلك بأدلة جيولوجية كثيرة منها وجود كائنات بحرية وبرية، قضيبة واستوائية لا تجمعها بيئة واحدة ومع ذلك فقد وجدت مجتمعة وفي اعداد كبيرة وكانت قد ماتت فجأة تحت تأثير كارثة عالمية كانت هي الطوفان⁽¹⁾. بينما يميل البعض الآخر الى انه كان محليا غطى الأرض التي عاش فيها الإنسان في ذلك العهد⁽²⁾. وان كان كلا الرأيين لا يتعارض مع ما جاء في الكتاب المقدس.

(1) الأتيا بولا، الكتاب المقدس والعلم، ج2، ص35، طنطا 2004.

(2) روبرت بويد، العلماء والكتاب المقدس ص13، ترجمة/حبيب سعيد، القاهرة 1960.

الأدلة الجيولوجية:

تمكن العلماء من العثور على حيوانات في مناطق متفرقة من أنحاء العالم في كندا والاسكا وسيبيريا. وقد ماتت فجأة وهي من انواع متباينة لا تتعايش مع بعضها ولا تجمعها بيئة واحدة، مما يدل على ان مياه الطوفان قذفت بها الى حيث وجدها الباحثون والعلماء.

وممن شاهدوا هذه التجمعات الحيوانية العالمان الشهيران الدكتور فرانك هيبون FRANK HIBBON استاذ الآثار في جامعة نيو مكسيك، والعالم MANUEL VELIKOVESKY. فقد زار الأول الاسكا ووجد بها تجمعات حيوانية من أحصنة، ونمور، واسود، ودببة وغيرها. وذكر الثاني انه وجدت في مناطق عديدة من العالم وفي جميع القارات عظام حيوانات بحرية، وقطبية، واستوائية، فوق الجبال العالية، وفي اعماق البحار. وقال ايضا بأنه توجد اشارات لا تحصى تدل على ان انقلابا هائلا قد حدث⁽¹⁾.

وتدل ظاهرة ارتفاع الشطآن والتي يُستدل عليها من خلال وجود التجاويف الصخرية التي نشأت عن النحت البحري منذ القدم، على هبوط قاع البحار والمحيطات نتيجة للضغط الهائل الذي أحدثته مياه الطوفان.

شهادة الرحالة والمؤرخين:

في العصر الوسيط كتب مؤرخ يدعى ابيفان السلاميني عن وجود مركب نوح على جبال اراراط حيث قال: اليوم ايضا يشار الى بقايا فلك نوح في بلاد الاكراد. كما ذكر آخر يدعى بيروسوس البابلي (القرن الثالث قبل الميلاد) أن الناس كانت تتسلق الجبل حتى تصل الى الفلك. وكتب فلافيوس يوسيفوس (القرن الاول للميلاد) عن وجود مدينة قريبة من جبل اراراط تسمى ناخ شيفان (NAKH CHEVAN) والاسم بالارمينية يعني مكان رسو السفينة. وقال بأن الفلك ما زال موجودا على الأرض. اما ماركو بولو الرحالة الايطالي والذي عاش في القرن الثالث عشر فقد قال بأن الفلك مستقر في احدى قمم جبل اراراط. وهو مغطى بالجليد؛ ولكنه نفى إمكانية تسلق ذلك الجبل.

(1) En de nombreux points de la terre ; sur tous les continents ; on a trouve enterrés les ossements d'animaux marins, d'animaux polaires et d'animaux tropicaux... sur les hautes montagnes et dans les mers profondes signes d'un grand bouleversement ancien.

سفينة نوح:

في شهر مايو من عام 1883 حدث زلزال عنيف في جبل أراط نتج عنه حدوث شق في الجبل حيث توجد السفينة، مما تسبب في كشف الجزء العلوي منها. الأمر الذي لاحظته مجموعة من الأتراك كانوا مكلفين بمتابعة آثار الزلزال. وقد ذكروا بأنهم رأوا جسما ضخما من الخشب الداكن اللون على شكل سفينة، بارتفاع يتراوح ما بين 12: 15 مترا تقريبا (علما بأن ارتفاع السفينة التي بناها نوح هو 30 ذراعا أي ما يعادل حوالي 15م). وكان من الصعب عليهم تقدير طولها لأن جزءا كبيرا منها كان مغروسا في الجليد. وتمكن احدى من دخول المركب ولاحظ أنها كانت مقسمة من الداخل الى ثلاثة طوابق. كل منها يرتفع لنحو خمسة أمتار. وقد وافقت هذه الملاحظة ما جاء في سفر التكوين "تجعل الفلك مساكن. وتطليه من داخل ومن خارج بالقار. وهكذا تصنعه ثلاث مئة ذراع يكون طول الفلك، وخمسين ذراعا عرضه، وثلاثين ذراعا ارتفاعه. وتصنع كوا للفلك. وتكملة الى حد ذراع من فوق. وتضع باب الفلك في جانبه. مساكن سفلية ومتوسطة وعلوية تجعله". (تك 1: 14-16).

وفي سنة 1940م نشرت مجلة كانت تصدر بولاية لوس انجلوس تدعى New Eden، قصة عثور اثنين من الطيارين الروس⁽¹⁾ على مركب فوق جبل أراط وكان ذلك في عام 1916م. قالت المجلة أنهما لاحظا وجود باب ضخم في الجانب الامامي للمركب وقدروا ارتفاعه بنحو ستة أمتار. فكان ذلك موافقا لما ورد في (تك 6: 16). ولما عدا الى مقرهما ابلاغا القائد الذي أعد بدوره تقريرا بما حدث، وارسله الى الحكومة الروسية التي لم تتوان عن ارسال مجموعتين لتسلق الجبل وسير اغوار تلك السفينة. فقام المبعوثون باجراء قياسات والتقاط صور لها. وقالوا بأن السفينة تحتوي على مئات الحجرات المتفاوتة الاحجام (تك 6: 14). وبعض الحجرات كانت تشبه الأقفاص لأنها كانت تستخدم للطيور. وقد سلمت البعثة تقريرها للقيصر. ولكن قيام الثورة البلشفية تسبب في منع هذا الكشف من الظهور.

واستمر اهتمام الروس بأمر المركب حتى الحرب العالمية الثانية فقد ارسل القائد J. Maskelin من الجيش الروسي احد الطيارين للتحليق فوق جبل أراط فجاءت ملاحظته ايجابية. لقد لاحظ وجود السفينة وهي مغروسة فيما يشبه بحيرة من الجليد.

وبعد ذلك توجهت مجموعة من الباحثين الى موقع السفينة. وقام الفريق بعمل قياسات لها أظهرت ان طولها يبلغ 133 مترا وهو ما يوافق ما جاء في (تك 6:15) (300 ذراع أي 135 مترا).

وفي عام 1949 كان عدد من الطيارين الامريكيين متواجدين عند قاعدة للطيران التركي مما اتاح للضابط reggor Schzinghakker ان يرى السفينة وهو يحلق بطائرة من نوع (ف 100) وقال ان الجزء البارز من السفينة يبلغ عرضه من 10 الى 13 مترا وطوله نحو 33 مترا. وفي الفترة ما بين عامي 1950 و 1970 قامت عدة بعثات باستكشاف جبل اراراط حيث توجد السفينة. وقد تعرض للموت عدد من مرتادي تسلق الجبال بسبب تساقط الاحجار وشدة برودة الجليد. ولكن على الرغم من ذلك تمكن شخص فرنسي يدعى Fenand Navara ان يصل الى السفينة في عام 1955. وتمكن من احضار عينة من جسم السفينة وعرضها على معامل في اوربا. وتمكن الباحثون باستخدام كربون 14 من ارجاع عمر هذه المركب الى نحو خمسة الاف عام خلت. وهو تقدير يقترب من الحقيقة. وفي يوليو من عام 1969 وبإعادة استخدام كربون 14 امكن ارجاع هذه الجزء الى ابعد من ذلك.

والسؤال الان هو، هل كانت السفينة كافية لاستيعاب كل هذه الحيوانات الى جانب ما يلزمها من الطعام؟

يقدر طول السفينة بنحو 137 مترا، وعرضها 23 مترا، وارتفاعها بنحو 14 مترا. وهي مؤلفة من ثلاثة طوابق وبها حجرات كثيرة. وتقدر مساحتها بنحو 9290 مترا مربعا او ما يقدر بنحو 2100 ذراعا مكعبا⁽¹⁾. وهذه المساحة تعادل نحو عشرين مرة مساحة ملعب كرة السلة. ويقدر الحجم الكلي للفلك بنحو 42960 مترا مكعبا (أي حوالي 15180000 قدما، وهو ما يعادل القدرة الاستيعابية لنحو 569 عربة قطار بضائع).

ويتساءل العلماء عن عدد الحيوانات التي كانت تعيش على وجه الارض وكم منها أدخله نوح الى الفلك. يقول Ernest Mayr الخبير في علم الاجناس classification انه كان يوجد اكثر من مليون نوع من الحيوانات؛ ولكن اكثرها مما يعيش في الماء⁽²⁾ وبالتالي ليست هناك ضرورة تقتضي ادخالها في السفينة.

⁽¹⁾ Deluge in light of modern science - William Denton .

(2) من هذه الأنواع على سبيل المثال حوالي 21 ألفا نوعا من الأسماك ونحو 107000 نوعا من الطحالب ، ونحو 10000 نوع من الشعاب المرجانية وغيرها. ونحو 30000 نوعا من الحيوانات الدقيقة الوحيدة الخلية unicellulaires microscopiques.

ويذهب العالمان د. موريس Moris و ويتكومب Whitcomb في مؤلفيهما the Genesis flood الى ان السفينة لم تكن لتستوعب اكثر من 35000 فردا من الحيوانات؛ ولكن يمكن زيادة هذا العدد الى 50 الفا باعتبار ان نوح كان يدخل الى السفينة صغار الحيوانات معرضا عن كبيرها. ولكن هل كان بمقدور نوح ان يجمع كل هذه الانوان من الحيوانات القطبي منها والاستوائي. الذي يعيش منها في الوادي والذي يعيش في الصحراء. الذي يهيم على وجه الارض والذي يحلق في السماء ؟ بالطبع ان حدث الطوفان هو حدث الهي، فالذي سخر المياه لتغمر البسيطة او على الاقل الجزء المعمور منها لم يكن من العسير عليه - وهو الذي لا يعسر عليه امر - ان يأمر الحيوانات لتجتمع الى حيث يعيش نوح.

ويتساءل العلماء ايضا هل كان بإمكان نوح وأبنائه الثلاثة وحدهم ان يشيدوا سفينة بهذا الحجم ؟! بالنسبة للمؤمنين بالوحي وبالمعجزات الربانية فانهم يقبلون ذلك ويصدقونه. اما بالنسبة للعلماء فان الامر عندهم مختلف. فهم يقبلون ما يوافق العقل والعلم بمعطياته. ومع ذلك فقد قام Gael Urtin وهو احد المتخصصين في بناء البيوت الخشبية بعمل دراسة حول كيفية بناء سفينة نوح واسفرت دراسته عن ان بناء سفينة بهذا الحجم (137 م طول × 32م عرض × 14م ارتفاع الى جانب الاخشاب المستخدمة في داخل السفينة لعمل الحجرات واسطح الطوابق). يتطلب نحو 51238م³ من الخشب (32م مكعب)، ويلزم للحصول على هذه الكمية من الاخشاب نحو 3740 شجرة. يتراوح ارتفاع كل منها ما بين 15 و 20 مترا.

واذا افترضنا ان نوح وبنيه أي اربعة اشخاص فقط هم الذين قاموا بهذا العمل دون الاستعانة باحد. فان قطع الشجرة الواحدة واعدادها يمكن ان يستغرق ثمانية ايام. في حدود ما كان يتوفر لديهم من ادوات بدائية. وبحساب المدة التي يستغرقها قطع واعداد الكمية المطلوبة من الاشجار لعمل السفينة فان ذلك يستغرق حوالي 82 سنة⁽¹⁾. ولذلك يصبح انشاء سفينة بهذا الحجم في هذه المدة، وفي حدود الامكانيات المتاحة انذاك، امرا معقولا لدى العلماء. تصديقا لما جاء به الوحي من ان نوحا تلقى الأمر ببناء الفلك وله من العمر خمسمائة سنة. وبعد عامين من تلقيه الامر ولد له سام حسبما نفهم مما جاء في سفر التكوين (تك 5: 32، 11: 10). وأمره الرب بدخول الفلك هو وبنيه في اليوم السابع عشر من الشهر الثاني من العام الستمائة من حياته.

(1) 8 ايام × 3740 شجرة = 29920 ÷ 365 يوم = 81,972603 ، اي ما يقرب من 82 سنة (تك 5: 32، 11: 10).

تعمير الأرض

1- ابناء نوح

سام:

"بنو سام عيلام واشور وارفكشاد⁽¹⁾ ولود وارام⁽²⁾ وبنو ارام عوص وحول وجاثر وماش. وارفكشاد ولد شالح وشالح ولد عابر. ولعابر ولد ابنان اسم الواحد فالج لان في ايامه قسمت الارض واسم اخيه يقطان⁽³⁾. ويقطان ولد الموداد وشالف وحضر موت⁽⁴⁾ وتارح. وهودرام واوزال ودقلة. وتوبال وابيمايل وشبا⁽⁵⁾. واوفير وحويلة ويوباب جميع هؤلاء بنو يقطان. وكان سكنهم من ميشا حينما تجيء نحو سفار جبل المشرق" (تك 10: 23) وسوف نرى تباعا ان هذه الشعوب نالت قسطا وفيرا من القوة والجبروت حتى انها استولت على البلاد التي سكنها ابناء كنعان. وجاء ذلك تحقيقا لقول الكتاب "وقال (نوح) مبارك الرب اله سام وليكن كنعان عبدا لهم" (تك 9: 26).

(1) يعتقد ان الكسديين هم ابناء ارفكشاد اعتمادا على التشابه اللغوي بين الاسمين فمن تحليل كلمة ارفكشاد يظهر التشابه.

(2) سكن الآراميون المنطقة الممتدة من جبال لبنان في الغرب إلى ما وراء الفرات في الشرق، ومن جبال طوروس في الشمال إلى دمشق وما وراءها في الجنوب. وقد أطلق على هذا الإقليم اسم سوريا في الترجمة اليونانية للكتاب المقدس (السبعينية).

وقد انتقل تارح وعائلته من أور الكلدانيين إلى حاران وهي إحدى مدن أرام (تك 11: 31) حيث عاش ناحور بن تارح ونسله في فدان أرام (تك 29: 4-5) ودعي إبراهيم اراميا (تثنية 26: 5) وقد دعا العبرانيون هذه البقعة أرام التي في عبر النهر (2صم 10: 16) وفي هذا الإقليم كانت تقع مدينتا نصيبين والرها اللتين اشتهرتا كمركزين للثقافة والآداب السريانية وقد ظهرت عدة ولايات أرامية في نفس الوقت.

(3) يعتقد ان اليه ينتسب القحطانيون الذين استقروا في القسم الجنوبي الشرقي من شبه الجزيرة العربية.

(4) اشتهرت حضرموت في شبه الجزيرة وما تزال الارض التي تحمل اسمهم الى الان.

(5) يعتقد انها دولة سبأ التي استقرت في الركن الجنوبي الشرقي لشبه الجزيرة، وكانت دولة ذات شأن واشتهرت بأرب عاصمتها بالسد المنهار والذي ترتب عليه غرق الاراضي الواقعة خلفه وهجرة سكانها الى الشمال. واشتهرت منهم الغساسنة والمانذرة. ويبدو ان مملكة سبأ كانت على درجة من الرقي الحضاري والاجتماعي حتى ان المرأة ارتقت الى عرش المملكة. ويتقد ان ملكة الجنوب التي ذهبت لزيارة سليمان كانت هي ملكة سبأ ومن المؤكد انه كانت توجد بين المملكتين مصالح سياسية واجتماعية مشتركة الى جانب العلاقات الودية.

حام:

منه خرج كوش، ومصر ايم، وفوط، وكنعان، ومنهم خرجت قبائل وشعوب: فمن كوش خرجت سبأ، وحويلة، وسبته، ورعمة، وسبتكا، ونمرود⁽¹⁾. ومن مصر ايم خرج المصريون. ومن كنعان خرج صيدون، وحثا (جد الحثيين)، واليبوسى، والأموري، والجرجاشى، والحوي، والعراقي، والسيني، والأروادي⁽²⁾... ومن نمرود خرجت ممالك بابل، وأكد⁽³⁾، وكلنه (في ارض شنعار) وغيرها.

يافث:

خرج منه جو مر، وما جوج، وماداي، ويا وان، وتوبال، وماشك، وتيراس. ومنهم خرجت قبائل وشعوب. ولعل الشعوب التي يطلق عليها العلماء اسم: هندو أوربية، هي التي جاءت من يافث، وهذه الشعوب استوطنت آسيا وأوربا. ومن الشعوب التي خرجت من يافث ابن يافث ايضا المقدونيون الذين احتلوا مصر وبلاد الشرق لما يقرب من ثلاثة قرون⁽⁴⁾. كما جاء من يافث الرومان الذين دانت لهم بلاد الساميين والحاميين نحو سبعة قرون من منتصف القرن الأول قبل الميلاد وحتى منتصف القرن السابع بعده. وتحققت بذلك نبوءة نوح " ليفتح الله ليافث فيسكن في مساكن سام وليكن كنعان عبدا لهم " (تك9: 27).

- (1) هو أول من وصف بالجبروت والبأس في الارض بعد الطوفان (تك10: 8، أخبار 1: 10). وروي عنه في ترجوم يونثان "منذ تأسيس العالم لم يوجد شخص كنمرود قويا في الصيد وفي التمرد على الرب "وفي ترجوم اورشليم قيل عنه انه" كان قويا في الصيد وفي الشر امام الرب لانه كان صيدا لابناء الناس ". وقال يوسيفوس " اغرى نمرود الجنس البشري بالا ينسبوا سعادتهم لله، وانما يعتقدون ان تفوقهم هو مصدر هذه السعادة ". - هيربرت لوكير - الملوك والملكات في الكتاب المقدس ص 45.
- (2) استقر الارواديون في المنطقة التي تحمل اسمهم وربما هي أرفاد وتسمى الآن رواد، وتقع على جزيرة صغيرة تبعد مسافة مليون من الشاطئ السوري ونحو 30 ميلا شمالي طرابلس. وكانت أرواد مدينة فينيقية للسفن والتجارة مثل صور وصيدا. وكانت أرواد ترسل الملاحين والمحاربين للدفاع عن صور عند الضرورة (حز 27: 8 و11). وتحدثنا السجلات الآشورية أن أرواد اشتركت مع دمشق وإسرائيل في حرب ضد آشور في معركة قرقر سنة 854 قبل الميلاد.
- (3) اسم لمدينة قديمة في أرض شنعار، ربما كان موقعها بقرب (ابي هبة) على نهر الفرات شمالي بابل وتكرت في سفر التكوين (تك 10: 10) مع بابل كجزء من مملكة نمرود ابن كوش. وقد جعلها سرجون الأول عاصمة لمملكته حوالي عام 2400 ق.م بحيث امتد الاسم ليشمل كل المقاطعة حيث يجري نهر دجلة والفرات بالقرب من بعضهما في العراق الأوسط. ثم وسع سرجون الأول حدود مملكته لتشمل معظم العراق، وبلاد فارس والجزء الشرقي من سوريا.
- وكان الأكاديون يتكلمون لغة سامية قريبة من اللغتين العربية والعبرية. ولقد استعاروا الرموز السامية من السومريين ليتمكنوا من تدوين لغتهم. وتشمل اللغة الأكادية الآشورية والبابلية
- (4) 332 - 32 ق.م. تقريبا.

وبالفعل خضع ابناء كنعان لابناء سام ولابناء يافث ، فمن كنعان خرج الصيديونيون والحثيون واليبوسيون الاموريون الجرجاشيون الحويون العرقيون السينيون الارواديون الصماويون الحماتيون، وهؤلاء سكنوا في فلسطين وما جاورها مما عرف بأرض كنعان، والتي بحكم موقعها كانت ملقبا لشعوب الشرق والغرب ممن تناسلوا من سام ويافث بل ومن مصر ايم اخي كنعان؛ فقد وقعت بلاد كنعان – كما سنرى تباعا – تحت السيادة المصرية في عهد ملوك الدولة الحديثة وبخاصة تحوتمس الثالث من الاسرة الثامنة عشرة ورمسيس الثاني من الاسرة التاسعة عشر. كما تعرضت من قبل لغزو شعوب البحر ، ومن بعد للعبرانيين والآشوريين ، والبابليين ، والفرس ، والمقدونيين، والرومان، وغيرهم.



ابناء⁽¹⁾ نوح وتعمير المسكونة

(1) ادم : شيث - انوش - قينان - مهلائيل - يارد - اخنوخ - متوشالچ - لامك - نوح

نوح : سام + حام + یافت

یافت: جومر + تیراس + مادی + یوان + توبال + ماشك + ماجوج

جومر: اشكنار + ريفات + توجرمة .

ياوان: اليشة + ترشيشه + كتيتم + دودانيم

حام : کنعان + مصرایم + فوط + کوش

برج بابل

عَبثًا تجرأ أبناء نوح واقدموا علي بناء برج⁽¹⁾ عال رغبة منهم في الصعود إلى حيث عرش الله الذي رد عليهم غطرتهم بأن بلبل ألسنتهم وفرقهم في أرجاء المسكونة (تك11). وتحقق في البشر ما قاله الوحي على لسان الحكيم بعد الاف السنين " قبل الكسر الكبرياء وقبل السقوط تشامخ الروح " (ام 16 : 18) وقد انتشرت قصة بلبله اللسان كغيرها بين الناس وكغيرها من القصص ايضا عملت فيها العقول البدائية وانعطفت بها قليلا او كثيرا. بحيث اصطبغت بذات الشكل الاسطوري.

وقد روى يوساببوس القيصري عن مؤرخ يدعي أبيدان عن فاروز ان الأشوريين يقولون ان الناس الأولين استكبروا بقوتهم وارتفاع قامتهم، فأخذوا يحتقرون الآلهة. ويظنون

كوش: سبا + حويلة + سبتا + رعما (شبا + ددان) + سيتكا + نمرود (بابل + ارك + اكد + كلنة).
مصرام: لوديم + عناميم + لهابيم + نفتوحيم + فتروسيم + كلسوحي (فلشتيم + كفتوريم)
كنعان: صيدون + حثا + اليبوسي + الاموري + الجرجاشي + الحوي + العرقي + السيني + الاروادي + السماوي + الحماتي.

سام: عيلام + اشور + ارفكشاد + لود + ارام
ارام: (عوص + حول + جاثر + ماش)

يقطان: + الوداد + شالف + حضر موت + يارح + هورام + اوزال + دقلة + عيبال + ابيمايل + شبا + اوفير + حويلة + يوباب.

ارفكشاد: شالح - عابر (فالج + يقطان)

فالج: رعو - سروج - ناحور - تارح

تارح: ابراهيم + ناحور + هاران

ابراهيم :

+ قطورة : زمران + يقشان (شبا + ددان) + مدان + مديان (عيفة + عفر + حنوك + ابيداع + الدعة) + يشباق + شوحا.

+ هاجر: اسماعيل: بنيابوت + قيدار + ادبيئيل + مبسام + مشماع + دومة + مسا + حدد + تيماء + بطور + نافيش + قدمة.

+ سارة : اسحاق

اسحق : يعقوب + عيسو

يعقوب: راوبين + شمعون + لاوي + يهوذا + يساكر + زبولون + دان + يوسف + بنيامين + نفتالي + جاد + اشير.

عيسو: اليفاز + رعونيل + يعوش + يعلام + قورح + سعير

اليفاز: تيمان + اومار + صفي + جعثام + قناز + تمناع + عماليق .

رعونيل: نحث + زارح + شمة + مزة

سعير: لوطان (حوري + هومام) + شوبال (عليان + مناحة + عيبال + شفي + اونام) + صبعون (اية

+ عني) + عني (ديشون) + ديشون (حمران + اشبان + يثران + كران) + ايصر (بلهان + زعوان +

يعقان) + ديشان (عوص + اران) + تمناع (بنت).

(1) يعتقد علماء الآثار أن البرج الذي كان قائما في عهد نبوخذ نصر في بابل هو ما اقدم بنو نوح علي بنائه. وقطعا تعرض للترميم وإعادة البناء اكثر من مرة

انهم اسمي واعظم منهم. فحملتهم كبريائهم علي ان يشيدوا صرحا عجيبا في ارتفاعه وهو الان بابل... وإذ كان الناس لغة واحدة إلى ذلك الحين شرعوا بعد ذلك يتكلمون لغات مختلفة بأمر الآلهة" (1).

وفي عام 1876 عثر في بابل القديمة على لوح عرف باسم إيزاجيلا ESAGILA. وهو محفوظ الان بمتحف اللوفر. وقد قام بترجمته العالم جورج سميث G. SMITH، و يقدم النقش الموجود عليه وصفاً معمارياً لمعبد إيزاجيلا المخصص لعبادة بعل مردوك رب البابليين. وفي وسطه كان يقوم برج عرف باسم (إ- تيمن- ان- كى) أى بيت تأسيس السماء والأرض (2). كما أسفرت أعمال الحفر التى أجريت من عام 1899 إلى عام 1917، عن اكتشاف اسوار مدينة بابل القديمة التى بنيت على شكل مستطيل يبلغ طوله 1800م، وعرضه 1300م. ويتخلله نحو خمسون برجاً. وعثر بها على أطلال أكثر من ألف معبد. ويعد معبد إيزاجيلا أعظمها، ويرجع تاريخ انشائه إلى ألفى سنة قبل الميلاد. وقد وجد به برج يبلغ ارتفاعه تسعين متراً. ويعتقد انه برج بابل الشهير، وربما تعرض للترميم وإعادة البناء (3).

ويؤكد ذلك أيضاً الأثر الذى عثر عليه جورج سميث وهو على شكل هرمي نقش عليه بالخط المسماري أيضاً ما قام بترجمته العالم أوير:

"... البناء الأكبر لنبوخذ نصر ملك بابل الأول... الطلل الأكبر الذي في بابل انا بنيته وهياتة، وقد رفعت رأسه إلى العلاء بالقرميد المغشي بالنحاس...بناه ملك قديم، لكنه لم يتم رأسه. فتركه الناس منذ أيام الطوفان متكلمين كلاما مشوشا. وزلازل الأرض والريعود زعزعت اللبن، وشققت الأجر المستوي الملبس به البناء. فتهدم اللبن وتكون منه تلال؛ فالهم مروداخ قلبي لأجدد بناءه... وكذلك أعدت تشييد ما كان..."

وجاء ايضا : " لقد قطعت على نفسي عهدا بأن أرمم السجيل E. SAGIL معبد بل (بعل) مردوخ فنقلت من لبنان اكبر اشجار الأرز. ولبست معبد إكوا E. KUA حيث يقيم الاله، باخشاب ارز ضخمة. كسيت بالذهب والفضة" (4)

(1) الاسقف ايسيدوروس - المطالب النظرية ص491

(2) Jacques Vicari – la tour de Babel

(3) Jean Pottero La Mésopotamie P. 93-

(4) ارنست بابلون - الآثار الشرقية ص 64 – ترجمة مارون عيسى الخوري.

ووصف هيرودوت (460 ق.م) هذا البناء بقوله "انه مؤلف من سبعة بروج الواحد مبني فوق الآخر بدرجات ضخمة كل درجة محصورة عما تحتها... وفي أعلاه مزار مقدس لنبو". وروى ايضا ان هذا المعبد كانت جدرانه مكسوة بصفائح من الذهب والفضة والعاج.

وبعدما تفرق ابناء نوح كونوا عشائر كل منها حملت اسم جدها الأكبر من بينهم. واستقرت كل عشيرة في بقعة من بقاع الأرض خلعت عليها اسمها الذي سبق وأخذته من جدها الأكبر. وبمرور الزمن تحولت هذه القبائل إلى شعوب وأمم كثيرة نشأت عنها الحضارات القديمة في سومر، وأكد، ومصر، وبلاد الإغريق، وفينيقية، وغيرها. وقد نشأت الحضارة من تفاعل الانسان مع البيئة. وما نتج عنه من أدوات صنعتها يده وأفكار ومعتقدات استولدها من عقله. ومن هذا وذاك تطورت اللغات والألسن. الى جانب ما توارثوه بالنقل من ادم ونوح والآباء، ومما عمله خيالهم.

وكان اعتقاد البشر في الألوهية يمثل حجر الزاوية في بناء الحضارة فأقيمت المذابح والمعابد لتكريم الآلهة. وبنيت المقابر علي اختلاف أشكالها ما بين المستطيل، والشكل الهرمي اعتقادا في بعث البشر بعد مماتهم. وقد كان لهذه الأفكار والمعتقدات جذور ايمانية تدب في أعماق التاريخ الانساني قبل ان تعمل فيها عقول الناس وأهواؤهم.

لغة ادم:

يقول ابن العبري بأن القديسين باسيليوس وافرام قالوا بأن الناس من ادم الى عابر كانوا يتكلمون لغة واحدة هي السريانية. وقال ايضا نقلا عن شخص يدعى يعقوب الرهاوي، ان اللغة لم تنزل عبرية الى ان تبلبلت الالسن في بابل.

ولكن هذا القول وغيره مما ينسب الى ادم لغة بعينها من اللغات التي نشأت بعد الطوفان ليس فيه ما يدعمه من دليل، بل على العكس نجد ما ينفيه. لان حقيقة الامر ان بلبله الالسن تعني ان الناس باتوا يتحدثون لغات غير معروفة عما كانوا يتحدثون بها من قبل. واصبح كل منهم لا يقوى على فهم كلام الآخر ومن ثم تفرقوا. وربما بلبله الالسن كانت كناية عن التفرقة التي حلت ببني نوح نتيجة لتكبرهم ومن ثم تباعدوا وانتشروا وكونوا قبائل مختلفة لكل منها لغتها الخاصة.

ومن جهة اخرى نرى ان اللغات التى نشأت بعد ذلك، لم تنشأ بكل مفرداتها دفعة واحدة. ولم تكن بالثراء الذي الت اليه بعد قرون من التطور والتفاعل الحضاري بين الشعوب وبعضها.

لقد كانت اللغات في مهدها بسيطة ومحدودة للغاية، تناسب الحياة البدائية التي كان الناس يعيشونها في ذلك الحين. وهذه اللغات هي وليدة شعوب تناسلوا من اشخاص معينين سواء كانوا معروفين او غير معروفين لدينا. فعلى سبيل المثال نرى انه من عابر خرج العبرانيون بلغتهم، والعمونيون بلغتهم، والمؤابيون بلغتهم، والأدوميون بلغتهم، وغيرهم الكثير والكثير ممن لا يمكن ان نسلم بان لغة من لغاتهم التي نشأت بنشأتهم كانت مستعملة قبل ان يولدوا. فمن يستطيع ان يدلل على أن اللغة الانجليزية مثلا كانت موجودة قبل ان يوجد الانجليز. أو أن اللغة الفرنسية كانت موجودة قبل ان يولد الجد الأكبر للفرنسيين ؟!!!

ويمكننا ان نفسر التشابه بين بعض اللغات وبعضها الاخر على اعتبار ان الشعوب لم تكن منعزلة تماما عن بعضها، بل كانت تتقارب فيما بينها عن طريق الهجرات الجماعية والفردية، وعن طريق الغزوات والحروب. وكثيرا ما كانت تنصهر الشعوب الغالبة والمغلوبة فيما بينها ايضا، ومن ثم تنشأ عن اندماجها لغات جديدة. ومثال على ذلك ان اللغة القبطية التي نشأت عن تعايش اليونانيين بلغتهم اليونانية مع المصريين بلغتهم المصرية القديمة. ومنها كذلك ظهور اللغة السريانية عن اندماج العبرية بالارامية.

وقد تؤثر اللغة الواحدة وتتأثر بغيرها نتيجة لاتصال اهلها بعدد من الشعوب. وخير مثال على ذلك تأثير اللغة اللاتينية، لغة الرومان القدماء في عدد من اللغات الاربوية كالفرنسية والانجليزية والاسبانية وغيرها. والسبب الحقيقي وراء ذلك هو ان الرومان خاضوا حروبا عديدة واستولوا على عدد كبير من الشعوب ومن ثم انتشرت لغتهم في البلاد المستعمرة. كما ان الامبراطورية الرومانية تعرضت في مرحلة احتضارها الى تدفق عدد من القبائل التي وصفوها بالبربرية والتي احتلت اجزاء كبيرة في جسم الامبراطورية المعتل مثل القوط والوندال والجرمان والافرنج والانجلو سكسونيين وغيرهم وهؤلاء اثروا وتأثروا بلغة الرومان.

وقد قدم لنا السير جون هامرتين رأياً في نشأة اللغات نرى انه من الاهمية الاستعانة به. ففي تعريفه للغة ونشأتها يقول:

" اللغة من نتاج المجتمع، وهي تدل على وجود شخصين اثنين على الأقل، متكلم وسامع، ووظيفتها ان تنقل فكرة من ذهن احدهما الى ذهن الاخر... واكبر الظن اننا اذا حاولنا ان نعرف منشأ اللغات فلن نجد امامنا سبيلا سوى الحدس والتخمين... وليس في تركيب اللغة السومرية التي كان يتكلم بها الناس في جنوب العراق من نحو خمسة الاف سنة ما يبرر وصفنا تلك اللغة بأنها بدائية اي قريبة الى اللغة الاولى التي كان يتكلم بها الانسان او على الاصح الى لغة اولى كان يتكلم بها... وان من الخطأ ان نتوقع وجود اصل واحد للغة... وقد يكون بين بعض اللغات صلات من القربى ولكنها تفرق على مر الزمن ويتباعد ما بينها بحيث لا يكفي في تقرير صلتها التاريخية ان ننظر في تركيب جملها او اعراب اسمائها "(1).

ومع هذا لا ننكر ان الناس قبيل الطوفان كانوا يتكلمون لغة واحدة عندما كانوا يعيشون في نطاق محدود نسبيا من الأرض المعمورة آنذاك، ولم يكونوا قد تفرقوا بعد وذهبوا الى مجاهل القارات. ولكن هذه اللغة قطعا غير معروفة وليست هي واحدة من اللغات التي نشأت بعد الطوفان. وقد كانت ابسط كثيرا من لغة القبائل البدائية التي تعيش في مجاهل القارات. وذلك لان المنتج الحضاري - المادي والمعنوي - كان ضئيلا للغاية لا تتعدى تسمية الأشخاص، والحيوانات، والأشياء المحيطة، الى جانب بعض التعبيرات الشعرية.

(1) جون أ. هامرتين - تاريخ العالم ص 339.

3- إبراهيم والعبرانيون (حوالي 2000 ق.م)

من ارفكشاد بن سام بن نوح جاء العبرانيون (بنو عابر)، ومنهم جاء إبراهيم وكان أبوه تارح مقيما في اور⁽¹⁾، مدينة الكلدانيين الواقعة عند التقاء نهري دجلة والفرات على مسافة من مصبه القديم. وبعد عناء وجهد كثير "نجح هنري رولنسون HENRY RAWLINSON عام 1949 في اكتشاف مدينة اور⁽²⁾ الكلدانية التي بحث عنها الكثيرون⁽³⁾، وهي موطن إبراهيم... وقد تم اكتشافها في تل المقجار AL MUQAJJAR (المقير) على الضفة اليمنى للفرات الأسفل"⁽⁴⁾.



اطلال اور مسقط رأس ابراهيم

- (1) تقع مدينة اور القديمة بتل المقير على مسافة 100 ميل شمالي البصرة على مصب نهر الفرات القديم في الخليج العربي الا انها حاليا تقع في منطقة نائية بعيدة عن النهر وذلك بسبب تغير مجراه. وكانت واحدة من المدن السومرية والتي تعد من اقدم حضارات العالم.
- (2) بدأ J.E.Taylor القنصل البريطاني في العراق سنة 1854 البحث عن موقعها بجنوب العراق. ثم توالت اعمال الحفر من قبل جامعة بنسلفانيا تحت اشراف H.R.Hall & R.C.Campbell، ثم استأنف العمل L.Woollev (1919 - 1934) لحساب نفس الجامعة بالاشتراك مع المتحف البريطاني وقد اسفرت جهود المنقبين عن اكتشاف نحو ستة عشر مقبرة ملكية شيدت من الطوب اللبن. وكان بكل منها بنر. وكان الملك الميت يدفن معه جواريه بملابسهن وحليهن بعد قتلهن بالسهم عند موته.
- (3) ج. ل. مايرز، فجر التاريخ ص 101.
- (4) فريدريك ديليتش - بابل والكتاب المقدس ص 11، ترجمة ارينا داود، دمشق 1987.

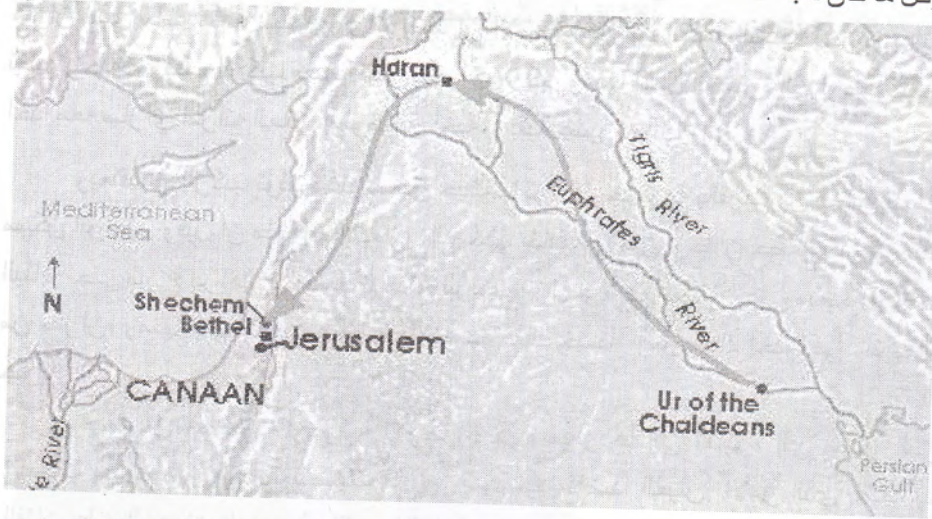
ويرى البعض ان تارح كان يعبد سين اله القمر فيقول المطران يوسف الدبس " ولا يبعد ان كان ابوه تارح يعبد الاله سين كغيره من اهلها في الهيكل الذي بناه ليك باغاس" (1) ولكننا نستبعد هذا الرأي لأن الكتاب المقدس لم يذكره، فالمرجح ان ابراهيم كان تابعاً لعشيرة مؤمنة توارثت الايمان بالله الحقيقي منذ عهد نوح وحافظت على هذا الايمان بالله الذي لم يترك نفسه بلا شاهد. ونحو الألف الثانية قبل الميلاد توجه إبرام (إبراهيم) البالغ من العمر خمس وسبعين عاماً بصحبة أبيه وعشيرته إلى حاران (2) التي يعتقد انها حملت اسم اخيه هاران الذي مات هناك. بينما يرى بريستد ان الاسم مشتق من الكلمة البابلية (خرانو) التي تعنى رحلة (3) وقطع الراكب مسافة تقدر بنحو 965 كم. ومنها اكمل المسيرة الي ارض كنعان أخذاً معه ساراي امرأته العاقرة، ولوط ابن أخيه، وبقية عشيرته (تك12).

ويعتقد ان الراكب توقف عند دمشق حيث ما تزال توجد قرية بالقرب من دمشق تسمى مسكن ابراهيم. وقيل ان منها اخذ النعازر الدمشقي خادمه الأمين. وما ان حط الراكب في تلك البقاع حتى شرع ابراهيم في تأسيس مذبح للرب. ونزل أولاً في شكيم (4) على مبعده 650 كم من حاران، ومنها اتجه إلى بيت إيل حيث نصب هناك خيمته. ومن هناك اخذوا في الترحال جنوباً.

وحدث ان اضطرتته وحوشة الأرض وندرة مواردها إلى اللجوء إلى مصر التي اعتادت منذ فجر التاريخ تستضيف كل من لجأ إليها قاصدا العيش. الأمر الذي نقشته يد الفنان علي الجدران الحجرية، التي طالما بقيت ما بقى الدهر تشهد لحسن استقبال ملوك مصر للغرباء تأكيداً لصحة ما جاء بالكتاب المقدس. (تك12).

-
- (1) المطران يوسف الدبس، تاريخ سوريا - الجزء الاول - المجلد الثاني ص 8 - بيروت 1898.
 (2) تقع جنوب شرق تركيا على نهر بليخ احد روافد الفرات فيها اسفر تارح وفيها خدم يعقوب خاله لابان. وكانت تقع بين نينوى وحلب. - موسوعة الكتاب المقدس ص 112.
 (3) جيمس هنري بريستد - تاريخ الشرق القديم، ص 191 ترجمة د. احمد فخري القاهرة 1969.
 (4) تقع في تل بلاطة قرب نابلس الحديثة. وردت في النصوص المصرية القديمة باسم سكمم فقد جاء في نقش للقائد سبك نفرو (خوسبك) انه قام بحملة إلى فلسطين وانه عسكر في منطقة تدعي سكمم. كما وردت في رسائل تل العمارنة وذكر اسم حاكمها المدعو لابيابو. وقد اسفرت اعمال الحفر التي قام بها كل من E. Sellin & G. Walter (1913 - 1934) وكذلك G.E.Wright (1956 - 1964). على ان المدينة بنيت منذ اقدم العصور وانها هدمت واعيد بناؤها اكثر من مرة خلال القرون: السادس عشر والثاني عشر والثامن ق.م. وهذا الاخير هو ما قام به الآشوريون في سنة 720 ق.م. ثم اعاد الرومان بناءها بعد خراب حل بها لقمع الثوار من اليهود واسموا نيبوليس فلافيوس اي مدينة فلافيوس الجديدة نسبة الى فاسباسيان مؤسس الاسرة الفلافية.

وفي مصر انكر إبرام - بالضعف البشري - زواجه من ساري، وقال انها أخته - وقد كانت بالفعل اخته من ابيه⁽¹⁾ - خشية ان يقتله المصريون ويظفر بها أحدهم لفرط جمالها كما يقول الكتاب "ورأها رؤساء فرعون ومدحوها لدى فرعون، فأخذت المرأة إلى بيت فرعون... فضرب الرب فرعون ضربات عظيمة بسبب ساري امرأة إبرام"⁽²⁾. فلما فطن فرعون إلى حقيقة الأمر فانه رد ساري إلى زوجها، وأوصى عليه رجاله فشيّعوه وإمراته وكل ما كان له.



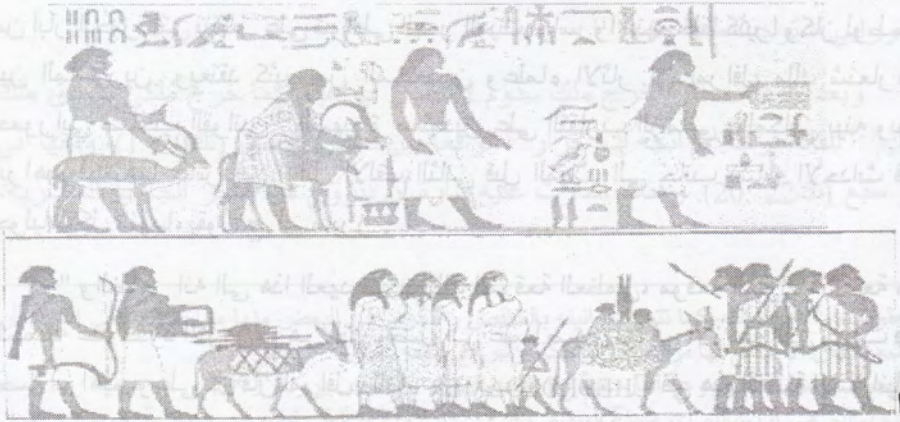
ولعل مجي إبراهيم إلى مصر كان في عهد سنوسرت أحد ملوك الأسرة الثانية عشرة. بحسب ما جاء علي جدران مقبرة المدعو "خنوم حتب" حاكم إقليم الارنب وهي من المقابر الشهيرة ببني حسن بالمنيا. حيث تصور النقوش استقباله لعشيرة من الأجانب، وعلي رأس الوافدين شخص يدعي إيشاه ومعناه ابي الرمل وتاويله يقرب من معنى كلمة ابراهيم التي تعني ابا الجمهور⁽³⁾. "وقد نعت هذا الامير بلقب حقا خاست اي الحاكم الاجنبي. وتنطبق اوصاف هؤلاء الاجانب على العبرانيين. فالاسرى العبرانيون الذين نرى صورهم في النقوش المصرية والاشورية يشبهون كل الشبه يهود هذه الايام... ففي هذه النقوش نرى الانف الحثي الطويل الاقني والوجنتين البارزتين وشعر الرأس واللحية المتلوي... وكانوا يرتدون جلابيب بسيطة وقبعات وطينة وقلائس شبيهة بالعمائم ويحتذون أخفافا سهلة

(1) "وبالحقيقة ايضا هي اختي ابنة ابي غير انها ليست ابنة امي فصارت لي زوجة" (تك 20: 12)

(2) تك 12: 14 - 20.

(3) سليم حسن- مصر القديمة ج 3 ص 269، والاسقف ايسيدوروس- المطالب النظرية ص 499.

الخلع... اما نسأوهم - وهن من اجمل نساء الامم القديمة - فكن يصبغن خدودهن ويكتحلن ويتحلين بكل ما يجدن من الحلي ويلبسن احسن الازياء"⁽¹⁾.



وقد تم العثور على نقش محفوظ الان بمتحف لندن جاء فيه تحت عنوان قصة الاخوين ما يشير الى اعتياد نزوح الغرباء الى مصر طلبا للعيش. كما جاء على نقش اخر محفوظ ببرلين "ان غريبا ضبطت امراته واولاده بحسب جاري العادة وادخلوا الى فرعون"⁽²⁾ ويلاحظ من هذا النص كذلك ان الأمر كان عادة متكررة الحدوث ولم يقتصر امر اللجوء الى مصر على ابراهيم وعشيرته فقط.

وبعد ذلك عاد ابراهيم إلى بلاده ونزل هو وعشيرته في بيت إيل⁽³⁾. ومنها اتجه الى حبرون⁽⁴⁾ حيث بنى مذبحا اخر للرب. ومن هناك اضطر إلى الدخول في حرب ضد ملوك شنعار وعيلام وغيرهم لكي ينقذ لوط من أيديهم ويفك أسرهم. وتمكن من كسر الغزاة مرتين الاولى في دان والثانية في حوبه. وقد انتصر عليهم بقوة الله العلي اذ لم يكن معه من الرجال سوى 318 فقط.

ويرجع سبب هذه الحرب الى ان ملوك سدوم وعمورة وادمه وصبوييم وبالع (صوغر) كانوا خاضعين لكدرلعومر ملك عيلام لمدة اثنتي عشر عاما يؤدون له الجزية.

(1) ول ديورانت - قصة الحضارة المجلد الثالث ج2 ص 328
 (2) الاسقف ايسيدوروس - المطالب النظرية في المواضيع الالهية ص 500
 (3) تبعد نحو 19 كم شمال اورشليم. - موسوعة الكتاب المقدس ص.7.
 (4) تقع حبرون (الخليل حاليا) على بعد 28 كم من القدس على طريق بئر السبع. وقد عرفت باسم قرية اربع لسكنى اربع ابي العملاقة العناقيين بها (يش 14 : 15، 21 : 11) وفيها اشترى ابراهيم مغارة المكفلة حيث ماتت سارة ولها من العمر مئة وسبعة وعشرين عاما (تك 23 : 2). وعرفت البلدة كذلك باسم ممرا (تك 35 : 27) وهي مشهورة بأشجار الزيتون والعنب والتين.

وكان لما امتنعوا في العام الثالث عشر وعصوا عليه ان ملك عيلام جمع حلفا ضم امرافل ملك شنعار واريوك ملك الاسار وكدرلعومر ملك عيلام وتدعال ملك جوبيم⁽¹⁾. تك 14: 1. وحاربوا العصاة وهزموهم في وادي يسمى وادي السديم حيث قبروا الملوك الخمسة في بئر من آبار الحُمُر التي تنتشر على شواطئ البحر الميت. واسروا منهم خلقا كثيرا وكان لوط من بين المأسورين. ويعتقد كثير من المختصين وعلماء الآثار ان امرافل ملك شنعار هو حمورابي صاحب القوانين⁽²⁾ الشهيرة معتمدين على التقارب الزمني والمكاني بينه وبين ابراهيم فكلاهما عاش في اوائل الالف الثاني قبل الميلاد الى جانب تشابه الأحداث في حوليات كل منهما، يقول ج. ل. مايرز :

" والظاهر انه الى هذا العهد تنسب تلك الموقعة العظمى، موقعة الملوك الاربعة مع الخمسة عند حدود الاردن، وهي التي وصل الى علمنا صدق لها في الازمنة التي وردت في قصة ابراهيم. وعلى كل فان امرافل ملك CHEDROLOAMER في هذه القصة الاسرائيلية يحمل فيما يظهر اسم حمورابي الذي اعاد تثبيت استقلال بابل فيما بعد والذي كان يعد اول مشرع في العالم"⁽³⁾.

ومن كل ذلك يمكننا ان نستنتج انه كان لابراهيم _ ابو الجمهور _ عدد كبير من الرجال استطاع بهم ان يتصدى للمعتدين وان ينتصر عليهم وينقذ لوط وعشيرته. وفي اعتبار ان حمورابي هو اول مشرع في العالم فهو امر يستحق الوقوف عنده فأولا ان الشعوب القديمة - ومنها مصر - فيما قبل عهد حمورابي كانت لها تشريعاتها الدينية والسياسة الخاصة بها. وخير شاهد على ذلك هو وجود اثار لمعابد قديمة في اماكن كثيرة في بلاد الحضارات وبالطبع كان لهذه المعابد سلطة تشريعية. ومن المؤكد انه كان للسلطة الحاكمة - ان جاز الفصل بين السلطتين في ذلك العهد - ايضا قوانينها وشرائعها. ولذلك فان العثور على قوانين⁽⁴⁾ حمورابي لا ينفي وجود قوانين اخرى، ولا تكون قوانينه هي الأولى في العالم، وان

(1) هي الأرض الممتدة من دجلة الى الحدود الشرقية لمادي وقد ورد الاسم في النقوش جوليم. - هربرت لوكر - كل الملوك والملكات في الكتاب المقدس ص 17.

(2) في عام 1902 عثر في سوسة (شوشن) على حجر من الديوريت يبلغ ارتفاعه ثمانية اقدام (25، 2 م) ويحتوي على نص القوانين التي سنّها ومجمل سطورها 360 سطرا وقد صور حمورابي واقفا الى اعلى يسار الوح امام اله الشمس وهو يتلقى منه الوصايا والقوانين. وهو محفوظ الآن بمتحف اللوفر.

(3) ج. ل. مايرز، فجر التاريخ ص 105.

(4) تتألف هذه القوانين من 282 مادة تتناول امور القضاء والقصاص والتعويضات والامن والجيش وحقوق المواطنين وواجباتهم ومسئولياتهم وشروط العقود الزراعية والاحوال الشخصية والعلاقة بين العمال واصحاب العمل وغير ذلك. وتتميز هذه القوانين بالعدل في بعض الاحيان وبالاجحاف في بعضها الآخر، فهو يقسم المجتمع الى طبقات ثلاث مميزا بين السادة والعامة والعبيد في الحقوق والواجبات

كانت هي من اقدم ما وصل الينا حتى الآن وبهذا الشكل. وفي اعتقادي الشخصي ان الشريعة لم تنقطع عن البشر منذ ادم والى اليوم وقد كان الناس يتوارثونها شفاهاً ثم كتابة. وفضلا عن ذلك انه وجدت " مقتطفات من القوانين السومرية تثبت بما لا يقل الشك ان شريعة حمورابي استوحيت منها حتماً" (1)

وبعد عودته مظفرا خرج ملك سدوم لاستقبال ابراهيم، كما خرج ملكي صادق ملك سالييم (2) للقاءه فرحا. ثم اتجه إلى جرار (3) الواقعة بين قادش وصور (تك 20: 1)، ومنها إلى بئر سبع (تك 22: 20). وهناك أشارت عليه سارة ان يتزوج من هاجر الجارية المصرية،

والعقوبات والامتيازات. كما تتميز قوانينه بالتناقض والتكرار في البعض منها مما يشجع على القول بأن واضعها ليس الا جامع لها من قوانين واحكام وشرائع سابقة عليه.

(1) جواد بولس - الموسوعة التاريخية ج 1، ص 360 & 414. بيروت 1993.

(2) وسالييم هي اورشاليم اي مدينة السلام. وقد وردت لأول مرة في نصوص مصرية تعود الى القرن التاسع عشر قبل الميلاد. وعرفت اصطلاحا باسم نصوص اللغات وكانت تكتب على جرار فارغة تتضمن اسماء البلاد والملوك المعادين لمصر. وكان المصريون يحطمون هذه الجرار وهم يرددون التعاويذ السحرية بقصد جلب الازى على الاعداء مثال ذلك: "... خالوكيم حاكم عسقلانو... يقرب امو حاكم اورشليم... بيش حدد حاكم شكيم...". كما ذكرت ايضا في رسائل تل العمارنة. ففي احدى الرسائل التي بعث بها عيدي خيبا الى فرعون مصر امنحوتب الرابع (اخناتون) يقول فيها: "الى مولاي الملك، هكذا يقول خادمك عيدي خيبا.. واراضي الملك سلمت الى شعب العابيرو حتى بلدة في اراضي اورشليم من املاك سيدي بيت لحم" (انظر فراس السواح، مرجع سابق ص 141، & سليم حسن، مصر الفرعونية ج 5 ص 193). وعند نزوح العبرانيين الى ارض كنعان لم يتمكنوا من استئصال شافة اليبوسيين سكانها الاصليين فعاثوا جنبا الى جنب. ولم تفلح النار التي اشعلها يشوع (يش 15: 63) ولا الانتصار الساحق الذي احرزه العبرانيون في عهد القضاة على القضاء عليهم (قض 1: 21، 2 صم 5: 6، 1 اخ 11: 4). وحتى السبي البابلي وعودة المسبيين لم ينقطع الوجود اليبوسي (عز 9: 1). والوصف الجغرافي للمدينة يطابق ما جاء في مز 125. فتحيط بها التلال من ثلاثة جوانب: الشرقي منها يعرف بجبل المشهد او جبل المشارف، والى الشرق جبل الزيتون، والى الجنوب يوجد جبل المكبر. كما توجد بها الوديان مثل وادي قدرون، ووادي يهوشافاط (يو 3: 12) الواقع بين المدينة وجبل الزيتون. ومنه كانت تتدفق مياه نهر جيحون. وقيل ان بني اسرائيل في عهد داود تمكنوا من دخول المدينة عبر هذا النفق (2 صم 8: 5، 1 اخ 11: 6). واعاد حزقيا فتح هذا النفق لايصال مياه النبع الى داخل المدينة عندما هاجم سنحاريب مدن مملكة يهوذا. وقد تعرضت المدينة للتدمير واعادة البناء اكثر من مرة عبر تاريخها الطويل. وقد تمت لها عملية ترميم في عهد الملك داود (1 اخ 11: 8) وعندما بنى سليمان الهيكل خارج المدينة القديمة فانه قام بتوسيع المدينة من جهة الشمال بحيث تستوعب الهيكل. وقد كشفت اعمال التنقيب عن ذلك السور الذي امكن ارجاعه الى النصف الثاني من القرن العاشر ق.م. وهي فترة حكم داود وسلمان. (انظر فراس السواح - الحدث التوراتي وشعوب الشرق القديم ص 147). وقد تعرضت المدينة والهيكل للتدمير على يد البابليين، وفي العهد الفارسي اعد زروبال وعزرا ونحميا بناء الاسوار والهيكل في النصف الثاني من القرن السادس حوالي سنة 515 ق.م. وفي العصر الروماني قام هيرودس بتوسيع الهيكل وزاد مساحته الى النصف تقريبا ولكن هذا البناء تعرض للتدمير النهائي على يد تيطس القائد الروماني سنة 70م. وعلى الرغم من ان الرومان اطلقوا عليها اسم ايليا كابيتوليا في ايام هدریان حوالي عام 135م فلم تفقد اسمها اورشليم اي مدينة السلام التي جاء اليها ملك السلام.

(3) موقعها الحالي في صحراء النقب بين بئر سبع وغزه.

فتزوجها وانجب منها إسماعيل الذي استقر به المقام في شمال شبه الجزيرة العربية. ويرى جورجى زيدان - وهو راى يؤخذ بتحفظ - ان منه خرج عرب الشمال الذين استوطنوا في تهامة، والحجاز ونجد، وعند مشارف الشام والعراق. وانهم كانوا يعبدون اللات والعزى، ومناه، وهبل، وغيرها⁽¹⁾.

واشتهر الاسماعيليون في العهد القديم فنجد اول ذكر لهم في سفر التكوين حيث كان تجار منهم يتجهون الى مصر وهم يحملون بضائعهم ومنها الاعشاب الطبية والدهون العطرية مثل الكثيراء والبلسان واللادن وغيرها مما يستعمله المصريون في الطب والتحنيط (تك 37: 25). ثم نراهم بعد ذلك بنحو خمسة قرون في سفر القضاة⁽²⁾ تارة باسم الاسماعيليين وتارة اخرى باسم بني الشرق.

ومن اولاد اسماعيل اشتهر قي دار وتناسل منه اعقاب كثيرة حتى ولد عدنان. وجاء ذكر بني قي دار في سفر اشعياء النبي حيث قبا عما سيحل بهم من المصاعب (اش 21: 16 و 17). كما تنبا عنهم ايضا ارميا النبي (ار 49: 28) وعن غزو نبوخذ نصر لبلادهم. وقد روى المؤرخون العرب قصة هذه الغزوة فقال ابن الاثير " سار بختنصر الى معد فلقى جموع العرب فقاتلهم وهزمهم... وسار الى الحجاز فجمع عدنان العرب، والتقى هو وبختنصر في ذات عرق، فاقتتلوا قتالا شديدا، فانهزم عدنان. وتبعه بختنصر الى حصون هناك. واجتمع عليه العرب، وخندق كل واحد من الفريقين على نفسه واصحابه؛ فكمن بختنصر كميناً.. واخذتهم السيوف، فنادوا بالويل. ونهى عدنان عن بختنصر، وبختنصر عن عدنان، وافترقا "⁽³⁾.

كما تعرضوا للغزو الاشوري، فقد جاء في حوليات اسرحدون انه غزا بلاد العرب وانه اخضع عددا من ملوكهم: قيس ملك ندل، واكبر ملك البنط، ومعين ساق ملك مجلان، ويافع ملك دixer، وخبس ملك قحطبة، وغيرهم "⁽⁴⁾. وكان الاسماعيليون يتمتعون بالجاه والثراء. وكانت لهم ماشية وإبل وذهب وأرجوان. وقد اشار سفر القضاة الى هذا الثراء (8: 24). فكانوا يتاجرون مع بلدان الشرق والغرب برا وبحرا. وفي عهد يوليوس قيصر تمكنوا من دخول الحبشة والنوبة ومصر⁽⁵⁾. وبعد ذلك رزق الرب ابراهيم⁽¹⁾ بولد من سارة

(1) جورجى زيدان - تاريخ العرب قبل الاسلام ص 222

(2) 6: 33، 7: 12، 8: 21.

(3) ابن الاثير الجزء الاول ص 117

(4) جورجى زيدان - تاريخ العرب ص 130-131 عن Closer Geo 115

(5) جورجى زيدان - تاريخ العرب قبل الاسلام ص 132 عن Closer Geo

دعاه اسحق، وهو الذي انجب عيسو ويعقوب. ومن يعقوب خرجت الأسباط الاثنا عشر. ومن عيسو جاء الادوميون بنو سكير⁽²⁾ الذين سكنوا الى الشمال الغربي لشبه الجزيرة، في المنطقة التي كان يسكنها قبلا الحوريون.

(1) نشأ ابراهيم في اور الكلدانيين حيث كان الناس يعبدون آلهة كثيرة (يشوع 24: 2، 14) مثل (نانار) إله القمر وزوجته (ننجال) وكانوا يقيمون لة بناء يشبه الهرم يسمى (زاجورة زاكورة). أما ابراهيم فقد آمن بالإله الواحد خالق السماء والأرض وما فيهما (تك 14: 22؟ 24: 3) وديان الأمم وكل الأرض (تك 15: 18، 14: 25) والذي بيده كل شيء (تك 18: 14، 19: 20، 24: 17، 18) وهو العلي (تك 14: 22) والازلّي الأبدى (تك 21: 33) وكانت تربطه بالله علاقة حب وإيمان قوي (تك 24: 14) حتى انه دعي خليل الله (2 اخبار 20: 7 واش 41: 8 ويع 2: 23) وقد نسب لله صفات العدل (تك 18: 25) والبر (تك 18: 19) والأمانة واللفظ والحق (تك 24: 27) والحكمة والرحمة (قارن تك 20: 6) وقد آمن ابراهيم ان الله يطلب من البشر أن يتصفوا بالصفات الخلقية التي لله (تك 18: 19) وقد أعلن الله ذاته لإبراهيم في الرؤى والأحلام (تك 15: 1، 20: 3) والظهور في شكل إنسان أو في شخص ملاك الرب (تك 18: 1، 22: 11) وحينما سكن ابراهيم كان يقيم مذبحاً للرب ويدعو باسمه (تك 12: 7، 8) وقد قدم صلوات تشفعية لأجل الآخرين ففي تك 17: 20 صلى لأجل اسماعيل وفي تك 18: 23-32 تشفع لأجل لوط، قارن هذا مع تك 19: 20 وفي تك 20: 17 صلى لأجل أبيمالك وذلك لأنه عرف بأنه نبي. وقد عمل ابراهيم عهوده ومواثيقه وأقسامه باسم الرب (تك 14: 22، 21: 23، 24: 3) وقد قدم العشور لملكي صادق كاهن الله العلي (تك 14: 20) وقد مارس الختان كعلامة للعهد مع الرب (17: 10-14) وكان إيمان ابراهيم عظيماً إلى الحد الذي عنده كان مستعداً أن يقدم ابنه وحيدة ذبيحة للرب ولكن الرب منعه من ذلك (تك 22: 12، 2) وقد كانت حياة ابراهيم مع الناس مظهراً لإيمانه بالله وقد ظهر هذا في كرمه (تك 13: 9، 14: 23 الخ.) وإضافة الغرباء (تك 18: 2-8) وإخلاصه ووفائه وأمانته، وحوله ورقة عاطفته (تك 14: 14؟ 18: 24، 23-32، 23: 29 وشجاعته (تك 14: 14-16) إلا أنه أظهر ضعفاً مرتين عندما لم يقل الحق كله في ذكر علاقة سارة وزوجته به (تك 12: 18، 20: 11).

(2) قد اطلق على الإقليم اسم أرض سكير (تك 32: 3) حيث استقر أبناء عيسو شقيق يعقوب. ويمتد الإقليم مسافة مائة ميل بين البحر الميت وخليج العقبة، على جانبي غور العربية (تك 14: 6) والجزء السفلي من سلسلة الجبال مكوّن من صخور حمراء رملية ممترجة ببعض حجر الجرانيت الأحمر مع بعض الأحجار الرخامية الحمراء. ويقع جبل هارون في تلك البقعة ويرتفع إلى 4780 قدماً فوق سطح البحر.

وعلى الرغم من كونها أرض جرداء فقد وجدت بها حقول وكروم وآبار، كما اشتغل أهلها بالتجارة ويتعدين النحاس حيث وجدت مناجمه بكثرة. وكان بها طريق رئيسي يسير شمالاً وجنوباً (عدد 20: 19).

وكانت ملع عاصمة أدوم قديماً ثم تغير اسمها فيما بعد إلى البتراء. ومن أهم مدن أدوم: بصره من الشمال وبتيمان بالقرب من البتراء، وعصيون جابر في الجنوب. وبترية أدوم هي العربية الواقعة جنوبي البحر الميت (2 ملوك 3: 8 و 11). والجزء الشرقي من أدوم يقع الآن في المملكة الأردنية.

يوسف وفرعون

يرجح علماء المصريات أن مجئ يوسف وإخوته كان في زمن الهكسوس⁽¹⁾ الذين دهموا القطر المصري حوالي سنة 1700 ق.م. وإن كان لا يعرف أصلهم بالضبط، إلا أن الثابت لدى علماء المصريات، أنهم دخلوا البلاد في شكل هجرات عن طريق سيناء. وإنهم استغرقوا نحو نصف قرن حتى استولوا على شمال البلاد. وقد عاشوا بالدلتا وخضع لهم حكام الجنوب في بعض الأحيان. وقضوا بمصر نحو قرن ونصف بحسب تاريخ الفراعنة. ثم طردوا من البلاد على يد كل من سقتن رع، وكامس، وأحمس الذين تصدوا لهم على التوالي. وفي هذه الأثناء كان العبرانيون يعيشون في كنف المصريين.

والسؤال الآن هل بدأ اضطهادهم منذ تم طرد الهكسوس، أم أنهم ظلوا ينعمون بالحرية وبالعيش الرغد لفترة من الزمن ظل خلالها المصريون ذاكرين لما فعله يوسف لهم ولملكهم؟ وإذا كان يوسف قد جاء في عهد الهكسوس، وأن أحد ملوكهم هو الذي سمح لهم بالإقامة في البلاد. فلماذا لم يتم طردهم عندما طرد الهكسوس، ومن ثم يكون الخروج قد تم في أوائل عهد الأسرة الثامنة عشر، وليس في عهد رمسيس الثاني أو ابنه مرنبتاح، بعد مرور ما يزيد على قرنين ونصف من وقت طرد الرعاة. الحقيقة أنه يمكن قبول بقاء العبرانيين في مصر باعتبار أنهم كانوا مسالمين. ولم يكن عددهم يشكل خطراً على البلاد.

وربما يكون مجئ العبرانيين قبيل مجئ الهكسوس أى في عهد فرعون مصري، وليس تحت ظل حاكم أجنبي. وهو ما يبرر على وجه اليقين عدم تعرض الفراعنة المصريون للعبرانيين بسوء بعد طرد الهكسوس، خاصة وأن ما روّى بشأن فرعون يوسف ليست فيه إشارة إلى أنه حاكم أجنبي بل تميل كل الدلائل إلى أنه كان مصرياً. فيذكر سفر التكوين أن فرعون في سنوات الجوع اشترى كل أرض المصريين ما عدا تلك الموقوفة على المعابد (تك 47: 22). فإذا كان الحاكم اجنبياً لما كان قد تساهل مع الكهنة، واحترم أوقاف معابدهم. وكذلك قوله بأن فرعون زوج يوسف من أسنات بنت فوطي فارع كاهن أون (المطرية حالياً حيث كان يوجد معبد لرع إله الشمس وحيث توجد مسلة سنوسرت الأول). فلو كان حاكماً اجنبياً لكان قد أعطاه إحدى الأميرات؛ ولكن لأنه كان

(1) كلمة هكسوس من الاسم المصري (حقاو خاسوت) أى الحكام الأجانب وقد دهموا القطر المصري حوالي سنة 1700 ق.م.

مصريا، ولم تكن شريعة القوم يومئذ تسمح بزواج الأميرات من الأجانب⁽¹⁾ لذلك نراه يعطيه ابنة كاهن أون زوجة.

والمشكلة التي تعترضنا في القول بأن مجئ بنى يعقوب كان قبل عصر الهكسوس، هو أن المختصون بالمصريات أجمعوا على أن الحصان ومن ثم العجلات الحربية لم تظهر في مصر إلا مع الهكسوس. بينما جاء في سفر التكوين ما يشير إلى استخدام العجلات الحربية في أيام يوسف "وأعطاهم يوسف عجلات بحسب أمر فرعون. وأعطاهم زادا للطريق..." (تك 45:21). فهل عرف المصريون الحصان والعجلات قبل مجئ الهكسوس ولو على نطاق ضيق، أم أنهم عرفوه أول ما عرفوا في عصر الهكسوس؟ وبالتالي يكون مجئ يوسف وإخوته قد تم في عهدهم. ولما كانت شواهد الأحوال تشير إلى أن فرعون يوسف يميل إلى كونه مصري. لذلك نرجح أن بنى يعقوب قد جاءوا إلى مصر قبيل عهد الهكسوس، خاصة وأن (إمرى) يذهب إلى أن استخدام العجلات الحربية في مصر كان منذ أيام الدولة الوسطى "فقد عثر في حفرياته في منطقة بدهن (وادي حلفا) في عام 1962 على هياكل لخيول دُفنت في مستويات قديمة في أحد الحصون المصرية حددها بعصر الدولة الوسطى"⁽²⁾. أما لماذا لم نعث على نقوش أو دفنات كثيرة لخيول في عهد الهكسوس أنفسهم، فربما لأن القوم لم يكونوا يعبدونه. وربما عرف المصريون العربات تجرها الحمير والثيران قبل استعمال الحصان وبذلك يمكن قبول أمر العربات التي جاءت في (تك 45:21).

وعسي ان تكشف لنا الأيام عن قبر يوسف الذي تم تحنيط جثمانه ودفنه وفقا لمراسم دفن ملوك مصر وعظماؤها، قبل ان يُنقل إلى كنعان ليُدفن بجوار آبائه (تك 50:25).

أما ارض جاثان التي أقاموا فيها فقد كشف عنها عالم الآثار إدوارد نافيل عام 1885. وتقع عند النل الكبير وتل المسخوطة حيث تم تسخير العبرانيين في بناء مدينتي فيثوم ورعمسيس، وقد لوحظ ان بعض اللبئات يخالطها التبن وبعضها القش وبعضها خال منهم⁽³⁾ لان فرعون منع عنهم التبن وقال لهم: " لست أعطيك تبنًا، اذهبوا انتم وخذوا لانفسكم تبنًا

(1) ولكن تغير ذلك الأمر بعد سقوط الدولة الحديثة فتزوج يربعام وسليمان من أميرات مصريات.

(2) د. محمد مهران – مصر والشرق الأدنى القديم ج3 ص 451 عن

W. Hayes. Egypt from the death of Amenmhat 2 to Sequenen Re 2. p.18

(3) وجد عمال شركة القناة أثناء الحفر طبقات من التراب الذي كان العبرانيون يبنون به مدينة رعمسيس فاستخدموه لبنات بنيت بها المساكن الأولى في مدينة الإسماعيلية. وفي الآية السابقة نرى جليا ان العبرانيين قد سخروا لبناء مدينتي المخازن بالطوب اللبن، وفيه ابطال لادعاءات اليهود بأنهم اشتركوا في بناء الاهرامات. فاين هم من هرم خوفوا – على سبيل المثال – الذي بني قبل ميلاد ابراهيم، الجد الأكبر لليهود، نحو خمسمائة عام؟! وهل بني الهرم بالطوب اللبن؟! (تك 45:21)

من حيث تجدون، انه لا ينقص من عملكم شيء، فتفرق الشعب في كل ارض مصر ليجمعوا قشاً عوضاً عن التبن" (خر 5: 10) وتبلغ مساحة مدينة فيثوم نحو عشرة أفدنة.

ونقش علي جدران مقبرة المدعو (رخمي رع) أحد وزراء تحتمس الثالث منظر يصور مجموعة من الرجال تدل هبتهم علي أنهم غير مصريين. فهم من الأسرى أو من العبرانيين أو من الاثنيين معاً، يقومون بأعمال البناء. ومن المحتمل ان تكون أعمال التسخير قد بدأت في عهده واستمرت لعهود تالية.

وعثر علي بردية⁽¹⁾ من عصر رمسيس الثاني ترجمها العالم شباس، وجاء فيها: "استرضاءاً لسيدي أتممت أمره الذي انفذه إلي قائلاً: أعط الجنود قوتهم أعط الخابيرو الذين ينقلون الحجارة لبناء البكهان الكبيرة للملك رعمسيس... فانا أجريت عليهم رزقهم في كل شهر بمقتضى الأوامر السامية التي انفذها سيدي إلي⁽²⁾."

ويعتقد البعض ان كلمة عابيرو او خابيروا هي كلمة عامة تطلق علي بني اسرائيل وعلى غيرهم من القبائل السامية التي كانت علي علاقة بمصر القديمة. وكان بعض هذه القبائل يغير علي البلاد من جهة الشرق، ولذلك كان الملوك يرسلون الحملات التأديبية بين الحين والحين. كما كانوا يقيمون القلال والتحصينات علي حدود مصر الشرقية. وقد ورد اسم العبريو (العابيرو / الخابيرو) في الوثائق المصرية منذ عهد تحتمس الثالث، وثبت وجودهم في عهد رمسيس الثاني، كما اسلفنا. وذكرت احدى المدونات أن 800 منهم كانوا يعملون في محاجر وادي الحمامات في عهد رمسيس الرابع⁽³⁾. وإذا كانت الدلائل تشير إلى خروجهم في عهد رمسيس الثاني أو في عهد ابنه مرنبتاح علي أكثر تقدير، فلذلك يتعين أحد أمرين: إما أن يكون العابيرو المشار إليهم اسم عام يطلق علي كل أسوي يدخل البلاد المصرية، وأنهم قوم آخريين يختلفون عن العبرانيين. او ان يكونوا هم بعينهم العبرانيين. ولكن الراجح انه اسم عام يشمل بني اسرائيل وغيرهم من القبائل الذين ربما ينتمون الي نسل عابر جد ابراهيم.

(1) محفوظة في متحف لايرد بهولندا

(2) الاسقف ايسيدوروس- المطالب النظرية في المواضيع الالهية ص 509

(3) نيقولا جريمال - تاريخ مصر القديمة ص 336.

موسى والخروج

فراعين الخروج:

ينتهي سفر التكوين عند موت الجيل الأول من الوافدين ممثلاً في يعقوب ويوسف وأخوته، ثم يليه سفر الخروج الذي يطلعنا علي قصة خروج العبرانيين من مصر، ساكتاً عما دار خلال فترة أقامتهم بالبلاد. ويشير فقط إلى انه اعتلي عرش مصر فرعون جديد لم يكن يعرف يوسف. وربما دل ذلك علي اعتلاء أسرة جديدة للسلطة. ويذكر انه شرع في تسخير العبرانيين وتضييق الخناق عليهم لانهم تكاثروا وباتوا يشكلون خطراً على بلاده. فقد سولت له نفسه، أو ربما أشار إليه مستشاروه أنه قد ينحاز هؤلاء الغرباء لأي عدو يغير يوماً ما على البلاد⁽¹⁾.

ومن ثم أخذ فرعون في إذلالهم، وتسخيرهم ليل نهار في العمل في المزارع، وفي بناء المخازن ليتسنى له تكديس المحاصيل التي تأتي إليه على سبيل الجزية من الخارج، وخراج الأرض من الداخل. ولم يكتفي بذلك بل انه أصدر أمراً بقتل ذكور العبرانيين الرضع. ولم ير بأساً من استحياء الإناث. كما انه استدعي قابليتين عبرانيتين هما شفرة وفوعه، وأمرهن ان يستحيين البنات ويؤمن البنين من المواليد (خر 1 : 15 - 22) فلم يطعنه.

وقد ظن احد العلماء ان عدد الخارجين من مصر كان ستمائة أسرة وليس ستمائة ألف رجل. فكيف -علي حسب اعتقاده- يتسنى لقابليتين فقط استولاد نساء هذا الكم الكبير. ولكن استدعاء فرعون لقابليتين لا ينفي وجود أخريات، وربما كانت (شفرة) و (فوعه) معروفتين لدي البيت المالك، أو ان أحداً من رجاله أتى بهما إليه. ناهيك عن ان ما بين واقعة قتل الاطفال والخروج مدة تقدر بنحو ثمانين سنة على الأقل، اذا فان عدد الخارجين (الستمائة الف رجل والاطفال والنساء) لم يكن هو نفس التعداد قبل ثمانين عاماً مضت عندما كان موسى لا يزال رضيعاً؛ اذ ان الخروج حدث وموسى قد بلغ الثمانين من عمره.

ونجى موسى من بطش فرعون فقد أخفته مريم أخته عن أعينهم ووضعته في صفط. ووضعت الصفط علي حافة النهر بين الحلفاء. وشاءت إرادة القدير ان تنتشله ابنة فرعون. بل وقامت أمه بإرضاعه. وتربي موسى في بيت فرعون وتلقي علوم المصريين في رحاب

(1) (اخر 1 : 8-10) وبالفعل كانت البلاد معرضة للتهديد من جميع الجهات: من الشمال والغرب كان اللوبيون وشعوب البحر يهددون أمن البلاد. ومن جهة الشرق اعتاد بدو الصحراء يغيرون علي أطرافها الشرقية. وكان الحثيون وغيرهم باعثاً يقلق أفئدة الفراعنة. وفي الجنوب كان الكوشيون دائمي الثورة ضد الحكم المصري.

جامعتها ممثلة في معبد عين شمس - المطرية حالياً حيث توجد مسلة سنوسرت الأول- إلى جانب أقرانه من أبناء الملوك والأمراء الذين تزاحموا علي المعابد من مصر ومن خارجها لتلقي أصول العلم ومبادئ الحكمة.

ونستدل مما جاء في (خر:1:8)⁽¹⁾ و (خر:2:23)⁽²⁾ على أن موسى النبي كان معاصراً لاثنين من ملوك مصر، وربما ثالث لم يذكر. ففي الأول يشير إلى فرعون الذي شرع في إذلال العبرانيين قبل وبعد مولد موسى. وذلك للحد من عددهم المتفاقم⁽³⁾.

ومن بطش هذا الملك نجا موسى وهو بعد طفل رضيع، وشاءت العناية الإلهية أن يتربى بين ذراعي أمه، التي أرضعته حباً، وسقته انتماءً لبني جلدته. فلم تؤثر فيه حياة القصر في كنف فرعون، وفي ظل حماية ابنته التي تبنته وهو طفل، وأعطته اسماً مصرياً هو مو- سا، أي ابن الماء⁽⁴⁾. والشاهد الثاني يصرح بأن ذلك الفرعون - وربما آخر - قد مات واعتلى العرش غيره. وكان موسى قد بلغ الأربعين من عمره.

ولما كان موسى في الأربعين من عمره انه رأى رجلين يتشاجران، فأنحاز إلى العبراني ضد المصري، ولما احتدم النزاع، أنه هم فضرب المصري ضربة أودت بحياته. فطمره تحت الرمال ليخفى آثار فعلته؛ لكن الرمال لم تكتم له سرا بل أفشته. ونما الخبر إلى مسامع فرعون. وخاف موسى من بطش مولاه، فهرب قاصداً الصحراء واستقر به المقام في ارض مديان.

ولعل خوف موسى من فرعون وهربه منه يضع أمامنا هذه التساؤلات:

إذا كان موسى قد تربى في القصر الملكي وكان بمثابة أمير في البيت المالك، فكيف يخاف فرعون إلى الحد الذي يدفعه للهرب من مصر إلى مصير مجهول، كان قطعاً أفضل عنده من قصاص الموت الذي كان ينتظره من قبل القصر؟ وإذا لم تشفع له مكانته، ألم يكن من الممكن أن تشفع له ابنه فرعون لدى أبيها باعتبار أن موسى هو ابنها بالتبني؟

(1) "ثم قام ملك جديد على مصر لم يكن يعرف يوسف فقال لشعبه هوذا بنو إسرائيل شعب أكثر وأعظم منا هلم نحتال لهم لنلا ينموا فيكون إذا حدثت حرب أنهم ينضمون إلى أعدائنا ويحاربوننا ويصعدون من الأرض فجعلوا عليهم رؤساء تسخير لكي يذلوهم بأثقالهم فبنوا لفرعون مدينتي مخازن فيثوم ورعمسيس"

(2) "وحدث في تلك الأيام الكثيرة أن ملك مصر مات وتهد بنو إسرائيل من العبودية"

(3) 600 ألف رجل + ثلاثة أضعاف علي الأقل من النساء والبنين.

(4) يدل معنى الاسم المصري: مو- سا أي ابن الماء على صدق رواية الكتاب المقدس بشأن وضع الطفل موسى في صفط واخفاه على حافة النهر بين الحلفاء ثم انتشال ابنة فرعون له.

وهل فرعون الذي انتشلت ابنته موسى وتبنته كان ما يزال جالسا على عرش البلاد بعد مرور ما يقرب من أربعين سنة؟ أم أن عرش البلاد انتقل إلى فرع آخر من العائلة الحاكمة، أو على الأقل إلى فرعون آخر غير الذي ولد في عهده موسى؟ وستظل الإجابة معلقة بمعرفة من هو فرعون الخروج حتى يظهر الدليل الدامغ الذي لا يصيبه الشك ولكننا نكتفي في هذا المبحث بذكر وتحليل الآراء التي قيلت في هذا الشأن.

وفي ارض مديان أحسن يثرون الكاهن إضافة موسى، فأواه وزوجه من ابنته صفورة التي أنجبت له جرشوم واليعازر ولديه. وبعد مدة كبيرة قضاها في كف حميه تراءى له الرب وأمره بالعودة إلى مصر لإخراج بنى جلدته (خر7:3-10).

واختلف المؤرخون في تحديد زمن الخروج، فمنهم من قال بأن الخروج تم في عهد الهكسوس معتمداً على العنصر الزمني. وهذا العنصر يستحسن استبعاده عند مناقشة أمر الخروج. أو على الأقل عدم الاعتماد كلية على التاريخ المعمول به بشأن الحقبة الفرعونية لعدم تطابقها في فترات كثيرة مع التاريخ الوارد بأسفار العهد القديم. وإن تطابقت بعض الأحداث، والأشخاص في وقت متأخر مثل شاشنق(شيشق)⁽¹⁾ وطهرقا (تراهقة)⁽²⁾، ونخاو (نخو)⁽³⁾ و حع -إب-رع (حفرع)⁽⁴⁾. وكذلك اتفاق الأماكن مثل منف (نوف)⁽⁵⁾ وبى - رعمسيس (رعمسيس) وايون⁽⁶⁾ مدينة الشمس (أون)، وتانيس (تحفيس)⁽⁷⁾... الخ. بل يعتقد ان الشعوب القديمة اختلفت كثيرا في تحديد الاوقات والازمنة⁽⁸⁾ يضاف الى ذلك انه توجد فجوات كثيرة في تاريخ مصر القديمة وغيرها من الشعوب لا يعرف مقدار المفقود منها على وجه التحديد. وذلك يرجع إلى ندرة المصادر إذا ما قورنت بطول الحقبة الزمنية. وكذلك لتعرض التاريخ الفرعوني لفترات اضمحلال كانت بمثابة صفحات فارغة في

(1) 1 مل 11: 40، 14: 25، 2 اخبار 12: 2-5، 12: 7-9.

(2) 2 مل 19: 9، اش 37: 9.

(3) 2 مل 23: 29-35، 2 اخبار 35: 20 و 22، 36: 4، ار 46: 2.

(4) ار 44: 30.

(5) اش 19: 13، ار 2: 16 و 44: 14 و 19، حز 30: 13 و 16.

(6) الكلمة تعني البرج في لغة قدماء المصريين ومنه كانوا يرصدون النجوم- د. احمد بدوي، في موكب الشمس ص 581، القاهرة 1950.

(7) ار 43: 7 و 8، ار 43: 9، 44: 1، 46: 14، حز 30: 18.

(8) "كانت السنة في نظر شعب عبارة عن شهر واحد وعند قبيلة عبارة عن فصل واحد من فصولها الاربعة اي ثلاثة اشهر فقط وعند امة عبارة عن اربعة شهور وعند دولة عبارة عن ستة شهور او عشرة او اثني عشر شهرا فلم تتفق الامم من بادئ بدء على تعيين مقدار ايام وشهور السنة الا قبل المسيح بقليل" - الاسقف ايسيدوروس - مشكاة الطلاب في حل مشاكل الكتاب ط 1929 ص 70.

تاريخ مصر الفرعونية. وهناك سبب آخر يمكن ان نضعه في الحسبان وهو إجماع القدماء عن تدوين سنوات النكبة وأيام القهر.

وهذا أمر طبيعي عند كافة الشعوب أن يعملوا على إزالة الضعف والهزيمة من ذاكرة تاريخهم. ولهذا لم نجد ذكراً لحادثة الخروج من مصر لما تبعها من هلاك لجيش فرعون. وما قدمته الضربات العشر من برهان على كذب سحرة مصر وكهنتها بشأن قوة معبوداتهم. كل ذلك جعل من تحديد زمن الخروج وفرعونه أمراً صعب المنال. ولذلك يفضل عند مناقشة هذا الأمر الاعتماد على القرائن الأخرى الى جانب العنصر الزمني الذي ما زال محل اختلاف المؤرخين وعلماء الآثار. ولهذا لا نستغرب كثيراً أن نجد أقوالهم تتباين في هذا الأمر. ونجد أصابعهم تشير إلى عدد متباين من الفراعنة ما بين تحوتمس الثالث وخليفته امنحتب الثاني. ومن قال بأنه امنحتب الثالث، وآخرون قالوا لا بل هو ابنه إخناتون، رابطين بين الخروج وثورة إخناتون الدينية.

ومنهم من أرجع حادثة الخروج إلى عهد سابق للأسرة الثامنة عشر فربط بين خروج بنى إسرائيل وحادثة طرد الهكسوس⁽¹⁾، مع أن الوثائق والأحداث تشير إلى أن الهكسوس خرجوا مغلوبين، بينما العبرانيين رحلوا غالبين.

واتجه موسى إلى أرض مديان وتزوج بإحدى بنات رعوثيل (يثرون) كاهن المديانيين، فانجبت له صفورة ولدين هما جرشوم واليعازر. وبعد اربعين سنة قضاهما هناك وبينما كان متوغلاً في عمق سيناء⁽²⁾ وعلى جبل حوريب ظهر له ملاك الرب على هيئة نار تشتعل في عليقة فلما اقترب لمشاهدة المنظر العجيب أتاه الصوت قائلاً :

" لا تقترب إلى هنا اخلع حذائك من رجليك لان الموضع الذي انت واقف عليه ارض مقدسة" (خر 3 : 5). ثم أمره بالعودة إلى مصر، لإخراج شعبه من هناك، ولقيادتهم إلى ارض كنعان. لأن فرعون الذي كان يطلب نفسه قد مات. فلي موسى امر الله لكن فرعون أباه. فانزل الله به وبأربابه⁽³⁾ عشرة ضربات كان آخرها موت أبكار المصريين. من بكر

(1) J. Von Sekerath. Tanis Asn Thben.

راجع كذلك د. أحمد فخري - مصر الفرعونية ص 378.
(2) تقدر مساحة سيناء بنحو 61 و 000 كم² وتعادل ثلاثة أمثال مساحة الدلتا. و 16:1 بالنسبة لمساحة مصر. وتنقسم الى ثلاثة اقسام : القسم الجنوبي ويقع بين خليج السويس وخليج العقبة على شكل مثلث قاعدته في الشمال. ويتكون من جبال نارية متراكمة وتتخللها السهول والوديان مثل سهل الراحة وسهل المرخا وسهل القاع.

(3) كانت ضربة تحويل ماء النيل الى دم لا يظال مزاعم كهنة (جع بي) اله النيل ولاعلان ان النيل هو من الله الواحد الذي يعبد موسى وقومه. وهكذا كانت باقي الضربات ضد قوة الالهة المزعومة.

الأسير في السجن إلى بكر فرعون (خر 12: 29)، فحدث صراخ عظيم اجتاح البلاد كلها. عندئذ لاذ بنو إسرائيل بالخروج ليلاً فحركوا من بي رمسيس⁽¹⁾ في شهر ابيب⁽²⁾. إلى سكوت⁽³⁾ (تل المسخوطة) (خر 12: 37). وكان ذلك بعد انتهاء فصل الفيضان وقد اثروا هذا الطريق غير المعتاد للسفر شرقاً (خر 13: 13). لتضليل المصريين الذين كانوا يسعون لاقتفاء أثرهم. وكان بسيناء أربعة طرق أولها وأهمها هو ما يسمى بطريق حورس الحربي ويبدأ من حصن ثارو حسبما جاء في نقوس سيتي الأول على جدران صالة الأعمدة الكبرى بالكرنك. وقد عرف في العصر اليوناني الروماني باسم سيل، ويقع حالياً عند تل أبو صيفي على بعد اثنين ونصف من الكيلومترات من القنطرة. وعلى بعد نحو خمسين كيلومتراً عن تانيس، و 26 كم جنوب غرب الفرما⁽⁴⁾ ويتجه هذا الطريق شمالاً حتى يصل إلى العريش ثم إلى الشيخ زايد ثم إلى رفح. وكانت تتخله الأبار والحصون وأبراج المراقبة.

ويلى حصن ثارو قلعة صغيرة تسمى مجدل (لفظة سامية تعني قلعة) من ماعت رع⁽⁵⁾. ولم يشأ الله أن يدرك العبرانيون هذا الطريق أو غيره بل أبقاهم في سيناء لامتحانهم وحتى لا تعترض الجيوش طريقهم. وأما فرعون الخروج فقد اختلف حوله الباحثون، وسوف نعرض آراءهم ونناقشها في ضوء ما لدينا من معطيات حتى الآن.

(1) يرى الراحل سليم حسن وغيره أن مقرها حالياً هو بلدة قنتير، وإنها كانت المقر الصيفي لمملوك الأسرتين التاسعة عشرة والعشرين - مصر القديمة ج 7 ص 121، وكذلك

Moise et Pharaon P. 51

(2) خر 13: 4 عد 23: 2.

(3) جاء ذكر سكوت - وكذلك فيثوم وإيثام - في البردية المعروفة باسم (ورقة أنسطاسي السادسة) وقد كتبت في العام الثامن من حكم مرنبتاح. وهي محفوظة الآن بالمتحف البريطاني، وقد جاء فيها "إن بعض بدو (شاسو) إيثام (ادوم) قد سمح لها على حسب التعليمات التي لدي أن يجتازوا حصن إقليم سكوت ليتاح لهم رعى ماشيتهم بالقرب من بلدة بتوم (فيثوم) في ضياع الفرعون - مصر القديمة ج 7 ص 110

(4) يسرية عبد العزيز - المدخل الشرقي لمصر ص 109 عن Gardiner, op.ut, p.104.

(5) اسم الميلاد للملك سيتي الأول والد رمسيس الثاني

أحمس الأول (1569-1545 ق.م.)

ذكر يوسيفوس (37-98 ق.م.) عن مانيتون أن الملك أحمس هو فرعون الخروج. معتبرا الهكسوس والعبرانيين شعبا واحدا. ولكن اعتبار ان الهكسوس هم بعينهم العبرانيين هو أمر بعيد كل البعد عن المعطيات التاريخية المتوفرة حتى الآن. فأولا لأن الهكسوس جاءوا إلى مصر غازين وفي أعداد غفيرة استطاعت ان تفرض نفسها على المصريين وتحتل أرضهم لنحو قرن ونصف القرن من الزمان. أما آل يعقوب فجاءوا في قلة لم تتجاوز السبعين نفسا. وقد جاءوا مسالمين طالبين للعيش. ومكثوا بالبلاد أكثر من أربعة قرون. وفضلا عن ذلك ان الهكسوس خرجوا مطرودين بالقوة العسكرية وبعد معارك ضارية بين الفريقين، وأما العبرانيين فهربوا في جنح الليل تحت أستار الظلام وذلك بعد مفاوضات فاشلة مع فرعون. وإلى جانب هذا وذاك فان عاصمة أحمس لم تكن بشرق الدلتا حيث أقام العبرانيون فهو طبيعي النشأة والإقامة.

تحتمس الثالث (1504-1452 ق.م.)

لجا البعض الآخر إلى افتراض تحتمس الثالث فرعونا للخروج معتمدين على التوافق التاريخي بين عهد تحتمس بحسب التاريخ المصري، وزمن الخروج بحسب ما جاء في العهد القديم: " أنه كان في سنة الأربع مئة والثمانين لخروج بني إسرائيل من ارض مصر. في السنة الرابعة لملك سليمان على إسرائيل في شهر زيو وهو الشهر الثاني انه بني البيت للرب.. " (1مل6:1). والسنة الرابعة لملك سليمان هي تقريبا سنة 967 ق.م. وبالتالي فتكون سنة الخروج عندهم هي سنة 1446 ق.م. وهو ما يوافق فترة حكم تحتمس الثالث. ويؤكد جون جارستانج "انه قد كشف في مقابر أريحا الملكية ما يشير إلى ان موسى قد انتشلت من الماء الأميرة المصرية حتشبسوت عام 1527 قبل الميلاد على وجه التحقيق. وانه تربى في بلاطها بين حاشيتها، ثم فر من مصر حيث جلس على العرش المصري عدوها تحو تمس الثالث" (1). وهذا الرأي وان كان يدعو إلى الاطمئنان أيضا إلا انه تعترضه عدة مشكلات تجعله بعيدا عن أمر الخروج:

1- ان مدينة رمسيس لم تكن قد بنيت بعد، وهذا ما يجعلنا لا نقبل ان الخروج تم في عهد سابق للأسرة التاسعة عشر.

(1) ا. د محمد مهران - مصر والشرق الأدنى القديم ج3 ص 457.

2 - إذا كان الخروج قد تم في عهد تحوتمس الثالث فإن دخول ارض كنعان يتعين أن يكون قد حدث في عهد ابنه امنحتب الثاني أو في عهد تحوتمس الرابع على أقصى تقدير. وفي تلك الأثناء كانت كل بلاد كنعان خاضعة للحكم المصري؛ فكأن بني اسرائيل تركوا ارض مصر ليسكنوا في ارض تابعة لمصر، أي كأنهم استعانوا بالرمضاء على النار!

وأصحاب هذا الرأي يقولون إن بعض رسائل تل العمارنة التي بعث بها حكام المدن الفلسطينية التابعة لمصر إلى بعض ملوك الأسرة الثامنة عشرة مثل امنحتب الثالث وابنه اخناتون يطلبون العون من فرعون، تشير إلى تعرض هذه المدن لهجمات من الخارج. وقد اعتبر البعض ان تلك الهجمات هي التي شنها العبرانيون. ولكن سفري يشوع والقضاة لم يتحدثا عن اية معارك كانت ضد المصريين، أو ضد حكام تابعين لمصر. كما أن أسماء حكام هذه المدن الواردة في يشوع والقضاة تختلف عن أسماء حكام المدن الواردة في رسائل العمارنة. فان حكام اورشليم وجازر وصور هم على التوالي: عبيدي خيبا، ويباخي (يباخو)، وعبد تيرش. وذلك بحسب خطابات العمارنة بينما في يشوع والقضاة نرى ادوني صادق على اورشليم (يش10:1 وقض1:5). وهورام حاكما لجازر (يش10:33). أما عرش صور فكان يعتليه يابين (يش11 وقض4:3). فإذا كانت أسماء الملوك مختلفة فان الأزمنة والتواريخ أيضا مختلفة. فضلا عن ذلك، كانت عاصمة تحوتمس في جنوب البلاد (طيبة)؛ بينما عاش العبرانيون في شرقي الدلتا بالقرب من عاصمة الرعامسة. كما ان أعمال الحفر التي أجريت في شرقي الأردن دلت على ان دبير⁽¹⁾ كانت تابعة للسيادة المصرية حتى عهد امنحتب الثالث. وكذلك أشارت أعمال الحفر التي أجريت في بيت شان (بيسان) في سهل يزرعيل إلى خضوعها للحكم المصري في ذلك الحين، فوجدت بها أسماء عدد من الملوك مثل امنحتب الثالث ورعمسيس الثاني وغيرهما. لذلك فمن غير المعقول ان يكون يشوع قد استولى عليها في عهد سابق لهؤلاء الملوك.

(1) بیت مرسیم وتقع علی بعد 13 میلا جنوب غرب حبرون.

توت عنخ آمون (1355-1346 ق.م.)

دعا العالم سيجموند فرويد مؤسس مدرسة التحليل النفسي إلى القول بأن الخروج قد تم بعد موت اخناتون، وفي عهد توت عنخ آمون رابطا بين عقيدة اخناتون التوحيدية وبين دعوة موسى إلى عبادة الله الواحد. ولكن هذا الرأي تعرضه مشكلات جمة منها:

1- ان عبادة قرص الشمس لم تكن من اختراع اخناتون بل انه كان يعبد منذ عهد الدولة القديمة تحت اسم رع، فوجد اسمه ملحقا لكثير من أسماء الملوك ولعل أكثرهم شهرة هو خفرع (خع اف رع) رابع ملوك الأسرة الرابعة. وكذلك من كاو رع. (منقرع). وجل ملوك الأسرة الخامسة مثل (ساحو رع)، و(ني اوسر رع)، و(نفر اف رع)... كما ان عبادة قرص كانت كانت منتشرة عند شعوب الشرق القديم، وعرف عندهم باسم (شمش)، وقد امتدت عبادته الى وسط بني اسرائيل في عصر الملوك. وكان يوشيا ممن تصدوا لهكنته وهدم انصابه (2 اخبار 34 : 4).

2- إن عبادة اخناتون لقرص الشمس لا تدل على معرفة خالصة لله الواحد الذي به نؤمن. كما لا تدل على ان ما دعا إليه هو وحي منزل. بل هو اجتهد بشري لا نعلم بالضبط ما الذي دعاه إليه. ومن يدقق النظر في قصيدة اخناتون يجد أن بها من الأوصاف ما لا ينطبق على الله تعالت قدرته مثل قوله "والخير في اثر كل قدم منذ أن خلقت العالم وأوجدتهم لابنك الذي ولد من لحملك ملك الوجه القبلي والوجه البحري (اخناتون)... وعندما تغيب في افق السماء الغربي ينامون كأنهم اموات" (1).

وإذا افترضنا جدلا أن اخناتون كان يدعوا إلى عبادة الله الواحد (2) حسبما ذهب الكثيرون أمثال فرويد، وبرستد، وماير، وهول، وارمان، ومن نحا نحوهم؛ فهل كانت دعوته من خلال وحي الهي أم انه استقى مبادئ الوجدانية من العبرانيين الموجودين بمصر؟ فإذا كانت من وحي الله فلماذا لم يعلن الله عن نفسه صراحة دون حاجة إلى قرص الشمس؟! ولماذا لم نرى صدىً وامتدادا لهذه الدعوة عند المصريين من بعد؟! وبتعبير آخر إذا كانت دعوته سماوية فلماذا لم تؤازرها النعمة الإلهية لنشر الحق بين المصريين

(1) سليم حسن - مصر القديمة ج 5 ص 308، 311.

(2) يذكر العلامة الدكتور احمد بدوي في مؤلفه المعنون "في موكب الشمس ص 580" عن Weigall في كتابه the life & time of Akhenaton ان اخناتون استقى عقيدته من امه التي جاء بها الى بلاط ابيه من احد الأقطار الآسيوية، وانها تعود الى أدونيا او ادون الذي تحول الى اتون فهو يرى ان عبادة اتون هي تحريف لللفظة العبرية أدونيا. وقد وردت عدة مرات في العهد القديم وهي تعني القدير، وهو من الاسماء التي حملها الله على ذاته. ولكن مع ذلك توجد اختلافات كبيرة بين عقيدة اخناتون في معبوده وبين الله الحقيقي الذي عبده ابااء العهد القديم والذي به نؤمن.

القدماء. وإذا كانت دعوة إلهية في زمن موسى فلماذا لم يوحد النبيان دعوتهما بل وما الداعي لوجود موسى أصلاً إذا كان اخناتون صاحب رسالة سماوية ؟!!!

3- إذا كان اخناتون صاحب رسالة توحيدية خالصة لله الواحد فلا يمكن ان نسلم باضطهاده للعبرانيين ولا لنبي الله موسى.

رمسيس الثاني (1304-1237 ق.م.)

4- ذهب R. P. De vaux إلى أن الخروج تم في النصف الثاني من حكم رمسيس الثاني. وذهب (كنت ا. كتشن) إلى القول بان فرعون الذي بدا في تسخير الإسرائيليين في صناعة الطوب هو سيتي الأول، وأنهم استمروا في العمل لبناء عاصمته الصيفية الجديدة حتى أوائل عهد رمسيس الثاني ابنه⁽¹⁾. وان ابنه وولى عهده المتوقع (أمون حرخشف) هو بكره الذي مات اثر ضربة موت الأوبك.

ومع انه لم يتوفر الدليل المادي الأكيد على ترجيح هذا الرأي أو غيره، إلا إننا نأخذ بعين الاعتبار فهو اقرب الى التصديق من الآراء السابقة. والمشكلة التي تواجهنا في اعتبار سيتي الأول هو البادئ في تسخير بني يعقوب، هو تصريح سفر الخروج بأن فرعون سخرهم في بناء مدينتين أحدهما تحمل اسم رمسيس وليس سيتي. ولكن يمكن قبول هذا الرأي على اعتبار ان رمسيس استأنف العمل بعد أبيه ومن ثم أطلق اسمه على المدينة. وفي هذه الحالة يكون ما جاء على لوحة مرنبتاح ابن رمسيس الثاني "إسرائيل خربت ولم يعد لها بذر" انه إشارة إلى خروج بنى إسرائيل الذي تم - كما قيل - في عهد سلفه. ويذهب أصحاب هذا الرأي إلى اعتبار رمسيس الثاني فرعوناً للخروج وذلك للأسباب الآتية :

1- ان النقوش الموجودة على جدران المعابد التي أقامها رمسيس تذكر انه سخر الأسرى من التمحو والرتنو وغيرهم في اعماله الانشائية. 2- ذكر سفر الخروج لاسم مدينة رمسيس، وتحديد الجهة التي بنيت فيها هي وجاراتها فيثوم شرقي الدلتا في ارض جاسان (جوشن)⁽²⁾، وهو ما أثبتته أعمال الحفر التي أجريت في المنطقة حيث عثر على أطلالها.

(1) كنت ا. كتشن - رمسيس الثاني فرعون المجد والانتصار 106.

(2) يرى R.P.De vaux أن أرض جوشن هي وادي طميلات بالقرب من البحيرات المرة

3- وجود عاصمة الرعامسة هناك - كما أثبتته الآثار- يتيح لموسى أن يتحدث مع فرعون ومع شعبه بين ليلة وضحاها.

وهذا الرأي وإن دل على علاقة رعمسيس بتسخير العبرانيين إنما لا يجزم بالقول أنه هو فرعون الخروج إلا إذا اعتبرنا أن سيتي الأول هو الذي بدأ العمل. وأنه انتهى في عصر ابنه رعمسيس فأضحت المدينة تحمل اسم الذي أتمها. ومعروف أن أعمال التسخير كانت قائمة إذ كان موسى حديث الولادة. وقد مات هذا الفرعون بينما كان موسى هاربا في ارض مديان، بل ربما قبل ذلك. وإن ما بين ولادة موسى والخروج ثمانين عاما. ولكن ذلك لا يمثل مشكلة كبيرة إذا علمنا أن رعمسيس امتد به العمر حتى جاوز الثمانين من عمره. ومع ذلك يميل جمهور المختصين إلى اعتباره فرعون التسخير وحسب. فيقول الأستاذ الدكتور محمد بيومي مهران "... وبالتالي فإن رعمسيس الثاني قد يكون فرعون التسخير، ولكنه ليس فرعون الخروج" (1).

ويشغلها الآن قرى العباسية والظاهرية والتل الكبير والقصاصين والمحسمة وابو صوير ونفيشة وهي تقع على ضفاف ترعة الاسماعيلية.

(1) د. محمد بيومي مهران - مصر والشرق الأدنى القديم 487.87.

مرنبتاح ولوحة اسرائيل (1237-1226 ق.م.)

منذ تم العثور على لوحة مرنبتاح على يد فلنדרز بترى، والتي اشتهرت تحت اسم "لوحة اسرائيل"⁽¹⁾ لأنها تضمنت لأول مرة في النصوص المصرية القديمة اسم اسرائيل. ومن ثم بدأت أنظار البعض تتجه إلى مرنبتاح، ولكن البعض الآخر تأنى في إصدار الحكم. خاصة وان العبارة المذكورة بشأن اسرائيل مبهمة ولا تشير صراحة إلى أمر الخروج.

محتوى اللوحة:

تتضمن هذه اللوحة التذكارية الأعمال الفخرية التي قام بها الفرعون. فهي تذكر قصة انتصاره على التمحو الذين هاجموا البلاد. كما لم يفت منشد القصيدة ان ينعت الملك بالجد والكرم والعدل تجاه رعاياه. وفي ختام القصيدة ذكر القبائل والأقاليم التي أخضعها. والتي من بينها قبيلة بنى اسرائيل كما يقول النص "... بلاد التمحو كسرت في مدة حياته... جعل اللولبيين الذين وطنوا أرض مصر ينكصون على أعقابهم... وبلاد خاتى أصبحت مسالمة. وزالت كنعان بكل شرها. وأزيلت عسقلان. وجيزر(جازر) قبض عليها. وينوعم أصبحت لا شئ. اسرائيل خربت وليس بها بذر. وخارو(بلاد الحوريين) أصبحت أرملة لمصر. وكل الاراضي وجدت السلم"⁽²⁾. وتعني هنا عبارة "واسرائيل خربت وليس بها بذر"⁽³⁾ التي نقلت إلى العربية بألفاظ مختلفة كما يلي:

قال برستيد: واسرائيل قد أقفروا وبذرتهم قد انقطعت.

وقال جرفث: وقوم اسرائيل قد صاروا قفرا، ومحاصيلهم قد ذهبت.

وقال بترى: وقوم اسرائيل قد اتلفوا. وليس لديهم غلة(بذر).

وقال نافيل: واسرائيل قد محي وبذرته لا وجود لها.

(1) لوحة من الجرانيت الأسود عثر عليها بترى في المعبد الجنائزى للملك مرنبتاح فى طيبة.
(2) "... Breaking into the land of temeh in his lifetime...the wretched enemy prince of Libya fled alone in the depth of night...Hatti is pacified; Canaan is plundered with every evil; Ashkelon is taken; Gezer is captured; Yanoam is made non-existent; Israel lies desolate; its seed is no more; Hurru has become a widow for To-meri; All the lands in their entirety are at peace, Everyone who was a nomad has been curbed by King Merenptah."

D. Winton Thomas, documents from old testament times, p.138.

(3) "Israel est detruit. n'a plus de semence" Daniel Rops – histoire sainte p.

والسؤال هنا، هل تشير العبارة إلى بنى إسرائيل حال كونهم مملكة قائمة فى بلاد كنعان. أم أنها تشير إليهم على أنهم قبيلة غريبة سكنت البلاد حيث نمت وتكاثرت وأصبحت تمثل خطرا يهدد أمنها. وبزوالهم زال الخطر؟ فإذا كان المقصود هو مملكة إسرائيل فى بلاد كنعان، فيتعين ان يكون الخروج قد تم فى عهد سابق لمرنبتاح، لأنهم بعد خروجهم من مصر ضلوا مدة أربعين سنة فى ببداء سيناء. كما أنهم استغرقوا وقتا طويلا فى حروبهم مع الأموريين والموابيين وغيرهم من سكان كنعان، قبل أن تقوم لهم قائمة ويكونون مملكة. الأمر الذي تحقق فعليا فى عهد شاول وبلغت المملكة مجدها على يد داود وسليمان. وقد ظلت المملكة قائمة حتى بعد الانقسام الذي وقع بعد موت سليمان. اى بعد عهد مرنبتاح بل والدولة الحديثة برمتها. أي أن زوال بذرة بنى إسرائيل كمملكة لم يتحقق تاريخيا لا فى عهد مرنبتاح ولا فى عهد احد من خلفائه. أما زوال بذرتهم من مصر فهو ما تحقق فعلا عن طريق الخروج. كما أن التوراة لم تشر إلى أية حروب وقعت بين العبرانيين ومصر منذ خروجهم وحتى عهد رحبعام ابن سليمان، عندما قاد شاشنق حملة ضد مملكة يهوذا. بل إن سليمان نفسه تزوج من أميرة مصرية لعلها ابنة بسوسينوس احد فراعين الأسرة الواحدة والعشرين.

ويؤكد الدكتور سليم حسن أن النص يشير إلى الخروج بقوله:

" ولاحظ أن فى الأصل المصري تفصيلا فى كتابة كلمة إسرائيل له أهميته، فحينما نجد فى كتابة اسم قوم من الأقوام الذين ذكروا مع إسرائيل مخصصا فى نهاية الاسم، دل ذلك على البلاد الأجنبية، وهذا المخصص فى كلمة إسرائيل غير موجود. بل كتب بدلا منه مخصص يدل على أنهم قوم أجانب. والنتيجة التى يمكن استخلاصها من كتابة هذا المخصص هي: ان إسرائيل كانوا أجانب لا وطن لهم... ومع ذلك نعلم ان عناصر النقش نفسه تعارض الرأي القائل: بان الإسرائيليين كانوا يسكنون فلسطين بل على العكس يميل إلى الراى القائل بان البلاد التى كانت تفيض بالامن والسلوى - يقصد لبنا وعسلا - لم تكن قد احتلت بعد. فقد كانت كنعان (فلسطين) لا تزال الأرض الموعودة لا الأرض المملوكة ".

ولتأكيد وجهة النظر عينها ذكر الأستاذ الدكتور محمد مهران عن الأستاذ احمد عبد الحميد يوسف "ولا شك أن الشعوب والبلاد الأجنبية فى ذلك النص تسع عشرة مرة لم يغفل رسم الأرض الأجنبية فى واحدة منها مما سبق اسم إسرائيل أو لحق به "

ويقول نافيل: "إن النقش يشير هنا إلى خروج بنى إسرائيل، وكذلك يعنى انه طرد من ارض مصر جنس أجنبي من البدو يدعى إسرائيل ومعهم أولادهم وكل ما يتبعهم، ومن ثم يصبح لا وجود لهم بالنسبة لمصر".

وعلى ذلك يحصر نافيل أمر الخروج فى عهد مرنبتاح وبالتالي يعتبر ان رمسيس الثاني هو فرعون البادئ بالتسخير. وفى ذلك يقول نافيل "انى لا أزال مُسلماً بوجهة النظر التى أدلى بها ليسيوس عن موضوع خروج بنى إسرائيل ان مضطهد اليهود هو رمسيس الثاني الذى كان حكمه الطويل بداية انحلال الإمبراطورية المصرية، وان فرعون الذى ينسب له خروج بنى إسرائيل هو ابنه مرنبتاح"⁽¹⁾.

ويقول الأستاذ سايس: "إن الآثار المصرية تحصر هذه الحادثة فى حكم الفرعون مرنبتاح". ومما يدعم هذا الرأي أيضا ما جاء فى بردية أنسطاسي السادسة⁽²⁾: " إن بعض بدو(شاسو) ايتام (أدوم) قد سمح لهم على حسب التعليمات التى لديه أن يجتازوا حصن إقليم سكوت⁽³⁾ ليتاح لهم رعى ماشيتهم بالقرب من بلدة بتوم "

ويقول الدكتور سليم حسن: "ومن البديهي إن هذه الحالة لا يمكن أن تحدث إذا كان الإسرائيليون لا يزالون يقيمون فى ارض غوشن فى السنة الثامنة من حكم هذا الفرعون"⁽⁴⁾.

ويقول د. عبد الحميد زايد: "أما نتائج حفر Montet فى تانيس أو Pi-Ramses تدل على صحة الراى القائل بوقوع خروج اليهود فى عصر مرنبتاح ولا يوجد أى اثر لنشاط الملوك وقع أيام الأسرة الثامنة عشرة. لقد كانت Pi Ramses على ما يظهر من خلق رمسيس الثاني وليست من عمل ملك آخر... ويميل جمهرة العلماء إلى ترجيح خروج بنى إسرائيل من مصر فى الأيام الأولى لعهد مرنبتاح".

ويؤكد على ذلك الراى الدكتور محمد مهران بقوله "ان الراى الذى يجعل خروج بني إسرائيل في عهد مرنبتاح، وبالتالي فهو فرعون موسى، إنما هو اقرب الآراء إلى

(1) سليم حسن - مصر القديمة جزء 7 ص 109 عن

.Archeology of the old testament p. 93

(2) محفوظة فى المتحف البريطانى.

(3) تل المسخوطة فى وادي الطميلات بجوار منطقة ابي صوير على بعد 17 كم غرب مدينة الاسماعيلية واسمها المصري تيوخوت أو سيخوت أو سكوت ومعنى الاسم باب المشرق وقد وجد بهذا التل تماثيل كثيرة لرمسيس الثاني... - انظر: فواد فراج- المدن المصرية ص 30.

(4) سليم حسن- مصر القديمة ج 7 ص 110.

الصواب وهو الرأي الذي نميل إليه ونرجحه على ان يكون الخروج فى العام الأخير من حكم مرنبتاح" (1). وكتب ماسبيرو معضدا نفس الرأي ما نصه:

" Merenptah serait d'après une tradition d'origine Alexandrine le pharaon de l'exode celui qui dit on aurait péri dans la mer rouge "(2)

وترجمته:

" بناء على تقليد يرجع لأصل سكندري يعتقد ان مرنبتاح هو فرعون الخروج، ويقال انه هو الذي غرق في البحر الأحمر ".



لوحة مرنبتاح - المتحف المصري

(1) د. محمد مهران - مصر والشرق الأدنى القديم ص 505.
(2) (D. Maurice Bucaile – la bible et la science p. 231

Guide du visiteur du musee du caire...

عن كتاب ماسبيرو

طريق الخروج بين التوراة والآثار

بر- رعسيس:

نفهم مما جاء في سفر الخروج (1:11) أن العبرانيين سخروا في بناء مدينتين احدهما تحمل اسم فيثوم، والثانية تحمل اسم رعسيس. وحيث أن إحدى المدينتين حملت اسم الملك رعسيس فذلك يتعين أن يكون فرعون التسخير يحمل اسم رعسيس. ولكن هناك نحو احد عشر ملكا يحملون نفس الاسم أولهم هو مفتتح الأسرة التاسعة عشرة، وآخرهم هو خاتم الأسرة العشرين. ولكن الاكتشافات الأثرية وعلى رأسها لوحة مرنبتاح جعلت معظم الباحثين ينسبون تلك المدينة إلى رعسيس الثاني.

وقد اختلف العلماء والباحثون في تحديد نقطة البدء في الخروج، وحط كل منهم ركاب أبحاثه في منطقة بعينها ما بين الفرما⁽¹⁾ وتانيس⁽²⁾ وتل الرتبة⁽³⁾. ولكن انتهى أكثر الباحثين إلى ترجيح بلدة قنتير⁽⁴⁾ النقطة الأولى لانطلاق العبرانيين فقد اقترحها محمود بك حمزة نتيجة لأعماله الحفرية هناك، وأيد نتيجة أبحاثه هيس وسليم حسن وغيرهما، وذلك لقربها من سكوت (جكو- تل المسخوطة) المحطة الأولى بعد الخروج.

وجاء في قصة الراهبة إيثيريا التي زارت الأماكن المقدسة في سيناء أنها مرت بمدينة تدعى رعسيس وقالت أنها تقع على بعد أربعة أميال من أرابيا (فاقوس) وقالت في وصف أطلالها: "حقاً إنها كانت ظاهرة للعيان لأن سورها كان ضخماً وفيه مبان عديدة، وعلى أية حال فإن مبانيها ساقطة على الأرض وتظن الآن كأنها لا نهاية لها بيد أنه لا يوجد شيء الآن منها إلا حجر ضخم طيبي قد نُحت فيه تمثالان ضخمان يقال أنهما للقدسين موسى وهارون⁽⁵⁾ لأنه يقال: إن بنى إسرائيل قد وضعوا هناك تذكراً لهما "

-
- (1) تقع شرقي بورسعيد، اقترحها شاباس وأيده فيها جاردنر لفترة ثم غير رأيه.
 - (2) صان الحجر/ صوعن التوراة والمزامير 12، 43، 78. أشار إليها مونتيه Montet كثمرة لأبحاثه هناك وجذبت آراءه جاردنر ليأخذ بها. وأيده كل من هول وبروجش وغيرهما.
 - (3) اقترحها بترى ووافقه عليها نافيل وغيره.
 - (4) تقع على بعد عشر كيلومترا إلى الشمال من فاقوس، ونحو خمسين كيلومترا من الزقازيق.
 - (5) لعل التمثالين كانا لرعسيس الثاني أو لغيره من الفراعنة لأنه من المستبعد أن يسمح للأجانب بنحت تماثيل ولم يكن العبرانيون محتلين للبلاد ولهم من القوة والجبروت أن يصنعوا تماثيل لزعيمهم، كما أن موسى لم يكن ليوافقهم على ذلك. ناهيك عن انشغال القوم فيما كانوا مسخرين للقيام به، وكان همهم الأول أن يولدوا بالفرار من البلاد لا أن يقيموا فيها تماثيل.

ويؤكد كثير من الباحثين أن قنثير هي مدينة رعمسيس القديمة "والرأي المرجح الآن هو أن قنثير كانت عاصمة الملك المسماة بر رعمسيس، وهذا يتفق مع الطريق التي سلكها بنو إسرائيل" (1).

ومما يعضد رأي الباحثين في أنها كانت مقرا للرعامسة هو وجود معابد لكبار الآلهة مثل آمون، وبتاح، وست. فضلاً عن أنه قد عثر بها على اجزاء من تلك القصور الملكية. كما عثر على أسماء رجال الدولة مثل (ست حر خبشف) رئيس الجيش، و(بتاح معي) رئيس كتبة المعبد، والوزير(خعي) وغيرهم. وبالطبع كان رجال الدولة يقيمون حيث يوجد مليكهم، أو بالقرب منه. وحتى تكون قريبة من البلاد السورية التي كان سكانها دائمي الثورة على الحكم المصري. وكثيراً ما كانت قبائل الشاسو (البدو من العرب وغيرهم) تهدد البلاد من تلك الجهة. ويعضد هذا الرأي الاثريان الأستاذ W.C.HAYES والدكتور سليم حسن وغيرهما.

ومع ذلك فيرى جاردنر أن بيلوزيوم / الفرما⁽²⁾ كانت هي عاصمة الرعامسة وقطعا بنى رأيه على آثار تحمل اسمائهم هناك. وردا على ذلك، وكما ذكرنا فإن وجود آثار لملوك في مكان معين لا يعنى بالضرورة أنهم أقاموا بهذا المكان. فمثلاً وجدت بمعبد سيرابيس بالإسكندرية آثار تحمل اسم رعمسيس وحرور محب وتحتتمس الثالث، وغيرهم ممن عاشوا قبل أن تبنى مدينة الإسكندرية بمعبيها قبل أكثر من ألف عام. وقطعا نقلت آثارهم من مواقع أخرى ونصبت في معبد سيرابيس. ولعل ما تم الكشف عنه جعل جاردنر يغير رأيه؛ ومال إلى اعتبار تانيس هي عاصمة الرعامسة، ثم رجح بعد ذلك أواريس.

ورأى نافيل أن مدينة فكوسا الإغريقية (فاقوس حالياً) هي التي كانت مدينة رعمسيس المعنية. وإذا لم يتفق العلماء والباحثون على تحديد موقع عاصمة الرعامسة تحديداً دقيقاً إلا أن الجميع لم يخرجوا عن منطقة شرق الدلتا حيث أقام العبرانيون، وهي قريبة من خليج السويس - الذي كان ممتداً شمالاً - حيث عبروا.

وقد وردت أوصاف مدينة الرعامسة على بردية أنسطاسي الخامسة. حيث جاء فيها "لقد بنى جلالته لنفسه قلعة اسمها عظيمة الانتصارات... رعمسيس مري آمون فيها بمثابة إله... والوزير شمس الأمراء". وبمطابقة ما جاء على هذه الورقة بما عثر عليه في بلدة قنثير من قطع فخار تحمل اسم رمسيس الثاني منعوتاً بلقب شمس الأمراء. وحاكم الحكام،

(1) د. سليم حسن - مصر القديمة ج 7 ص 122
(2) عرفت في العصر المسيحي باسم برما أو برمون وفي العصر العربي عرفت باسم فرما وقد اندثرت الآن ومكانها تل الفرما على بعد 3 كم شرق بورسعيد. (انظر: فؤاد فراج- المدن المصرية ص 13)

جعل الأستاذ محمود حمزة وغيره يرون في قنتير أنها هي بعينها مدينة رعمسيس. ومما يدعم تلك النظرية العثور على أسترأكا أخرى في نفس المنطقة مكتوب عليها اسم المدينة (بر- رعمسيس). وتتحدث عن وجود دن(مخزن) للنبيذ فيه أو أن مخزونة لا لإستعمال المقر الملكي فقط بل وكذلك لمد معابد الإقليم الجنوبي بما يحتاجه منه. ويؤكد الدكتور سليم حسن أن قنتير هي عاصمة الرعامسة وذلك بقوله: " وتدل شواهد الأحوال على أن هذه المدينة كانت قد بدئ العمل فيها في العهد الذي اشترك فيه رعمسيس مع والده في الحكم بل يحتمل أن رعمسيس قد اتخذها مركزاً له ولما توفي والده وانفرد بالحكم نقل الحكومة إليها" (1)



تانيس

سكوت (تل اليهودية):

" فارتحل بنو إسرائيل من رعمسيس إلى سكوت نحو ست مئة ألف ماش من الرجال عدا الأولاد..." (خر: 12: 37) "فارتحل بنو إسرائيل من رعمسيس ونزلوا في سكوت" (عد 5: 33). يعتقد جاردنر⁽²⁾ أن سكوت هي جكو التي وردت في إحدى أوراق انسطاسي وأنها تقع على مسافة قصيرة من بحيرة التمساح وتبعد عن قنتير بأقل من سبعة

(1) سليم حسن - مصر القديمة ج 6 ص 389

(2) Gardiner- Egypt of the Pharaohs p. 237

أميال⁽¹⁾ أو عشرين كيلومترا⁽²⁾ وصل إليها بنى إسرائيل في مسيرة يوم واحد. وقد ورد اسم هذه المنطقة في البردية أثناء الحديث عن هروب عبيدين من البلاط الفرعوني "وبعد فقد أرسلت من بلاط القصر الملكي وراء هذين العبيدين في اليوم التاسع من الشهر الثالث من فصل الصيف وقت المساء. ولما وصل إلى حصن سكوت في اليوم العشرين من الشهر الثالث علمت بأن أخبار الجنوب تقول: فرا ذاهبين... ولما وصلت إلى القلعة أخبرت أن السانس قد حضر من الصحراء...". واستنادا على وصف الورقة لموقع سكوت بأنها على الحدود ويسكنها الأجانب وأن بها قلعة تدعى "ختم سكوت وبها بحيرات (بتوم مرنبتاح) التابعة لبلدة سكوت، يرجح د. سليم حسن موقعها عند الصالحية. وأن هذه البحيرات "لا تخرج عن كونها بحيرة مهيشر، ومستنقعات سعده، وأكياد، وقد كان الفراعنة مغرمين بالصيد والقنص في أعشاب هذه المستنقعات..."⁽³⁾

وقد وصل عندها العبرانيون وعددهم يقدر بنحو مليونين ونصف المليون من الأنفس (600 ألف رجل + ثلاثة أمثال العدد من النساء والأطفال) (خر 13:37).

وتوجد مدينة أخرى تحمل اسم سكوت في الأردن، كانت تقع بالقرب من شكيم ومن مدينة أخرى تسمى صردة / صرتان⁽⁴⁾. وهذه المدينة القديمة بناها يعقوب وهو في طريقه من بلاد آرام إلى أرض كنعان. فهناك صنع مظلات لمواشيه لذلك أطلق عليها اسم سكوت (تك 17:33). ولكن هذه المدينة وقعت بعد ذلك في أيدي الأموريين فكانت تابعة لسيحون زعيم مملكة حشبون الامورية.

صحراء ايثام:

" وارتحلوا من سكوت ونزلوا في ايثام في طرف البرية وكان الرب يسير أمامهم نهارا في عامود سحاب ليهديهم في الطريق وليلا في عامود نار ليضيء لهم لكي يمشوا نهارا وليلا " (خر 13: 20 و 21). كانت توجد عدة طرق⁽⁵⁾ تمر بسيناء كان يسلكها المسافرين من التجار والرحل، كما كانت تسلكها الجيوش الخارجة من مصر أو القادمة إليها. فاستخدمها الفراعنة منذ أقدم العصور في حملاتهم العسكرية وفي بعثاتهم التعدينية في مناجم سيناء.

(1) نجيب ميخائيل - مصر وشعوب الشرق القديم ص 297.

(2) مصر القديمة ج 7 ص 123.

(3) سليم حسن- مصر القديمة ج 7 ص 123.

(4) قض 6:8-16، 1مل 7:47، 2اخ 17:4، مز 60:6، 7:108.

(5) طريقين شماليين إلى رفح 2 - طريق شمالي إلى بنر سبع وحبرون 3- طريق جنوبي إلى العقبة 4- طريق جنوبي إلى مناجم سيناء.

وعلى الرغم من هذه الطرق العديدة والتي كانت كلها أو بعضها على الأقل معروفا لدى موسى النبي، ولدى الكثير من العبرانيين الذين ربما إشتغلوا بالتجارة إلا أن الله "لم يهدمهم في طريق أرض الفلسطينيين مع أنها قريبة لأن الله قال لنلا يندم الشعب إذا رأوا حرباً ويرجعوا إلى مصر. فأدار الله الشعب في طريق برية بحر سوف" (خر 13: 17) إلى أن وصلوا إلى إيتام. ويرى البعض أن إيتام كانت جهة أو برية، وليست مدينة⁽¹⁾. وأن بها قلعة للمراقبة ولحماية الحدود. وأجمع المختصون على أنها تقع عند مدخل طريق شور الذي يتفرع منه عند طريق نخل – العقبة. وظل العبرانيون سائرين بها ثلاثة أيام. وبالرجوع إلى المعنى اللغوي يرى البعض أن الكلمة العبرية هي (مد بار) ومعناها صحراء أو بدياء حيث ترعى الغنم⁽²⁾ بينما يذهب آخرون إلى القول بأنها تعني حصناً⁽³⁾. ويذهب فريق ثالث إلى التوحيد اللغوي بين إيثام وأدوم وأنها كانت مقراً للبدو (الشاسو) الذين كانوا ينزحون حتى الحدود المصرية جرياً وراء الكلاً، وذلك استناداً على ما جاء في إحدى أوراق أنسطاسي:

" لقد انتهينا من ملاحظة قبائل شاسو التابعين لأدوم من حصن مرتباج (حطب حر ماعت) له الحياة والفلاح والصحة في (سكوت) نحو برك (بثوم) لأجل أن يطعموهم ويطعموا قطعانهم في ضياع الفرعون له الحياة والفلاح والصحة وهو الشمس الطيبة لكل أرض مصر ولقد جعلهم يحضرون... "⁽⁴⁾

ونفهم مما سبق أن الأدوميين وإن كان موطنهم الأصلي إلى الشرق من خليج العقبة إلا أن قبائل منهم كانت تتوغل في صحراء سيناء حتى حدود مصر الشرقية مما يفسر ذكر التوراة لهم في أماكن مختلفة.

فم الحيروث (بي حيروت):

يرى نافيل وبيري أنها تقع على بعد عشرة أميال جنوب مدينة الإسماعيلية وعُرفت باسم سيرايبوم حديثاً⁽⁵⁾ وأنها كانت تعرف باسم (بي قحرت) عند المصريين القدماء. ولجأ البعض إلى التشابه اللغوي بين (فم الحيروث) و(فم حور). وكلمة فم حور هي ترجمة مفترضة ليس لها وجود لمصب فرع مياه حور الذي كان يصب في بحيرات البلاح

(1) مصر والشرق الأدنى القديم ص 298 و مصر القديمة ج 7 ص 124.

(2) د. سليم حسن – مصر القديمة ج 7 ص 125.

(3) القصص ميخائيل فهمي – جغرافية الكتاب المقدس ج 1 ص 64.

(4) د. سليم حسن – مصر القديمة ج 6 ص 587 و ج 7 ص 125.

(5) د. نجيب ميخائيل – المرجع السابق ص 299.

والمنزلة. ويرى د. سليم حسن أنه "يمكن ترجمة اسم مصب هذا الفرع من الإغريقية بعبارة فم حور، وهذه التسمية لا تختلف كثيراً عن تسمية فم الحيروث"⁽¹⁾. ولكن هذا الدليل له من الضعف ما لترجمة لفظة (فم حور) من الاقتعال.

وبالرجوع إلى سفر الخروج الذي ذكر أنها تقع "بين مجدل والبحر أمام بعل صفون مقابله تنزل عند البحر" (خر 14:2) يتضح أنها تقع بين ثلاثة أماكن: مجدل، والبحر، وبعل صفون. وعند تحديد هذه المواقع أو أى منها عندئذ يمكن الاهتداء إلى موقع فم الحيروث.

ولكن لما كان مكان العبور تحديداً لم يتعين بعد عند الباحثين، فهم يرفضون أن يكون العبور قد تم عن طريق البحر الأحمر نفسه، وقلة منهم يميلون إلى اعتباره خليج السويس. والأكثرية تميل إلى أنه كان بحيرة من البحيرات، والتي اختلفوا أيضاً فى تحديد أيها كانت طريقاً للعبور، هل هي المنزلة أم التمساح أم إحدى البحيرات المرة ؟ ولكن الشئ المؤكد أنه أيا كان المسطح المائي الذي عبره العابرون فلا بد أن يكون من العمق بدرجة تكفى لتحقيق المعجزة أمام الشاهد. الأمر الذي لم يحتج عليه العبرانيون عندما كان موسى وخلفاؤه يذكرونهم بها بين الحين والآخر عند توبيختهم على خطاياهم أنهم عبروا البحر بأيادي رفيعة. كما أنهم نظروا المعجزة بعيونهم وخافوا الرب "ورأى إسرائيل الفعل العظيم الذي صنعه الرب بالمصريين فخاف الشعب الرب وأمنوا بالرب وبعبدته موسى" (خر 14:31).

وبينما هم مجتمعون عند فم الحيروث نظروا من بعيد المصريين مقبلين عليهم. ولنفترض أنهم رأوا المصريين على أقصى بعد تراه العيان. وأن البحر انشق عند الفجر بعد مرور ليلة كاملة فكيف لم يدركهم المصريون طوال ساعات الليل؟. وتأتى الإجابة فى آية أخرى عجيبة قد عملها الرب معهم "فأنتقل ملاك الله السائر أمام عسكر إسرائيل وسار وراءهم. وانتقل عامود السحاب من أمامهم... (خر 19:41، 20). أى أن الله أضاء للخارجين لهدايتهم، وحجب النور عن فرعون وجنوده لضلالتهم.

مجدل:

جاء ذكرها في آثار سيّتي الأولى الحربية⁽²⁾، وقد أشار الباحثان بترى وجيرون وغيرهما إلى موقعها عند تل الهر على حافة الدلتا. وعندها يبدأ طريق شمالي إلى فلسطين

(1) - د. سليم حسن - المرجع السابق ج 7 ص 127

(2) وردت أسماء تلك المواقع على جدران الكرنك، وعلي لوحة بيت شان (بيسان) المعثور عليها عام 1923 وعلي بردية انسطاسي وغيرها - سليم حسن، مصر القديمة جزء 6 ص 34 وجزء 7 ص 125

يسير بمحاذاة البحر المتوسط. وعندها توجد قلعة عربية يرون أنها أنشئت على أنقاض قلعة قديمة. ولكن هذا التحديد على الرغم من وجود ما يبرره إلا أنه يجعل من بحيرة المنزل مكاناً للعبور. وهو ما نستبعده للأسباب التي أشرنا إليها آنفاً. هذا ولا يمنع أنه كانت توجد قلاع كثيرة على الحدود الشرقية لمصر. فبناءً على رأى الباحثين أن كلمة مجدل أو مجدول تعنى قلعة. وهو من الأسباب التي دفعتهم إلى التمسك بهذا الرأي لوجود قلعة فى المكان الذي أشاروا إليه. فلذلك ربما أشار موسى النبي إلى مجدل (قلعة) أخرى فى مكان آخر. ويعتقد البعض الآخر ان موقعها كان فى منطقة البحيرات المرة⁽¹⁾. وهناك مواقع أخرى حملت ذات الاسم، فنسمع عن مدينة وردت فى سفر التكوين تقع فى بلاد كنعان وهي ليست ببعيدة عن بيت لحم. وكانت المحطة الأولى ليعقوب وبنيه بعد ان غادروا بيت ايل. ففي الطريق ماتت راحيل بالقرب من افرائيم الاسم القديم لبيت لحم عند الموضع المعروف بقبر راحيل(تك 20:35) ومن هذا المكان رحل يعقوب ليجد له مستقراً فى مجدل عدر حيث نصب هناك خيمته. وذكرت مدينة أخرى تحمل الاسم ذاته فى سفر يشوع (37:11) هى مجدل جاد ربما كانت تختلف عن مجل ايل المذكورة فى نفس السفر (يش38:19).

وأما مدينة مجدل المصرية فقد ذكرت فى سفر (ارميا 1:44) حيث هجر إليها عدد من اليهود الذين فروا من أورشليم ومن غيرها من مدن يهوذا خوفاً من بطش البابليين. هؤلاء قد جاءوا الى مصر حيث رحب بهم عاهلها حفرع (حع اب رع) المعروف عند الغرب بإسم ابريس وهو احد ملوك الأسرة السادسة والعشرين. وان بعضاً من الفارين استقر فى مجدل المذكورة وبعضهم الآخر أقام فى منف وفى تحفيس(ار1:44، حز 10:29، 6:30).

بعل صفون:

تقع هي ومجدل بالقرب من مكان الخروج حسبما جاء فى سفري الخروج والعدد. وقد ظل هذا المكان مجهولاً حتى عام 1940 عندما عثر فى منطقة سقارة على برديات ترجع إلى القرن الخامس قبل الميلاد (العصر المتأخر) من عهد الملك أحمس الثانى (أمازيس) وقد ذكرت الكتابة الديموطيقية الموجودة على إحدى البرديات اسم الإله بعل زيفون القريب من (بعل صفون).

(1) فواد فراج- المدن المصرية ص 31.

وفى الخطاب يتضرع شخص إلى هذا الإله. وإلى كل آلهة دافني (إدفيينا). ومن هنا يرى الأثري نويل جيرون أن بعل زيفون هو الإله المحلي لبلده "دافني" ومن ثم تكون بحيرة المنزلة هي يام سوف التى عبرها الأسرائيلون، ولكن لأن بحيرة المنزلة تقع إلى الشمال الشرقي بعيداً عن قنتير المكان الذى رجحه كثير من الباحثين والعلماء على أنه كان نقطة التحرك، فذلك يجعلنا لا نقبل بسهولة تأويل جيرون لنص البردية فضلاً عن أنه لا يتفق وخط سير العبرانيين، ولا يتفق والمحطة التالية للخروج. لهذا ولغيره يمكن تأويل الأمر على اعتبار أن بعل صفون كان يُعبد فى أكثر من مكان بشرق الدلتا ليس فى شمالها فقط أى لم تكن عبادته منحصرة فى دافني فقط بل فى مناطق عديدة من اقليم شرق الدلتا.

بحر سوف:

ورد الاسم لأول مرة فى الكتاب المقدس فى سفر الخروج (19:10) عقب ضربة الجراد عندما أمر الرب ريحا شرقية شديدة حملته وطرحته فى ذلك البحر. وسميت المنطقة الصحراوية الممتدة بين الحدود الشرقية للدلتا وخليج السويس باسم برية بحر سوف⁽¹⁾. وقد ذكر البحر الأحمر تارة باسم بحر سوف⁽²⁾، وتارة أخرى باسم البحر⁽³⁾. ومما يدل على انه يقصد البحر الأحمر وليس بحيرة بوص كما ظن بعض رجال الحفريات:

أولاً: أن خليج العقبة نفسه أطلق عليه اسم (بحر سوف) فى قوله أن بني إسرائيل ساروا فى طريق بحر سوف واتوا إلى قادش (قض:11:16) وقادش قلعة على ساحل خليج العقبة. كما ذكر أيضاً أن عصيون جابر تقع على نفس البحر (الخليج)⁽⁴⁾

ثانياً: إن سفر الخروج ذكر أن المياه غطت مركبات فرعون⁽⁵⁾ بل وأنهم غاصوا فى الماء⁽⁶⁾ "وان جثث الموتى طفت على وجه المياه" (خر:14:30). وأما مكان العبور

(1) خر 18:13، تث 1:40، 1:2.

(2) خر 19:10، 18:13، 22:15، عد 11:33، تث 1:2، يش 6:24، قض 16:11، مز 9:22،

136:13 و 15، ار 21:49.....الخ

(3) خر 14:6 و 21 و 22 و 26 و 29 و 30

(4) وعمل الملك سليمان سفناً فى عصيون جابر التى بجانب ايلة على شاطئ بحر سوف فى ارض أدوم (مل 9:26).

(5) فرجع الماء وغطى مركبات و فرسان جميع جيش فرعون الذى دخل ورائهم فى البحر لم يبق منهم ولا واحد (خر 14:28).

(6) نفخت بريحك فغطاهم البحر غاصوا كالرصاص فى مياه غامرة (خر 15:10).

فمن المرجح انه كان فى شمال خليج السويس⁽¹⁾ عند نقطة لا يزيد اتساعها عن سبعة كيلومترات وربما اقل من ذلك. وهى المسافة التى يمكن للراجل أن يقطعها فى ساعات قلائل. ولكن ما الدافع الذى عزا بالباحثين إلي استبعاد ان يكون البحر الأحمر أو خليج السويس مكانا للعبور؟

أولاً: أن عبور البحر الأحمر نفسه أمر يتعذر تحقيقه لأنه بعيد تماماً عند نقطة انطلاقهم من بر- رعمسيس الواقعة فى شرقي الدلتا. وأيا كان موقع بر - رعمسيس فى قنتير، أو فى تانيس أو فى غيريهما فكل منطقة شرق الدلتا تبعد كثيراً عن البحر الأحمر. اللهم إلا إذا كان العبور قد تم عند الطرف الشمالي لخليج السويس. ويرى Linant de Bellfonds ان هذا الخليج كان يمتد فى ذلك العهد حتى بحيرة التمساح. ويضيف روبرتسون أن اتساعه كان أقل مما هو عليه الآن. وعندئذ يصبح أمر العبور مقبولا.

ثانياً: إنهم يرون أن البحر الأحمر، وكذلك خليج السويس لهما من العمق الكبير الذى يتعذر عنده نزول الدواب والعجلات الحربية. ولكن الذى سخر مياه البحر لتقف كسدن على يمين ويسار العابرين لا يصعب عليه أن يقصر المسافات ويذل العقبات التى لا تقوى عليها سواعد الرجال⁽²⁾.

ثالثاً: إن الباحثين يريدون أن يثبتوا أن العبور تم بطريقة طبيعية لا إعجاز فيها، الأمر الذى يزعمون أنه يتحقق من خلال عبور بحيرة كانت قد جففتها الرياح طوال الليل. وهذا أيضا أمر غير معقول أن تجفف الرياح بحيرة لها من العمق ما أغرق جنود فرعون بعجلاتهم الحربية بين ليلة وضحاها، ما لم تكن هذه الرياح مؤتمرة من الله لفعل ذلك الأمر بعينه. الرياح العادية يمكنها أن تجفف مستنقعات ضحلة فى فترات قد تستغرق أسابيع وشهور. إلا ان ما حدث لموسى النبي ولشعبه فهو معجزة بكل المقاييس حتى ولو من وجهة نظر الباحثين أنفسهم. وقد جاء فى التوراة أنها ريح شرقية عاتية ظلت تهب طوال الليل، وهذه هي المعجزة، " فكان الريح يهب فى الاتجاه الصحيح فى الوقت المناسب، وكان هبوه شديداً حتى جفف الأرض، وبذلك سار موسى وقومه على اليابس "⁽³⁾

(1) كان خليج السويس يمتد حتى بحيرة التمساح ثم انسحب الى البحيرات المرة وكان فرعي النيل البيلوزي والتانيسي كانا يخترقان برزخ السويس الاول بالقرب من محطة التينة الواقعة على بعد 25 كم جنوب بور سعيد والثاني عند الكيلوا 9 على قناة السويس وكانا يصبان فى البحر المتوسط الاول عند بيلوز والثاني عند قم ام فرج على بعد نحو كم شرقي بورسعيد. فؤاد فراج- المدن المصرية ص 18.

(2) مز9:106، 22، 13:136، 15، 7:106، 21:49.

(3) - سليم حسن - مصر القديمة ج 6 ص 135

ويلجأ الباحثون إلى تفسير عبارة (يام سوف) العبرانية، والمترجمة هنا بالبحر الأحمر Red Sea، على أنها تعنى بحر القصب Sea Of Reeds⁽¹⁾ عند البعض، أو بحيرة البوص أو البردي عند البعض الآخر. فهم يرون أن كلمة يام التى تنطق يم فى العربية تطلق على البحر والنهر، وجاء فى لسان العرب أن اليم هو البحر وقد خص بنيل مصر. نعم لقد لقب المصريون نيلهم بالبحر لعظمته، وربما لم يطلق ذلك على غيره. فهذه التسمية متأخرة جداً عن الزمن الذى كتبت فيه التوراة. وأيضاً لفظة يام العبرية تدل على البحر وحده ولا تعنى النهر أو البحيرة.

ويرون أن كلمة سوف Suph العبرية قريبة من الكلمة المصرية القديمة سوفى بمعنى البردي ولذلك يجمع الكثيرون منهم على أن العبور كان لبحيرة وليس للبحر الأحمر أو لخليجه. ولكنهم لم يتفقوا على بحيرة بعينها. فهل هى المنزل، أم التمساح، أم إحدى البحيرات المرة. أم أنهم عبروا من خلال برزخ ضيق كان يصل بين بحيرتي التمساح والبلاخ⁽²⁾. وانتهت جهود الباحثين إلى عدم تقديم الدليل القاطع الذى يشير تحديداً إلى مكان العبور. وإذا زعم الباحثون أن العبور كان لبحيرة مياها ضحلة كقولهم: "فلو أن مكان العبور كان ضحلاً فى ناحية بحيرة التمساح لما كان من غير الميسور أن تعمل ريح قوية طيلة الليل على جرف مياها حتى تجفها... وهى ظاهرة نستطيع أن نلمسها تتكرر فى منطقة السويس حتى اليوم"⁽³⁾.

والسؤال هنا من أين جاء الماء الذى وقف مثل السور عن يمين ويسار العابرين؟ والذى أغرق مركبات فرعون وفرسانه من فور انتهاء العبرانيين من عبورهم؟! إن فى ذلك لمعجزة أخرى! "فقال الرب لموسى مد يدك على البحر ليرجع الماء على المصريين على مركباتهم وفرسانهم... فرجع الماء وغطى مركبات وفرسان جميع جيش فرعون الذى دخل ورائهم فى البحر لم يبق منهم ولا واحد.." (خر14: 26-30).

وقد ذهب هانز جوديك بخياله فى تفسير أمر الخروج محاولاً إيجاد سبب علمي له. فقال بأن عبور البحر الأحمر وغرق فرعون وجنوده كان حادثة تاريخية حقيقية وقعت أحداثها عام 1477 ق.م. ويرى أن مكان الخروج كان جنوب بحيرة المنزل وان غرق المصريين كان نتيجة لحدوث موجة عملاقة تسمى Tsunami نجمت عن عملية مد بحري بسبب ثورة بركانية حدثت فى البحر المتوسط عند جزيرة ثيراسانتوريني Thera-

(1) - نجيب ميخائيل - مصر والشرق الأدنى القديم ص 300.

(2) - د. محمد مهران - مصر والشرق الأدنى القديم ص 526

(3) د. نجيب ميخائيل - نفس المرجع ص 301

Santorini وأنها قد أغرقت الدلتا وكونت بحيرة المنزلة فانت على المصريين الواقفين في السهل؛ بينما نجا العبرانيون الواقفون على التل. واعتمد جوديك في نظريته على ما جاء في سفر الخروج⁽¹⁾ من انه كان هناك عامود من النار يظهر ليلا وعامود من السحاب يظهر نهارا. وفي رأيه أن هاتين العلامتين لهما طبيعة بركانية.

ولكن رأي جوديك هذا تعترضه عقبات فأولا لأن بحيرة المنزلة طبيعية وتعتمد على مصدر دائم للمياه، وإذا كان امتلاؤها بالمياه نتج عن حادث طارئ هو عملية المد البحري التي تبعت البركان الذي يقول به، فكان لابد وان تجف هذه البحيرة بعد فترة من زوال السبب وهو ما لا يشهد به الواقع. فضلا عن ذلك لا يوجد أى اثر تاريخي يشير الى مثل تلك الحادثة في ذلك الوقت. كما أن قصة الخروج التي كتبها موسى النبي بوحي من الله ذكرت أنهم عبروا البحر الأحمر، وان المياه صارت سورا لهم عن يمينهم وعن يسارهم، وليس كما قال جوديك أنهم صعدوا على تبة، بينما غرق المصريون الذين في السهل. كما أن أسفار التوراة تفرق دائما بين البحر الأحمر (بحر سوف)، والبحر الأبيض المتوسط، الذي يسميه الكتاب "البحر الكبير"⁽²⁾ "والبحر الغربي" (تث 11:24، 34:2) "والبحر العظيم" (يش 23:4). وبعد عبورهم للبحر مكث العبرانيون في سيناء على مدى اربعين سنة تنقلوا خلالها في اماكن مختلفة⁽³⁾ حتى انتهى بهم المقام الى بلاد كنعان⁽⁴⁾.

ويلاحظ المطالع لرواية التوراة عن الخروج أنها اتسمت بالدقة والتسلسل التاريخي والمنطقي الذي أيدته المصادر والاكتشافات التالية لها بحيث أن ما ذكرته التوراة، صدقت عليه تلك المصادر. وما سكنت عنه التوراة، سكنت عنه أيضا تلك المصادر. مثال ذلك إعلان سفر التكوين عن مجئ يوسف وإخوته واستيطانهم أرض مصر وتسخير فرعون لهم فى بناء مدينتي فيثوم ورعمسيس، نجد أنه بعد خروجهم بأكثر من ثلاثة آلاف عام، تكشف لنا أعمال الحفر والتنقيب عن أطلال ذينك المدينتين.

(1) خر 13:21 و22، 14:19.

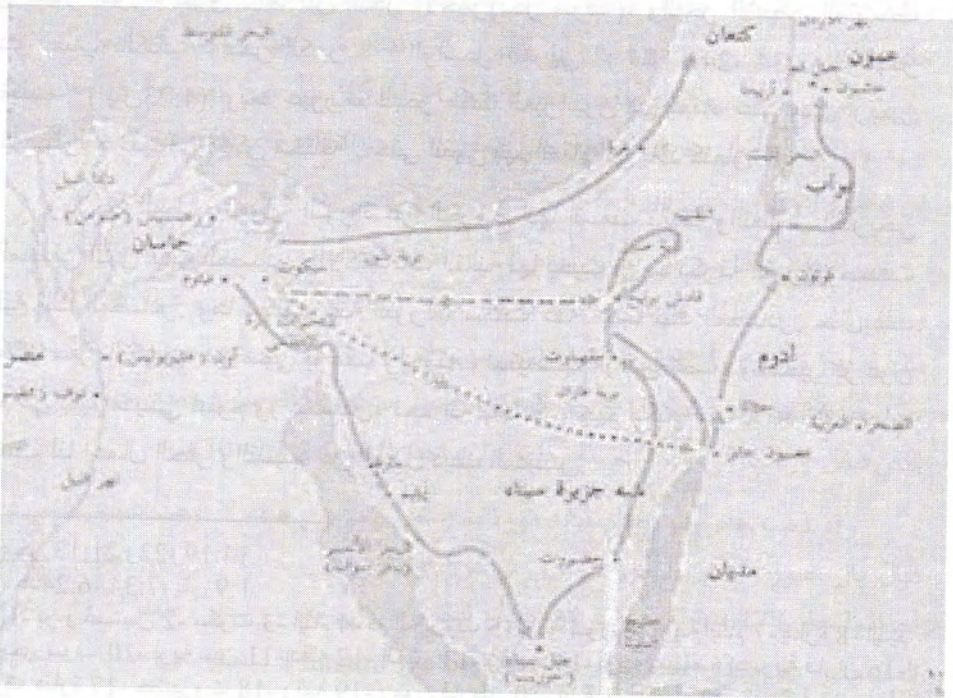
(2) عد 24:6، 34:7، يش 9:1.

(3) 1- بر رعمسيس 2- سكوت 3- ايثام 4- فم الحيروث 5- برية شور 6- برية ايثام 7- مارة 8- ايليم 9- بحر سوف 10- برية سين 11- دققة 12- ألوش 13- رفيديم 14- برية سيناء 15- برية فاران 16- بروت هتاوة 17- حضيروت 18- رثمة 19- رمون فارص 20- لبنة 21- رسة 22- قهيلاتة 23- جبل شافر 24- حرادة 25- مقهيلوت 26- تاحت 27- تارح 28- مثقة 29- حشمونة 30- مسيروت 31- بني يقعان 32- حور الجدداد 33- يطبات 34- عبرونة 35- عصيون جابر 36- قادش برية سين 37- جبل هور 38- صلمونة 39- فونون 40- أوبوت 41- عبي عباريم 42- عييم 43- ديبون جاد 44- علمون دبلاتيم 45- عباريم 46- بيت يشيموت 47- أبل شطيم 48- عربات مؤاب

(4) لمعرفة المزيد عن قصة الخروج، والاكتشافات الأثرية التي توافقها، وتفاصيل الأماكن التي حلوا بها، راجع بحثنا : فرعون موسى

وكما كان الكتاب المقدس سباقاً في الحديث عن قصة الخروج؛ فكان كذلك المصدر الأول والوحيد الذي انفرد بذكر الكثير من الأحداث التاريخية، حتى تم الكشف وإمالة اللثام عنها في عصرنا الحديث، وبعد مرور أكثر من ثلاثين قرناً من غابر الزمان. مثل موضوع خلق السماوات والأرض، وأمر خلق آدم من التراب، وتواجده في جنة، ثم طرده منها، وقصة نوح والطوفان. وحديثه عن إبراهيم وإسحق ويعقوب، بل وعن نوح وخلفائه أي عن أصل الشجرة البشرية التي أستأنف إنباتها بعد هطول المياة الطوفانية. والتي أعانت العلماء في تصنيف السلالات، والألسن واللغات السامية والحامية والهندوأوروبية. وتحدثت التوراة كذلك عن الحثيين والأموريين وغيرهم قبل ان يميظ المنقبون اللثام عن اثارهم.

لهذا ولغيره يجب أن يوضع ما جاء فى الأسفار المقدسة موضع الاعتبار عند تناول موضوع الخروج بل وتاريخ الأمم القديمة، على الأقل كمصدر تاريخي. ولما كان التاريخين الفرعوني والتوراتي لا يسيران فى خطين متوازيين. لهذا يجب أن نأخذ بالثاني وذلك لصحة مصدره ودقته وتوافقه الداخلي .



العبرانيون وأرض كنعان

العبرانيون وأرض كنعان

انتهى سفر الخروج عند وصول بنى إسرائيل إلى الضفة الشرقية لنهر الأردن، ثم يكمل سفر العدد - وسفر يشوع - قصة أخذهم للمدن الكنعانية⁽¹⁾ على مدى ثمانية وثلاثين عاماً وثلاثة أشهر. ولعل انتصارهم الأول على عماليق قد أكسبهم ثقة زائدة بالنفس. وظنوا - عثياً - أن النصر هو بفضل سواعد رجالهم. وتقدموا لمحاربة الحثيين، واليبوسيين، والأموريين، إلى جانب العمالة فيلبوا بالهزيمة (عد 14: 26-30). لقد تناسوا قول الرب لهم أن امتلاكهم لأراضي الوثنيين مقرون بحفظهم لوصايا الرب⁽²⁾. وبالسير في طريقه وبالاعتماد عليه⁽³⁾. وأنه سمح بضرب هذه الشعوب لقساوتها ولتفاقم اثمها "ليس لاجل برك وعدالة قلبك تدخل لتمتلك ارضهم بل لاجل اثم اولئك الشعوب يطردهم الرب الهك من امامك" (تث 9: 5).

وبعد إندحارهم أمام العمالة والكنعانيين (عدد 14: 45) صعدوا إلى جبل هور - حيث مات هارون - لأن ملك أدوم منعهم من المرور في تخومه. وبعد فترة وجيزة قضوها بين أوبوت، ووادي زارد، وعبر أرنون⁽⁴⁾، حاولوا المرور في تخم الاموريين، إلا أن سيحون

(1) "ورد اسم كنعان في النصوص المصرية منذ الألف الثاني قبل الميلاد وكان يرد بصيغة بي كنعان. pekanan كما استعملت هذه الصيغة في المصادر المحلية في سورية، مثل نقش ادريمي ملك الالاح، من اواسط الألف الثاني قبل الميلاد. والذي يصف فيه هروبه الى بلاد كنعان من وجه مغتصبي عرش ابيه "فراس السواح- الحدث التوراتي وشعوب الشرق القديم ص250 عن

James Pritchard – the ancient near East-Princeton p.96-99. 1975.

(2) اختارهم الرب ليكونوا عصاً لتأديب الشعوب الوثنية آنذاك كما كانت هذه الشعوب عصاً لتأديبهم حينما أعرضوا عن عبادته. ولتبرير دخولهم في حروب مع جيرانهم وما تبع ذلك من قتل وتخريب فيمكن القول بأن هذه الشعوب مثل عماليق وغيرهم كانوا يحاربون بعضهم بعضاً ولو انتهت الفرضة لافنوا العبرانيين انفسهم ناعيك عن شرهم المتفاقم.

(3) لقد أثبتت الأيام أنه في الوقت الذي ساروا فيه مع الله أسلم الرب الأمم الوثنية في أيديهم، وبما أن الله ليس عنده محاباة بين شعب وشعب، ولا بين أمة وأمة، ولا بين قبيلة وقبيلة ألهم إلا بالبر والفضيلة. ففي الوقت الذي حاد فيه بنوا إسرائيل عن ناموس الرب وعن سنته القويم، فإنه تركهم للأمم ليؤدبهم، فأضحوا فريسة للأشوريين والبابليين، ثم خضعوا للفرس، فالمقدونيين فالرومان، وتعرضوا للقتل والسبي. ودفع الجزية، ثم اختتموا أعمالهم الرديئة من ظلم للأبرياء، وقتل للأنبياء، بأن قتلوا السيد المسيح الذي جاء لينقذهم، وينقذ البشرية من سلطة إبليس ومن موت الخطية. وكان مصيرهم هو حرق هيكلمهم، وهدم أسوار مدينتهم، وتشتتهم في أرجاء المسكونة نحو سنة 70 ميلادية. لقد تحققت فيهم أقوال الأنبياء وتصريح السيد المسيح "هوذا بيتكم يترك لكم خراباً لا يترك ههنا حجر الا وينقض" (متى 23: 38)، وقد أيد قول السيد المسيح أحداث التاريخ التي سوف نعرض لها تباعاً بشئ من التفصيل.

(4) وهو اسم لنهر يدعى اليوم وادي الموجب في المملكة الأردنية. ويتكون من وادي (وله) في الشمال الشرقي، ووادي (عنقيلة) في الشرق (وسيل الصعدة) في الجنوب. هذه هي أودية أرنون (عدد 21: 14) ويجري نهر أرنون في غور عميق حتى يصل إلى البحر الميت في نقطة تقع إلى مسافة قصيرة من منتصف الشاطئ الشرقي. وكان هذا الوادي في عصر موسى الحد الفاصل بين الموآبيين في الجنوب

زعيمهم أبى (عد 20: 21). فاشتبك الفريقان وأسفر اللقاء عن إندحار الأموريين وسقوط مدنيهم الواحدة تلو الأخرى، وعلى رأسها حشبون العاصمة. كما لقي عوج ملك باشان ذات المصير هو ومملكته (عدد 21: 24). ولما وقع الإسرائيليون فى الزنى مع بنات مؤاب، وعبدوا بعل فغور (عد 25: 3) أن الرب ضربهم بوباء أسفر عن موت أربعة وعشرين ألفاً منهم. (عد 26: 4) فأجرى لهم التعداد الثانى.

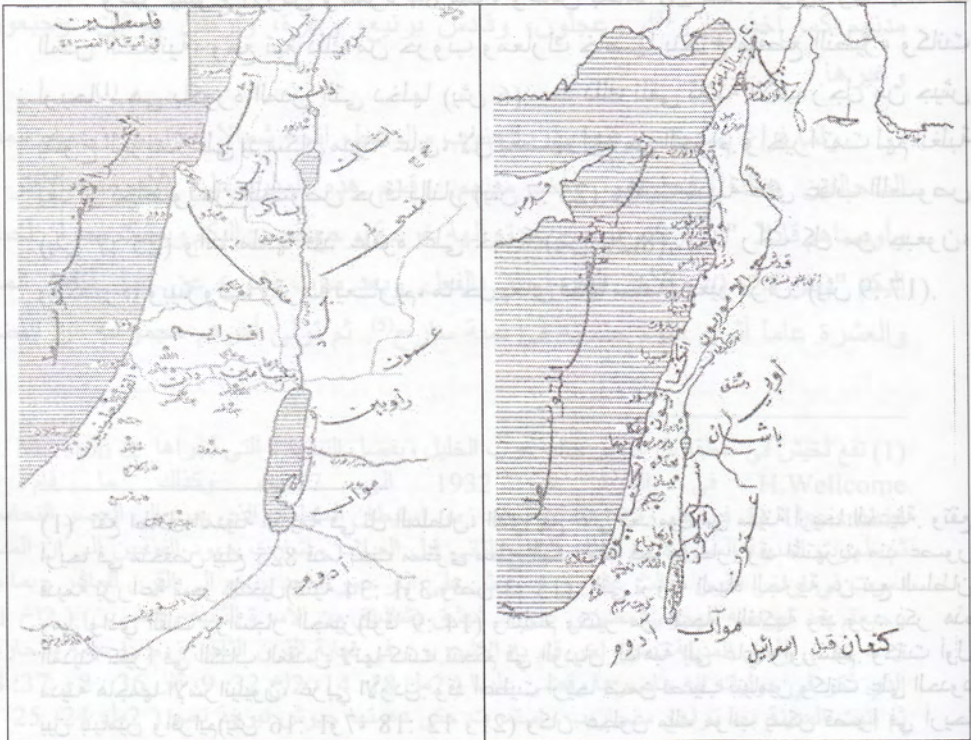
وبعد انتصار موسى على الاموريين خاف بالاق على مملكته ودعا جيرانه من الميديانيين الى التصدي للبرانيين فاستجابوا لدعوته. فانتخب موسى اثنى عشر ألفاً من الأسباط: ألفاً من كل سبط ودفعهم للحرب مع ملوك مديان، فكان النصر حليفهم. وبذلك تخلصوا من ملوك مديان الخمس⁽¹⁾. ولكن يبدو ان بالاق نفسه انسحب ملتزماً الحياد. خاصة وان بلعام⁽²⁾ الرائي تنبأ له بما لا يسر قلبه فيما يتعلق بتقدم العبرانيين وانتصارهم المتوقع. وبعد أن تم لهم احتلال كل المدن الواقعة على البر الشرقى لنهر الأردن⁽³⁾، والتي كانت فى حوزة الأموريين، والباشانيين، والجلعاديين، والحشوريين، والمعكيين، والحثيين، والفرزيين، واليبوسيين، والجرجاشيين، والحويين، (تث 3-7) هناك مات موسى ودفن،

والأموريين فى الشمال (عدد 21: 13 و 26). وفى عصر القضاة كان هو الحد الجنوبي لسبط روابين، الذي يفصلهم عن مؤاب (تثنية 3: 8 و 16 ويشوع 13: 16). ويذكر حجر مؤاب أن ميشع ملك مؤاب وسع تخومه شمالي الأردن. وتقع مدينة عروعر على الشاطئ الشمالى للنهر. ويقع بالقرب منها مكان قديم للعبور وربما كان هذا هو المكان الذي أطلق عليه معابر أرنون (أشعيا 2: 16).

(1) أوى، وراقم، وصور، وهور، ورايح (عد 31: 8).
(2) عثر فى منطقة دير العلا بوادي الأردن على وثيقة (وجدت سنة 1967 ونشرت فى عام 1976) تتضمن أقوال الرائي بلعام ابن بعور. وهى تكاد توافق ما جاء فى سفر العدد (22-24). وان كان ما جاء بالنقش له صبغة وثنية، من ذلك قوله:
"الآلهة اجتمعت والقوات تجمهرت وقالوا لشمش shamash اغلق السموات بسحابتك....". وعنوان النقش: كتاب بلعام ابن بعور الرجل الذي يرى الالهة.

(3) ينبع نهر الأردن من أربعة مصادر: نبع بانياس فى الشرق (قيصريّة فيلبس). ونبع تل القاضي الأوسط وهو أكبرها، ونبع حاصبيا فى الشمال وهو اعلاها ارتفاعاً (1700 قدماً فوق سطح البحر) ويتكون منه نهر الحاصباني. ونبع براغيث فى الغرب وهو اصغرها. وتلتقي مياه النهر على بعد خمسة أميال شمالي بحيرة الحولة ليكوناً نهراً واحداً وهو نهر الأردن. وبعد ان يمر فى بحيرة الحولة بمسافة أربعة أميال تقريباً يجري النهر إلى مسافة عشرة أميال ونصف ثم يصل إلى بحر الجليل الذي يبلغ طوله اثني عشر ميلاً ونصف الميل. ويبلغ انخفاضه 685 قدماً تحت سطح البحر. ثم يجري مسافة خمسة وستين ميلاً من الطرف الجنوبي لبحر الجليل إلى البحر الميت حيث يبلغ انخفاضه 1275 قدماً تحت سطح البحر. ولكن النهر يتعرّج فى سيره بحيث تصل المسافة التي يقطعها إلى ما يزيد على مائتي ميل. ويحيط بالنهر فى القسم الواقع بين بحر الجليل والبحر الميت أشجار وشجيرات كثيفة تدعى كبرياء الأردن أو غابة الأردن (أرميا 49: 19) وكانت الأسود تسكنها فى العهد القديم. وفى الجزء الجنوبي منه، تنمو أشجار الفاكهة والنخيل كما فى أريحا. وفى هذا القسم اختار لوط ان يسكن (تك 13: 8) وقد كان وادي الأردن فى عصور الكتاب المقدس مزدحماً بالسكان أكثر مما هو الآن. وقد وجد على الجانب الشرقى من نهر الأردن ما لا يقل عن سبعين تلاً لمدن كانت أهلة بالسكان فى العصور القديمة.

وأخفى الله قبره حتى لا يعبدوه العبرانيون (تث 34) مثلما كان المصريون – وغيرهم- يعبدون ملوكهم بعد موتهم، وأحياناً في حياتهم. فلم يدخل موسى كما لم يتسنى لأخيه هارون دخول أرض كنعان "لأنهما لم يقدا الرب في مربية قادش الواقعة في بركة صين" (تث 32: 51).



(1) فإذا كان الله قد منع موسى نبيه من دخول أرض الموعد لخطأ ارتكبه فليس ببعيد أن يحرم شعب تعاطم شره، وتفاقم ظلمه من أرض كان الوعد بها مقرونا بحفظهم لوصاياهم.

يشوع والقضاة

بعد موت موسى النبي تولى يشوع قيادة الشعب والعبور بهم إلى الشاطئ الغربى لنهر الأردن. الأمر الذى ينتهي عنده سفر التثنية آخر أسفار التوراة الخمسة.

وعبر يشوع الأردن وعمره 84 سنة، وعاش بعدها 26 سنة أخرى، وبدأ باحتلال المدن الكنعانية، ومع تبع ذلك من حروب ومعارك خاضها بنجاح منقطع النظير، وكانت أريحا⁽¹⁾ هى باكورة المدن التى دخلها (يش 6). بعد ذلك تلقى ثلاثة آلاف رجل من جيش يشوع الهزيمة على يد سكان مدينة عاي، لأن بعضهم أخذ من الحرام. وأخيراً تمت لهم الغلبة بعد أن تخلصوا من اللصوص حرقاً بالنار (يش 7: 25). ولقيت مدينة عاي عقاب اللصوص (يش 7: 25) وأما ملكها فقد علقوه على خشبة (يش 8: 29). ولما رأت كل من جبعون، والكفيره، وبيئروت، وقرية يعاريم، ما حل بعاي فاتها سلمت بغير نزال. (يش 9: 17).

(1) تقع اطلال المدينة القديمة في تل السلطان، الذي يقع على بعد ميل من مدينة أريحا الحديثة. وتقع أريحا في منخفض يبلغ 825 قدماً تحت مستوى سطح البحر ولذا فجوها حار. وقد اشتهرت منذ عصور قديمة بزراعة شجر النخيل(تثنية 34: 1و3 وقض 3: 13)، التي ترويه المياه الجارية من نبع السلطان ومن وادي القلت وأشجار الجميز(لوقا 9: 14) والبلسم وكثير من أشجار الفاكهة وقد ورد ذكر هذه المدينة كثيراً في الكتاب المقدس لأنها كانت تتحكم في الوديان الزاهية إلى عاي وأورشليم. وكانت أول مدينة هاجمها الإسرائيليون، غربي الأردن. وقد أعطيت أريحا ضمن نصيب بنيامين وكانت على الحدود بين بنيامين وأفرايم(يش 16: 1و7، 18: 12 و21) وكان عجلون ملك موآب يسكن قصراً في أريحا (قض 3: 13). وفي أيام آخاب حصن حينيل البتتيلي أريحا ولكنه فقد ابنه وفقاً لنبو يشوع(1 ملوك 16: 34 قارنه مع يش 6: 26) وقد زار إيليا واليشع جماعة الأنبياء في أريحا قبل انتقال إيليا، ورجع اليشع إلى هؤلاء الأنبياء. والنبع الذي أبراه اليشع هو ما يرجح عين السلطان(2 ملو ص2). وبالقرب من أريحا قبض البابليون على صديقيا الملك (2 ملو 25: 5 وأرميا 39: 5، 52: 8) وقد رجع مع زربابل من السبي 345 من سكان أريحا السابقين ونسلمهم (عزرا 2: 34 ونح 7: 36) وقد ساعد بعض من هؤلاء في بناء سور أورشليم(نح 3: 2) وقد بنى هيروودس الكبير قلعة بالقرب من أريحا، وفي النهاية مات هناك. وفي العهد الجديد كانت فرقة من الكهنة تسكن أريحا. ولا بد أنهم كثيراً ما كانوا يسافرون في الطريق الموصل من أورشليم إلى أريحا كما ذكر في مثل السامري الصالح(لو 10: 30 و31) وقد أعاد يسوع البصر لبارتيمائوس الأعمى ورفيقه في أريحا(مت 20: 29 ومر 10: 46 ولو 18: 35). وقد زار المسيح بيت زكا جابي الضرائب في أريحا وقد تاب زكا ورجع إلى الرب بعد ما زار يسوع بيته لو19 وقد أثبتت الكشوف التي أجريت في تل السلطان على اطلال المدينة القديمة التي ترجع إلى الألف السادسة قبل الميلاد. كما تم الكشف عن أسوار أريحا التي سقطت في أيام يشوع وقد ظهرت بها اثار الحريق. كما كشف المنقبون في تلوث العليق عن قصر هيروودس الكبير الذي يرى من جبل التجربة(مت 4: 8) وجاء وصف المنقبون للمدينة متفقاً مع ما جاء بسفر يشوع ص6 وقد وجدت غلالها محفوظة في صوامع لأن يشوع قد حرم أسلابها ويرجع تاريخ سقوطها إلى عام1250 ق.م.

ولما نما خبر المدن التي استسلمت إلى ملوك الأموريين الخمس وهم أدوني صادق ملك أورشليم، وهوام ملك حبرون، وحزام ملك يرموت، ويافيع ملك لخيش⁽¹⁾ ودبير ملك عجلون، فقد عقدوا حلفاً فيما بينهم للتصدي للبرانيين. وبالفعل ساروا إلى (عجلون)⁽²⁾ طمعاً في أخذها إلا أن جيش يشوع أحبط مسعاهم وألحق بهم الهزيمة. يشوع 10 وفعل بهم ما فعله بملك عاي ثم طمرهم في المغارة التي كانوا مختبئين فيها، وأخذ مدنهم كما أخذ جازر⁽³⁾، وعجلون، وقادش برنيع، وغزة، وأرض جوشن، وجبعون، وغيرها.

ولما فرغ يشوع من فتح مدن الجنوب والوسط، اتجه شمالاً لمواجهة زعماء المدن المتحالفين هناك⁽⁴⁾ فحاربهم، وأخذ مدنهم. وقسم هذه المدن على الأسباط بالاقتراع. وأوصاهم قائلاً "إذا تركتم الرب وعبدتم آلهة غريبة يرجع فيسي إليكم ويفنيكم بعد أن أحسن إليكم" (يش 24: 20) الأمر الذي تحقق بالفعل. وبعد موت يشوع عن عمر يناهز المائة والعشرة عاماً أتوى القوم جثمانه في تمنة سارح⁽⁵⁾. ثم تولى أمرهم مجموعة من القضاة

(1) تقع لخيش في منطقة تل الدوير حالياً غرب الخليل وبفضل التنقيبات التي أجراها ch. Marston & H.Wellcome في الفترة من 1932 إلى 1937، وكذلك ما قام به D. Ussismkin في عام 1973، امكن تحديد زمن استيطان المنطقة والذي يعود إلى العصر النحاسي. ثم ظهرت المدينة المسورة مع مطلع الألف الثاني قبل الميلاد. وأشارت جهود المنقبين إلى أن المدينة دمرت في أواخر القرن الثالث عشر ق.م. وعثر على آثار سور جديد يرجع إلى القرن العاشر ربما بناه رحبعام بعد تعرضه للهجوم المصري على يد شيشق (شاشنق من الأسرة الثانية والعشرين) (2 أخ 11: 5 - 11). ولحق المدينة تدمير آخر قام به الآشوريون في نهاية القرن الثامن ق.م. بزعامة سنحاريب الذي ذكر في حواريته أنه حاصرها وقضى عليها (2 مل 18: 14، 2 مل 14: 32، 9، 36: 2 و 37: 8). ثم بنيت المدينة بعد تراجع سنحاريب واستمرت حتى دهمتها جيوش نبوخذ نصر (2 مل 24، 25، 34).

(2) جاء ذكرها في خطابات تل العمارنة ضمن رسالة بعث بها ملك أورشليم يقول إن قبائل العبيرو تزحف على عجلون (جون الدر - الأحبار تتكلم ص 85)

(3) تل أبو شوشة على بعد 18 ميلاً إلى الشمال الغربي من القدس. ودلت نتائج البحث التي قام بها Macalister (من 1902 إلى 1905 ومن 1907 إلى 1909) و W.G.Dever (من 1964 إلى 1973) على أن المدينة القديمة يرجع تاريخها إلى العصر البرونزي. ثم أصبحت مدينة محصنة في أواسط القرن السابع عشر ق.م. ثم دمرت أثر تتابع حملات تحوتمس الثالث على المنطقة. ثم أعيد بناؤها واستمرت حتى القرن العاشر حيث دمرت من جديد على يد فرعون - ربما بسوسينوس من الأسرة الحادية والعشرين (الذي صاهره سليمان 1 مل 9: 16) الذي أعاد بناءها. ثم دمرت على يد البابليين مطلع القرن السادس.

(4) يابين ملك حاصور، ويوباب ملك مادون، وشمرون ملك أكشاف.

(5) تَمْنَةُ سَارَحَ: اسم عبري معناه [نصيب وافر] وتمنة حارس [نصيب من الشمس] (قض 2: 9) وهي مدينة على جبل أفرام في الجانب الشمالي من جبل جاعش أعطيت ليشوع فبناها ودفن فيها (يش 19: 50، 24: 30) ويرجح أن تكون هي تبنة التي تقع على مسافة 12 ميلاً شمال شرقي اللد - قاموس الكتاب المقدس.

الواحد تلو الآخر. وكان أول شئ فعلوه بعد موت يشوع هو الشر. فعبدوا البعليم وعشتاروت (قض 2: 13). مما جلب عليهم المصائب والمصاعب طلية عصر القضاة وإبان عصر الملوك الذي تلاه باستثناء عصرى داود وسليمان، فأضحوا العوبة فى أيدي الأمم تتأرجح أعناقهم تحت سيوف الأعداء. كما آلت ثمار تعبهم وكدهم إلى قصور الملوك الذين اختاروهم بمحض إرادتهم والذين لم يختاروهم.

تولى قيادة الشعب من بعد يشوع، كالب بن قناز أول القضاة، وحارب أدونى بازق وأسرهم. وأمر بقطع أباهم يديه لأن أدونى باذق فعل ذلك لسبعين ملكاً من قبل (قض 1: 7). وأخذ كالب حبرون⁽¹⁾ (قرية أربع)، ودبير (قرية سفر)، ومصفاة (حرمه)، وأشقلون⁽²⁾ (عسقلان)، وعقرون، وبيت إيل (لوز)، ولكنهم أبقوا على سكان الوادى، واليبوسيين⁽³⁾ بأورشليم، وغيرهم⁽⁴⁾، كما أبقوا على الأموريين الموجودين فى أيلون، وفى شعيليم وفرضوا عليهم جزية. فصار هؤلاء القوم مضايقين للعبرانيين الذين اعتادوا يغيظون الرب بين ليلة وضاحتها. كما دأبوا على التمرد على قضاتهم مثلما كانوا يفعلون مع موسى النبى ذاته. "ولقضاتهم أيضاً لم يسمعو، بل زنوا وراء آلهة أخرى وسجدوا لها. حادوا سريعاً عن الطريق" (قض 2: 17)⁽⁵⁾. ولذلك أسلمهم الرب ليد هؤلاء القوم الذين ظلوا فى وسطهم قائمين يؤدون لهم الجزئية؛ فانقلب الأمر ووقع بنوا اسرائيل تحت يد كوشان رشعنايم ملك آرام النهرين (سوريا) لمدة ثماني سنوات يؤدون له الجزية. ولما ارتفع صراخهم إلى الرب انتقدهم على يد عثينيل ابن قناز أخى كالب الأصغر. وبعد اربعين عاماً تحالف عجولون ملك

(1) تقع على بعد 19 ميلا إلى الجنوب الغربي من أورشليم، وثلاثة عشر ميلا ونصف ميل إلى الجنوب الغربي من بيت لحم. ويوجد 25 ينبوعاً من الماء وعشرة آبار كبيرة قرب حبرون، مع كروم وغابات زيتون. وفي المكان الذي قيل أن فيه قبر إبراهيم وسارة وأسحق ويعقوب أقيمت كنيسة في عصر الأمير طور جستنيان. وفي ذلك المكان يقوم اليوم جامع كبير. - قاموس الكتاب المقدس.
(2) تبعد مسافة اثني عشر ميلا شمالي غزة وقد وردت في اسفار الوحي (قض 14: 19، إر 25: 20 وعا 8: 1 وصف 2: 4 وزك 9: 5، 1 مكابيين 10: 86، 11: 60) وفي الآثار المصرية والآشورية.
(3) نسبة إلى ييوس وهو الاسم القديم لاورشليم في عهد اليبوسيين (يش 15: 63 وقض 19: 10 و1 أخ 11: 4). وكانت مساحتها اقل بكثير مما الت اليه في زمن داود وسليمان سليمان. وكانت قلعة حصينه (2 صم 5: 7 و1 أخ 11: 5).

(4) أهل شان، وسكان تعنيك، وسكان دور، وسكان يلعان، وسكان مجدو، وسكان قطرون، ونهلول، وعكو، وصيدون، وأحلب، وأكزيب (بلدة الزيب الحديثة، التي تبعد مسافة ثمانية أميال ونصف شمالي عكا)، وحلية، وأفيق (يعتقد أنها تل الكرانة الحديثة)، ورحوب، وبيت شمس، وبيت عناه.

(5) "وعند موت القاضي كانوا يرجعون، ويفسدون أكثر من أبائهم بالذهاب وراء آلهة أخرى يعبدوها ويسجدوا لها" (قض 2: 19). "فسكن بنو اسرائيل فى وسط الكنعانيين، والحثيين، والأموريين، والفرزيين، والحويين، واليبوسيين، اتخذوا بناتهم لأنفسهم نساء، وأعطوا بناتهم لبنينهم وعبدوا آلهتهم. ونسوا الرب إلههم، وعبدوا البعليم والسواري" (قض 3: 5).

مؤاب مع بنى عمون وعماليق وهزمهم، فخضعوا له مدة عشر سنوات (قض 3: 12) ثم تخلصوا من التبعية له على يد هود بن جيرا الأعسر.

وبعد ثمانين عاماً وقعوا تحت يد يابين ملك كنعان لمدة عشرين عاماً نالوا بعدها حريتهم على يد القائد باراق بن أبينوعم النفثالى الذى ألحق الهزيمة بجيش يابيش. ووقع سيسرا قائد جيش الكنعانيين صريحاً على يد امرأة تدعى ياعيل فى عهد دبوره القاضية.

وبعد أربعين سنة استطاع ملك مديان أن يُخضع بنى إسرائيل لمدة سبع سنوات تخلصوا بعدها من بطش المديانيين والعمالقة الذين اعتادوا ينهبون أملاكهم ويتلفون زرعهم. ولما حالفهم النصر على يد جدعون أن نادوا بحق وراثته منصب القاضى وقالوا له " تسلط علينا أنت وإبنك وإبن ابنتك لأنك قد خلصتنا من يد مديان". وكانت تلك بادرة الحكم الوراثى التى كانت سائدة فى الممالك القديمة واتخذها ملوكهم سنة لهم فيما بعد. وبعد أربعين سنة مات جدعون فقام ابن له من جارية بقتل إخوته السبعين، ثم بايعه أهل شكيم بالحكم خلفاً لأبيه. وبعد ثلاث سنوات انقلبوا عليه وقتلوه بعد نشوب حرب أهلية بين جنوده وبين الشعب راح ضحيتها كثير من الفريقين (قض 9).

وبعد مصرع أبيمالك تولى أمرهم تولع بن فواه بن دودو لمدة ثلاثة وعشرين عاماً، ثم يائير الجلعادى لمدة اثنين وعشرين عاماً. ثم عادوا يعملون الشر فباعهم الرب بيد الفلسطينيين، وبيد بنى عمون لمدة ثمانية عشر سنة تمكنوا بعدها من إحراز النصر على بنى عمون على يد يفتاح الجلعادى قض 11. ثم حارب سبط إفرايم الجلعاديين فلقى الهزيمة. وبعد ذلك مات يفتاح بعد أن قضى لإسرائيل ست سنوات، فخلفه إيصان البيتلحمى لمدة سبع سنوات. ومن بعده إيلون الزبولونى لمدة عشر سنوات، ثم عبدون بن هليل الفرعتونى لمدة ثماني سنوات. ونتيجة لخطاياهم الكثيرة دفعهم الرب ليد الفلسطينيين لمدة أربعين عاماً. ثم نعموا بالحرية على يد شمشون بن منوح (قض 13-16) الذى قضى لهم عشرين عاماً. وبعد موت شمشون عادوا يفلتون الشر؛ فلذلك انكسروا أمام الفلسطينيين (1صم 4) الذين سلبوا منهم تابوت العهد. وأتوا به إلى معبد داجون فى أشدود⁽¹⁾. فصار نقمة عليهم، فأعادوه إلى أصحابه بعد سبعة أشهر. ولم يفلح على الكاهن فى تخليصهم (1 صم 1) الأمر الذى تحقق على يد صموئيل النبى آخر القضاة⁽¹⁾.

(1) هى أشدود الحالية وتقع فى منتصف المسافة تقريباً بين غزة ويافا. كانت إحدى مدن الفلسطينيين الخمس الرئيسية (يش 13: 3 و 1صم 6: 17). وكان يسكنها العناقيون وقد بقوا فيها بعد دخول العبرانيين كنعان (يش 11: 22) وكان أهلها يعبدون داجون (1 صم 5) بصفة رئيسية. وبعد أن انتصروا على الاسرائيليين حملوا معهم تابوت الرب إلى أشدود ووضعوه فى هيكل داجون (1 صم 5: 1-2) فسقط تمثال داجون وأصيب الأشدوديون بالمرض فأرسلوا تابوت الرب إلى جت (1 صم 5: 3-8). وقد

الشعوب التي ذكرت في الكتاب المقدس

الأموريون

اشتق اسمهم من اسم الالههم "أمور" إله الحرب والصيد وربما كان هو جد هم الأكبر وانهم عبدوه كما عبد غيرهم اسلافهم. كما يُعتقد ان الاكديون هم الذين اطلقوا عليهم اسم امورو بمعنى الغرب⁽²⁾.

وهم من أوائل الشعوب التي سكنت بلاد سوريا. وظهرت أول إشارة لهم في التاريخ في عصر سرجون الأول (2250 ق.م). اما أول ذكر لهم في النصوص المصرية فكان في عهد سيتي الأول⁽³⁾ والد رمسيس الثاني. وذكرهم رمسيس الثاني على جدران معابده فقال بان احد فيالق جيشه كان معسكرا بالقرب من أرض أمور⁽⁴⁾. كما جاء ذكر بلاد امور في نقوش سيتي الاول والد رمسيس الثاني الموجودة على الجدار الشمالي في صالة الاعمدة بمعبد الكرنك حيث يذكر انه سار لتخريب بلاد قادش وبلاد امور (إمعور).

ويعدهم برستد من الشعوب السامية، ويذكر انهم قاموا بغزو بلاد اكد من الغرب. وتمكنوا من فرض سلطانهم على بعض المدن في الشمال. وظلوا اصحاب السيادة في البلاد لمدة ثلاثة قرون. وجعلوا من بابل مركزا حضاريا هاما واصبحت بلاد شنعار تحمل اسم بابل منذ ذلك الحين⁽⁵⁾. وانتشر الأموريون في وسط سوريا، وفي لبنان، وجنوب فلسطين، وكانت عاصمتهم تدعى (مار). وفي الفترة ما بين القرنين الحادى والعشرين، والثامن عشر قبل الميلاد كان سلطان الأموريين قد امتد إلى ما بين النهرين. ويرى سيدني سميث ان كلمة امور تشير الى هضبة صحراء سوريا⁽⁶⁾ وكان اميرها عبيدي اشرتا يخضع لفرعون حسبما

تعرضت المدينة للتخريب على يد عزيا ملك يهوذا الذي هدم أسوارها (2 أخبار 26: 6)، كما تعرضت للغزو الآشوري أثناء حكم سرجون (أش 20: 1)، وسنحاريب وأسرحدون. وقد قاوم الأشدوديون إعادة بناء أسوار أورشليم في أيام نحemia (نح 4: 7). وقد أخذ بعض اليهود الراجعين من السبي زوجات أشدوديات فلقوا عقابا صارما (نح 13: 23 و 24). وتعرضت للتخريب مرتين على يد المكابيين في القرن الثاني قبل الميلاد (1 مكا 5: 68، 10: 84) وفيها نادى فيلبس بالبشارة المفرحة (أعمال 8: 40).

- (1) أقام صموئيل ابنه يونيل وأبيا قاضيين لكنهما انحرفا وأخذوا رشوة وعوجا القضاء (1 صم 8).
- (2) د. محمد بيومي مهران، تاريخ مصر الفرعونية والشرق الأدنى القديم ص 175، القاهرة 1984.
- (3) د. محمد بيومي مهران، المرجع السابق ص 175.
- (4) سليم حسن - مصر القديمة ج 6 ص 248.
- (5) جيمس هنري بريستد - تاريخ الشرق القديم، ترجمة د. احمد فخري القاهرة 1969.
- (6) سليم حسن - موسوعة مصر القديمة ج 6 ص 237 عن

Sidney Smith - early hist. of Assyria p. 43.

جاء في خطابات تل العمارنة. كما كان يخضع لملك الحثيين. وكان ابنه عزيزو مواليا لمصر ولكن لما فشل في طلب العون من اخناتون الغارق في عبادة اتون فانه اثر التحالف مع شوبليوليوما الزعيم الحثي.

وجاء ذكرهم في سفر التثنية ضمن الشعوب السبعة⁽¹⁾ الذين تصدوا للعبرانيين أثناء دخولهم بلاد كنعان(تث 7: 1) وقد تغلب العبرانيون في عهد موسى النبي على ملكين أموريين شرقي الأردن وهما سيحون ملك حشبون، وعوج ملك باشان (تث 2: 42). كما انتصر عليهم يشوع بن نون واستولى على خمس مدن أمورية أخرى في غرب الأردن (يش 9: 10) ولاقى ملوك المدن الخمس⁽²⁾ ما لاقاه سيحون، وعوج (يش 10). كما استمر تواجدهم الى عهد القضاة والملوك⁽³⁾. وكثيرا ما كان العبرانيون يختلطون بهم ويمثلون بعاداتهم ويسجدون لأربابهم(مل 21: 26). ولذلك وبخهم الوحي مرارا حتي انه وصف اورشليم بأنها ابنة للاموريين والحثيين كما جاء على لسان حزقيال النبي(حز 16 : 3).

كل ذلك يدل دلالة واضحة على ان الاموريين كانوا يمثلون شعبا حقيقيا له تواجد قوي في الشرق. وقد سبقت كتب الوحي واشارت اليهم ضمن الشعوب التي اصطدم بها العبرانيون في طورهم الاول.



- (1) الحثيون، الجرجاشيون، الأموريون، الكتعانيون، الفرزيون، الحويون، اليبوسيون.
- (2) أدوني صادق ملك أورشليم، هومام ملك حبرون، فرأم ملك يرموت، يافيع ملك لاختيش، دبير ملك عجلون
- (3) 1 صم 7 : 14 مل 9 : 20، عز 9 : 1.

الحيثيون

يرجع الحيثيون الى حثا وهو من ابناء كنعان فهم حاميون. استقروا أولاً في الأناضول حيث اسسوا لهم مملكة. ومن هناك بدأوا في التوسع فوصلوا إلى منابع دجلة والفرات نحو عام 1800 ق.م، وامتدت دولتهم من غربى آسيا الصغرى حتى السهول الواقعة شرقى دجلة. ومن البحر الأسود حتى دمشق⁽¹⁾. وكونوا مملكة قوية إبان عصر الأسرتين الثامنة عشر والتاسعة عشر في مصر. وامتد نفوذهم إلى سوريا وأصبحوا يهددون أملاك مصر من جهة الشرق. والتقى بهم رعمسيس الثانى عند قادش. ويبدو أن نتيجة المعركة لم تكن حاسمة لأى من الطرفين على الرغم من ان كل طرف نسب النصر لنفسه؛ فعقد الخصمان معاهدة صداقة وود أقرت وقوع شمال سوريا وبلاد أمورو ضمن نطاق الحيثيين؛ بينما اقتصر حكم مصر على جنوب سوريا وفلسطين. ولإثبات حسن النوايا تزوج رعمسيس الثانى من إبنة ملك خيتا (خاتوسيلي) وتسمت بالاسم المصرى (ماعت- نفرو- رع). وظل شعب الحيثيين مجهولاً لدى علماء الآثار حتى أعلن سايس A.H.SAYCE في محاضرة له بجمعية الآثار الإنجليزية انه عثر على أثار للحيثيين. وبفضل جهود كل من ل. دي لاپورت L.DELAPORTE و A.JURET تم تأسيس جمعية الدراسات الحثية والآشورية في باريس عام 1930 ، وكانت تنشر ابحاث العلماء في المجلة الحثية الآشورية REVUE HITTITE ET ASIATIQUE. وكان الكتاب المقدس هو أول مصدر تاريخى يذكر الحيثيين قبل اكتشاف الوثائق الحثية – بعد ذلك - في بוגاز كوي (1893 - 1906) والتي يقدر عددها بنحو عشرة آلاف لوح مسماري كان من بينها نص المعاهدة التي أبرمت بين خاتوسيلي ورعمسيس الثاني⁽²⁾. كما عثر على كتابات أخرى في كركميش وحلب وحماه⁽³⁾ ورأس الشمرة. ومعظمها محفوظ في المتحف البريطاني ومتحف استانبول. ويقول الدكتور سليم حسن عن قوم خيتا (الحيثيين) أنهم "يعدون ضمن القبائل السورية الصغيرة التي ذكرت في التوراة، وكان كل ما يعرف عنهم مستقى من كتاب العهد القديم... غير أن علم الآثار الخيتية لم يبتدئ فعلاً إلا فى عام 1886... ولفظة خيتيين (حيثيين) وصلتنا من كتاب العهد القديم وقد وجدت في الخط المسمارى بلفظة "خاتى" وفى المصرية "ختى"⁽⁴⁾.

(1) موسوعة مصر القديمة جزء 5 ص 640

(2) ا.د.جرني - الحيثيون ص 26.

(3) تحول اسمها في العصر السليوقي الى ايبفانية نسبة الى انطيوخوس ابيفانوس.

(4) سليم حسن - مصر القديمة جزء 5 ص 639.

وفي العام السادس من القرن العشرين تم العثور في بوغاز كوى شمال شرق انقرة - حيث كانت توجد عاصمة الحيثيين- على الألواح آفة الذكر وهي منقوشة بالبابلية والحيثية المحلية "وهي تؤكد ان المملكة الحيثية كانت احدى القوى العظمى في الشرق الادنى القديم في الالف الثاني ق.م. وكان بين النصوص وثائق المعاهدات التى عقدها ملوك الحيثيين مع الدول المجاورة، والتي عثر على نماذج مماثلة لها في مصر وبلاد الرافدين"⁽¹⁾

ومنذ عام 1200 ق.م أخذت مملكتهم فى التداعى نتيجة لتعرضها لهجمات شعوب منطقة بحر إيجه، ولهجمات العبرانيين من ناحية الجنوب. وأول ذكر لبنى حثا فى الكتاب المقدس ورد فى سفر التكوين عندما اشترى ابراهيم (2000 ق.م) حقلاً من عفرون الحثي بمنطقة حبرون. "فقام ابراهيم وسجد لشعب الأرض لبني حث" (تك 23: 7). وهذا يدل على أن سلطان الحيثيين بلغ أرض كنعان. وتزوج عيسو (عم الأسباط) باثنتين من بنات الحيثيين هما يهوديت ابنة ببرى وبسمة ابنة إيلون " فكانتا مرارة نفس لإسحق ورفقة " (تك 26: 35). وكان الحثيون من أوائل الشعوب الذين اصطدم بهم العبرانيون عند خروجهم من مصر إلى أرض كنعان. فحاربهم وانتصروا عليهم فى عهد يشوع (يش12) ثم اختلطوا بهم - وبغيرهم- واتخذوا بناتهم لأنفسهم نساء، وأعطوا بناتهم لبنيهم وعبدوا آلهتهم... فحمى غضب الرب على إسرائيل" (قض3: 7، 8). وفى عهد داود المك كان بالجيش عناصر من الحيثيين مثل القائد "أوريا الحثي" (2صم 11: 3). وكان لظهور مملكة الآشوريين⁽²⁾ فى الغرب العامل المباشر فى انهيار مملكة الحيثيين التى انتهت تماماً بسقوط عاصمتهم كركميش فى عام 717 ق.م. على يد سرجون الثانى.

(1) د. ارحيم هبو - تاريخ الشرق القديم - صنعاء
(2) ورد الاسم فى الكتاب المقدس للدلالة على ثاني أبناء سام أبى الآشوريين (تك 10: 22) وعلى بلاد آشور(تك 2: 14) وعلى شعب آشور(أش 31: 8) وعلى الههم. وبلاد آشور الأصلية تقع على الجزء الأعلى من نهر الدجلة وتمتد حتى سفوح جبال زاغروس. وبينما يمتاز الجانب الشرقى بخصوبة اراضيه ووفرة مياهه وبالتالي الارض المثمرة التى تجذب السكان، نرى القسم الغربى مقفراً وارضه جرداء. وكان الآشوريون مزيجاً من أجناس عدة فقد قطن البلاد فى حقبة مختلفة، السومريون والحثيون والميتانيون. ولكن فى النهاية سادت العناصر السامية وبخاصة الاكاديون والبابليون وامتلكوا البلاد. واهم مدنهم آشور(قلعة شرقاً) على الشاطئ الغربى لنهر الدجلة. وقد كشف التنقيب عن هيكل للآلهة أشتار مما يدل على وجود الأثر السومري فى آشور، وقد بنى هذا الهيكل حوالي سنة 2900 ق. م. أما المدن الأخرى فتقع شرقي الدجلة وتبعد كثيراً إلى الشمال. وهذه العواصم هي كلة (نمرود) ودور شردكين(خورسباد) ونيوى(تل كوينجك).

الحوريون، ومملكة ميتاني

إذا كان الحوريون هم بعينهم الحويون المذكورين في العهد القديم فهم حاميون أيضا مثل الحثيين. وقد استوطنوا أولا المرتفعات الواقعة شمال شرق الهلال الخصيب، وفي أواخر القرن الثامن عشر ق.م غزوا شمالي بلاد الرافدين، ومنها اتجهوا إلى شمال سوريا، حيث أسسوا هناك مملكة قوية. وفي القرن الخامس عشر ق.م أسسوا مملكة ميتاني التي امتد حكمها من البحر المتوسط إلى مرتفعات ميديا، وأهم مدنها "أشوكاني" الواقعة على نهر الخابور، وأرابخا ARAPHCHA (كركوك). وعرفت بلادهم في التاريخ المصري القديم بإسم (نهارين) فقد تعرضت للغزو المصري على يد تحوتمس الأول والثالث وامنحبت الثاني.

وتزوج امنحبت الثالث بأخت توشراتا ملكهم كما تزوج بإحدى بناته. وفي إحدى رسائله التي بعث بها إلى امنحبت الثالث يقول:

" إلى ميموريا (امنحبت الثالث) الملك العظيم ملك مصر أخي، صهري الذي يحبني والذي أحبه. هكذا يقول توشراتا الملك العظيم حموك الذي يحبك ملك ميتاني أخوك. انني في حالة حسنة. عسى ان تكون في حالة حسنة. وبيتك وشقيقتي وسائر نساءك واولادك ومركباتك وخيولك وجيشك وبلادك وجميع ممتلكاتك. ليكثر السلام عليك" (1).

وعقد معهم تحوتمس الرابع معاهدة صداقة (2) في عهد زعيمهم شوبيلوليويا. وفي عهد خلفه ماتيويا تمكن الحثيون من من احتلال الجزء الشمالي من سوريا بينما وقع قسمها الجنوبي في أيدي الآشوريين في عهد أدد-نيراري. وفي عهد خلفه شلمنصر الأول أصبحت ميتاني جزءا من الأمبراطورية الآشورية (3).

ويشير سفر التثنية إلى أن سلطان الحوريين امتد إلى المنطقة الواقعة إلى الشمال الغربي لشبه الجزيرة العربية. وقد تعرضت هذه المنطقة لغزو بني ~~إسرائيل~~ الذين قاموا بطرد الحوريين وحلوا محلهم (تث 2: 12). وعلى الرغم من زوال مملكة الحوريين إلا ان ذكرهم لم يمح من التاريخ ولا من المحفوظات التي وجدت في نوزي، حيث عثر على عقود زواج تنص على انه من حق الزوجة العاقر ان تختار لزوجها جارية تلد له اولادا، مثلما اشارت سارة على ابراهيم بالزواج من هاجر الجارية المصرية. وهو ما يشير ايضا الى التقارب

(1) فيليب حتي - تاريخ سورية ولبنان وفلسطين ص 162 و 163

(2) سليم حسن - موسوعة مصر القديمة، ج 5 ص 17.

(3) فيايب حتي - تاريخ سوريا ولبنان وفلسطين ص 163.

الآراميون

ينتسبون الى ارام ابن سام، وقد استقروا في بلاد سوريا على ضفاف وادي الفرات الأوسط، وكونوا مملكة قبل منتصف الألف الثاني قبل الميلاد، فكانوا يهددون الآموريين والحيثيين وغيرهم من الشعوب المجاورة. وقد ساعدهم الضعف الذي دب في عضد مملكة ميتاني بسبب هجمات الحيثيين على أن يحلوا محلهم. كما ادت قوتهم المتزايدة الى تقلص دولة الحيثيين⁽¹⁾.

وتحدث الآراميون اللغة التي تحمل اسمهم، والتي بدأت تنافس ثم تحل محل اللغة البابلية وكتابتها المسمارية المعقدة. واستعاضت عنها بكتابة ابجدية بسيطة اقتبستها من الفينيقية. وامتد انتشارها حتى استخدمت في الدواوين ابان العصر الفارسي. وظلت كذلك حتى العهد الاغريقي الذي حلت فيه اليونانية محلها في المعاملات الحكومية، بينما ظل الناس يتكلمونها حتى القرن السابع الميلادي اذ بدأت اللغة العربية تحل محلها. ويعتقد ان السيد المسيح كان يخاطب الناس بها.

وانقسم الآراميون الى ثلاث ممالك احداها تسمت باسم ارام النهرين لوقوعها بين الفرات ورافده الخابور. وكانت عاصمتها حاران⁽²⁾. "وهي اقدم الامارات الارامية في سورية وشرق الاردن، وقد عاشت هذه الامارة حتى قضى عليها نبوخذنصر في عام 609 ق.م."⁽³⁾.

وقد جاء ذكرها في الآثار المصرية باسم نهارين. وذكرت في سفر التكوين باسم فدان آرام PADAM ARAM. وكان مركزها مدينة حاران، ومنها خرج أسلاف العبرانيين : تارح، وإبراهيم "آرامياً تانهاً كان أبى" (تك26: 5). والى حاران ارسل إبراهيم رسولا يبحث عن زوجة لابنه اسحق فوقع الاختيار على رفقته (تك 24: 10)، ومن هناك ايضا اقترن يعقوب ابى الأسباط بليئة، وراحيل بنتى خاله لابان (تك28، 29) فأنجبنا له الأسباط الذين أسسوا مملكة إسرائيل.

ويروى فيليب حتي ان الآراميين والأخلاموا الذي ورد ذكرهم في حوليات الملك الآشوري ادد نيراري الأول(حوالي سنة 1300 ق. م) هم شعب واحد، فقد قال "ان اباه قهر

(1) ج. ل. مايرز، فجر التاريخ ص 108.

(2) تك25: 20، 28: 5، 31: 18

(3) د. محمد بيومي مهران، تاريخ مصر الفرعونية والشرق الأدنى القديم ص 179.

الاخلامو في شمال بلاد الرافدين". ويدلل على ذلك بما جاء في سجلات تغلت فلاسر الاول "لقد زحفت الى وسط الأخلامي الآراميين اعداء الاله آشور سيدي" (1).

بينما نرى في الترجمة الانجليزية بالنظر الى اداة العطف ما يفيد بأنهم شعبين مختلفين وان كانا متجاورين حيث ان الملك الآشوري يذكرهما معا في حملته:

" TWENTY EIGHT TIMES (I FOUGHT) THE AHLAMU PEOPLES AND THE ARAMEANS , (ONCE) I EVEN CROSSED THE EUPHRATES TWICE IN ONE YEAR. I DEFEATED THEM FROM TADMAR... " (2)

كما ذكرهم خاتوشلش (خاتوسيلي) في خطاب بعث به الى احد ملوك بابل يذكر له تهديدهم ومكان تواجدهم على طول نهر الفرات.

واسس الآراميون مملكة ثانية كانت متاخمة للأراضي الآشورية في الشمال وكانت عاصمتها دمشق. ومنها اتخذ ابراهيم اليعازر الدمشقي خادمه الوفي والقائم على بيته (تك 15: 2). وكانت لهم مملكة ثالثة عاصمتها صوبة والتي يعتقد انها عجر الحالية ويظن انها ايطورية الواردة في (لو 1: 3). وامتدت هذه المملكة من جبل لبنان غرباً، إلى حدود مملكة آرام دمشق شرقاً يحدها شمالاً زحلة.

وبدأ الصدام بينهم وبين العبرانيين منذ عهد شاول بن قيس (1صم 14: 47)، وانتصر داود على هدد عذر وحلفائه، ونجح في احتلال دمشق مؤقتاً. وفي عهد سليمان انضمت دمشق بزعامه رزون بن اليداع إلى صوبة بزعامه هدد عزز ضده (3).

ولما وقع الإنقسام في مملكة إسرائيل بعد موت سليمان نحو عام 922 ق.م وتكونت مملكة إسرائيل في الشمال تحت قيادة يربعام الأول، ومملكة يهوذا في الجنوب بزعامه رجبام بن سليمان؛ أخذ ملوك آرام يقتتلون الواقعة بين المملكتين ويناصرون الواحدة ضد اختها. من ذلك أن بنهدد الأول (4) ملك آرام دمشق كان حليفاً لبعشا ملك إسرائيل، ولكنه اضطر إلى نقض عهده مع بعشا بتحريض من آسا ملك يهوذا، مقابل الحصول على أواني

(1) فيليب حتي - تاريخ سوريا ولبنان وفلسطين ص 175 عن

luckenbill-vol i p.239

(2) James B. Parritchard, Ancient near eastern texts, 3 edition, p. 275.

(3) امل 11: 23-25.

(4) بنهدد بن طبريمون ابن حزبيون. وهناك ثلاثة من ملوك ارام حملوا اسم بنهدد والذي يعني ابن هدد (اله العواصف عند الاراميين) الملك الأول (900 - 860 ق.م). اعان اسا ملك يهوذا على ملك اسرائيل. والثاني (860 - 843 ق.م). كان على عدااء مع اخاب. والثالث (796 - 770 ق.م). شن حربا على مملكة الشمال في زمن اليسع النبي امل 20 : 2، 2 مل 8 : 7.

الهيكل وأوانى قصر آسا. وبالفعل انقض ملك يهوذا وملك آرام على مدن إسرائيل واستولوا على عيون، ودان، وأبل بيت معكة⁽¹⁾، وكنروت، وأرض نفتالي⁽²⁾.

وظلت إسرائيل خاضعة لمملكة آرام يؤدون لها الجزية حتى صعد عمرى على عرشها فأبى الخضوع واداء الجزية، كما رفض الانضمام للحلف الآرامى ضد آشور. لذلك صعد عليه بنهدد وحاصر السامرة وأجبره على الخضوع والانضمام للحلفاء⁽³⁾. والتقى جنود الحلفاء البالغ عددهم نحو 60.000 جندياً بجيش آشور عند قرقر نحو عام 853 ق.م وخرج شلمناصر الثالث قائد الآشوريين منتصراً.

وفى عهد آخاب ابن عمرى صعد بنهدد على رأس جيشه يعاونه إثنان وثلاثون ملكاً وحاصر السامرة، ثم دخل الفريقان فى عدة جولات حربية كان النصر فيها حليفاً لأخاب (1مل20). وبعد نحو ثلاث سنوات استجاب آخاب لدعوة يهو شافاط ملك يهوذا ليوقف بجانبه ضد آرام. وكان يهو شافاط يرغب فى استعادة راموت جلعاد من الآراميين. ودخل الحليفان المعركة التى أسفرت عن هزيمتهما (2مل22).

وورث حزائيل عرش الآراميين بعد موت بنهدد نحو عام 805 ق.م، وهو يعد أكبر محارب فى تاريخ مملكته، إذ أنه تصدى مرتين لهجوم شلمناصر فى عامى 842، 838 ق.م كما أنه قاد حملة ضد إسرائيل ووسع حدود مملكته فى شرقى الأردن "فى تلك الأيام ابتدأ الرب يقتص من إسرائيل فضر بهم حزائيل فى جميع تخوم إسرائيل، من الأردن لجهة مشرق الشمس جميع أرض جلعاد الجاديين، والرأوبينيين، والمنسيين من عرو غير التى على وادى أرنون وجلعاد وباشان"⁽⁴⁾. وكان ذلك فى عهد ياهو.

ولما مات ياهو، وخلفه ابنه يهوآحاز عوضاً عنه فإنه ظل خاضعاً لأرام يؤدى لها الجزية "... وعمل (أى يهوآحاز) الشر فى عيني الرب... فحمى غضب الرب على إسرائيل فدفعهم ليد حزائيل ملك آرام وليد بنهدد (الثانى) بن حزائيل كل الأيام... لأنه لم يبقى

(1) مدينة حصينة (2 صم 20: 15، 1مل15: 20). اشتهر سكانها بتمسكهم بالناموس (2صم20: 18) وقد هرب إليها سبع بن بكري من وجه داود. وفي سنة 734 تعرضت المدينة لغزو تغلت فلاسر وأخذ سكانها فى السبي إلى آشور (2ملوك15: 29). ولعل مكانها اليوم هو المعروف باسم تل أبل أو تل القمح. وهي قرية تقع غرب الأردن على مسافة اثني عشر ميلاً شمال بحيرة الحولة مقابل دان ويحيط بها سهل مياه وفيرة، وأرضه خصبة ولذا فقد أطلق عليه فى القديم اسم أبل مايم أو أبل المياه (2 اخبار 16)

(2) 1مل 15: 18-20، 2مل 16-20.

(3) عقد حلفاً من الآراميين، والفينيقيين، وحماة، وإسرائيل.

(4) 2مل10: 32-33.

ليهوآحاز شعباً إلا خمسين فارساً وعشر مركبات وعشرة آلاف رجل لأن ملك آرام أفناهم ووضعهم كالتراب للدوس⁽¹⁾.

ثم صعد حزائيل إلى جَبْت واستولى عليها (2مل 17: 12). وبعد ذلك حول وجهته إلى أورشليم عازماً على أخذها، لكنه اكتفى بخزائن الهيكل وخزائن قصر يهوآش ملك يهوذا. وتحققت نبوة اليشع⁽²⁾ النبي عندما اتاه حزائيل يستخيره في مرض بنهدد ملك آرام، فقال له اليشع بان بنهدد سوف يُعافي من مرضه، ولكنه بعد ذلك سيموت. كما أخبره بأنه سوف يجلس مكانه على عرش آرام، وانه سيحارب اسرائيل وينتقم منهم: "فقال حزائيل لماذا يبكي سيدي فقال لاني علمت ما ستفعله ببني اسرائيل من الشر فانك تطلق النار في حصونهم وتقتل شبانهم بالسيف وتحطم اطفالهم وتشق حواملهم" (2مل 8 : 12).

وفي شهر يوليو من عام 1993 كشف المتقربون النقاب عن جزء من لوحة من البازلت عرفت باسم لوحة بيت دان. وفي العام التالي تم العثور على جزئين آخرين من نفس اللوحة التي تحمل اسم حزائيل ملك آرام دمشق. وقد ذكر انتصاراته في معركة راموت جلعاد ضد كل من يورام ابن اخاب، وابنه اخزيا، وياهو ملك اسرائيل. وادعى انه قتل اخزيا، ولكن حقيقة الامر انه مات على يد رجال ياهو ابن نمشي (2 اخ 22).

وقال حزائيل ايضا " وحدد(هدد) جعلني ملكا "⁽³⁾ ناسبا الفضل الى الهه. فربما لم يكن من صلب الملك السابق بنهدد او انه كان ابنا له بالتبني مثلما كان العازر الدمشقي قائما على بيت ابراهيم الذي عاتب الرب على عدم الانجاب قائلا "ايها السيد الرب ماذا تعطيني وانا ماض عقيما ومالك بيتي هو العازر الدمشقي" (تك 15 : 2). ومما يؤكد ذلك ايضا قول الوحي عن حزائيل بعد مقابلة اليشع "فانطلق من عند اليشع ودخل الى سيده فقال له ماذا قال لك اليشع فقال لي انك تحيا" (2مل 8 : 14) وعلى ذات اللوحة يتفاخر حزائيل بانه قتل يورام. ولعله اصاب في ذلك بعض الشيء لان يورام جرح بالفعل في المعركة ولكنه لم يمت بل اجهز عليه رجال ياهو وهو في طريقه الى يزرعيل ليتطبب هناك (2 اخبار 22 : 6، 2مل 8 : 29). وبعد موت حزائيل خلفه بنهدد الثاني وفي عهده دخلت مملكة آرام في طور الانحلال ؛ فتمكن يواش بن يهوآحاز ملك اسرائيل من استرداد المدن التي وقعت في أيدي الأراميين من قبل، وذلك بعد ثلاث جولات حربية. (2مل 13 : 25).

(1) 2مل 13 : 2-7.

(2) خدم الله كنبى لأكثر من خمسين سنة عاصر خلالها ستة من ملوك اسرائيل.

(3) Andre Lemaire – prophetes et rois – bible et proche orient p. 88

وتقلصت مملكة الآراميين وعادت إلى حدودها الأولى مما يسر على يربعام الثاني ابن يوأش أن يقوم بمواجهة دمشق وحماه في عام 785 ق.م (2مل 14: 28).

وفي عام 734 ق.م اتحد ففتح ملك إسرائيل مع رصين ملك دمشق ضد آحاز ملك يهوذا، فما كان من آحاز إلا أن لجأ إلى آشور يطلب منها المساعدة (2مل 16: 5) مما أعطى الفرصة لتغلّت فلاسر الثالث أن يبدأ في اجتياح مدن آرام. ثم دخل دمشق في عام 732 ودمرها وقتل ملكها معلناً سقوط مملكة دمشق الآرامية. وكان أرميا النبي قد تنبأ بما حل بمملكة آرام قبل سقوطها بقوله: "خزيت حماة وأرفاد.... وأشعل ناراً في سور دمشق فتأكل قصور بنهدد" (إر 49: 23، 27). وتعود أقدم الكتابات الآرامية الى بداية القرن التاسع وقد عثر عليها في شمال سورية عند تل حلف (غوزانة) ⁽¹⁾. كما عثر على نصب تذكاري في شمال حلب يرجع الى عام 850 ق.م. جاء فيها: "النصب الذي أقامه بار حدد ابن طاب رمان ابن حاديان ملك آرام لسيدته ملقات. وقد نذره له لانه اصغى الى صوته" ⁽²⁾

وفي حماة عثر على كتابة أخرى تحمل اسم زاکر ملك حماة ولعش، يذكر فيها نجاته من الهجوم الذي شنه عليه سبعة عشر ملكاً من بينهم ملوك دمشق وغيرها ⁽³⁾ واشتغل الآراميون بتجارة الكتان واليشب وغيره وكانوا يستوردون الأرجوان من الفينيقيين، والعاج والأبنوس من افريقية. وعبدوا الههم حدد (هدد) اله الزوابع. وكان نعمان السرياني يسمى سيده ملك دمشق ريمون اي الرعد (2مل 5: 18).

وادی تغلب الآراميين على جيرانهم الى انتشاره لغتهم التي تفوقت على شقيقاتها من اللغات السامية كالعبرانية.

(1) Raymond A.Bowman-the old Aramic Alphabet of Ellhalaf

(2) Maurice Dumand- Stele Arameene Dedie a Maleqat- bulletin du musee de Beyrout vol iii 139.

(3) H.Pogonon- Inscriptions Senetiques de la syrie ,de la Mesopotamie et de la Region de Mossoul-p.156 Paris 1907

الفينيقيون

استوطن الفينيقيون المنطقة الواقعة بين جبال لبنان⁽¹⁾ شرقاً والبحر المتوسط غرباً. وكانوا على علاقة طيبة بمصر منذ عهد الدولة القديمة وهم من أنشط تجار العالم عبر البحار. وأقاموا لهم مستعمرات في الجذر وفي المدن الساحلية مثل قبرص، وميلوس، ورودرس، وصقيلة، وسردينيا، ومالطة، ومارسيليا وغيرها. ومن أشهر مدنها ببلوص، وصور، وصيدا. وكانت ببلوص تشتهر بتجارة البردى المطلوب من مصر. وفي القرن العاشر ق.م. كان حيرام ملك صور على علاقة طيبة بالملك داود وبابنه سليمان حتى أنه أمد الأول بخشب الأرز لبناء قصره. كما أمد الثاني بالفنانين، والنجارين وبالمواد اللازمة لبناء الهيكل. وتذكر الآثار المصرية - ومنها حجر بالرموا - أن فراعنة مصر كانوا يستوردون الخشب من الساحل الفينيقي لبناء السفن، ولصناعة الآثاث الذي ما زال باقياً حتى الآن شاهداً على ذلك.

ونظراً لأهمية موقع البلاد الفينيقية فإنها كانت محطاً لأطماع الممالك المجاورة فخضع كثير من مدنها لمصر، وأشور، وبابل، وفارس، وكانت صور - بفضل حصانة موقعها - كثيراً ما تستعصى على الغزاة. ولعل هذا هو السبب المباشر في جعل سقوطها في أيدي الفرس أمراً بعيد المنال، فاحتفظت باستقلالها حتى وقعت في قبضة الإسكندر المقدوني الذي دمرها وأشعل فيها النار لما لاقاه من صعوبة في دخولها. وأسس بدلاً منها مدينة الإسكندرية لتحل محلها كميناء رئيسي للتجارة العالمية.

ولعل كثرة ما أتاه شعب صور وصيدا - وغيرهما من المدن الفينيقية - من الشرور ما جعل ذكرهما في الكتاب المقدس مثلاً لقصاص العدل الإلهي. ونهايتهما جعلت عبرة لغيرهما من الشعوب.

وعلى الرغم من تقدم الفينيقيين في فنون التجارة وغيرها، إلا أنهم بلغوا درجات منخفضة من البغي والريزية. فاعتادوا ممارسة البغاء في معابدهم. وقد انعكست هذه العادات السيئة على غيرهم من الشعوب حتى أن بني إسرائيل تأثروا بهم وأخذوا بأسباب بغيهم. ومن ثم فقد أوقع بهم الله - الذي ليس عنده محاباة - القصاص العادل حتى أنه دعا ليس على صور وحدها بل وعلى السامرة وأورشليم أيضاً بالخراب "ما هي مرتفعات يهوذا أليست أورشليم. فأجعل السامرة خربة في البرية... وجميع أصنامها أجعلها خراباً لأنها من عُقر الزانية والى عُقر الزانية تعود(مicha: 1-7)".

(1) اسم لبنان مشتق من كلمة لبن السامية التي تعني الأبيض لاكتساء قمم جباله بالثلوج البيضاء في فصل الشتاء.

كما كان من العادات السيئة لدى الفينيقيين وغيرهم تقديم الأطفال قرباناً لإرضاء الآلهة. ومنه أن ميشع ملك الموابيين أصعد ابنه محرقة عندما هزم جيشه أمام جيش يهورام ويهوذا (مل 2: 3: 27). وكان بالضرورة أن يلحق بصور ما أصاب السامرة وأورشليم. وتحقق ذلك على يد نبوخذ نصر ملك بابل الذي دهمها بعد حصار بالغ المؤرخون في تقدير مدته. وجريا على عادة الملوك ترك الملك البابلي نقشا عند نهر الكلب سجل فيه اخبار غزواته وانتصاراته، ومنها استيلاءه على صور التي تحققت فيها نبوة حزقيال النبي:

"لأنه هكذا يقول السيد الرب. ها أنذا أجلب على صور نبوخذ نصر ملك بابل... بخيل وبمركبات، وبفرسان وجماعة وشعب كثير، فيقتل بناتك في الحقل بالسيف ويبني عليك معاقل... ويجعل مجانيق على أسوارك ويهدم أبراجك بأدوات حربه... يقتل شعبك بالسيف فتسقط إلى الأرض أنصاب عزل، وينهبون ثروتك ويهدون أسوارك، ويهدمون بيوتك البهيجة ويضعون حجارتك وخشبك وترابك في وسط المياه..." (حز 26).

وعلى أثر الضعف الذي حل بمملكة بابل بعد موت نبوخذ نصر كانت صور من أوائل المدن التي استقلت. ومن ثم أخذت تستعيد قوتها وأمجادها الغابرة وقد وصفها ذكرى النبي بقوله "... وصور وصيدون وإن تكن حكيمة جداً. وقد بنت صور حصناً لنفسها، وكومت الفضة كالتراب والذهب كطين الأسواق" (زك 2: 9). وهذا الوصف فضلاً عن أنه يتفق وموقع المدينة الاستراتيجية باعتبارها من أهم المدن التجارية في العالم المعروف آنذاك، فهو أيضاً يتفق مع وصف سترابون لها. ثم يحذر من خراب آخر سيحل بها (زك 4: 9) وبالفعل فإن الاسكندر قام بتدميرها وأشعل فيها النار. وأمر بقتل كل من وجدوه في شوارعها إلا من هرب إلى المعابد واستجار بالآلهة. وقتل المقدونيون من سكانها نحو ستة آلاف، وعلقوا على أسوارها الفين آخرين، ومن نجا من الموت ومن الفرار بيع في أسواق الرقيق. وتمت فيها أقوال الانبياء (حز 6: 27). "ولولي يا سفن ترشيش (التي كانت تبحر من صور إلى اسبانيا والعكس) فقد دمرت حتى ليس بيت ولا مدخل من ارض كتم".

ولم ياتي انتصار الاسكندر على صور في سهولة ويسر، بل بعد مقاومة شرسة من قبل الصوريين. وروي ان الاسكندر استعان بسفن وعتاد المدن التي كان قد استولى عليها قبل اقتحام صور مثل صيدا وارفاد وببلوص ورووس ومالوس، وذلك لمواجهة الخسائر التي لحقت باسطوله من جراء مقاومة الصوريين. فبعد حصار صور الذي استمر لنحو سبعة اشهر، من شباط حتى اب سنة 332 ق.م. فانها استسلمت في اخر المطاف. وقبل ان تسقط صور فان عددا كبيرا من سكانها يقدر بنحو خمسة عشر الفا هجر المدينة، وانطلق في البحر حيث اقاموا في جزيرة صيدا القريبة منها. وقيل ان الاسكندر دهما هي الاخرى وعمل جسرا

يربط الجزيرة بالشاطئ مستخدماً حجارة المدينة الهدومة. تحقيقاً لما جاء في نبوءة حزقيال (6: 27). وما تزال اثار الرصيف الذى اقامه الاسكندر موجوداً فى البحر. وبعد الاستيلاء على صور قتل جيش الاسكندر من السوريين زهاء ثمانية الاف نفس، واسر الألاف منهم، قيل ثلاثين⁽¹⁾ وقيل ثلاثة عشر⁽²⁾ الفا آخرين بيعوا فى اسواق العبيد. وبعد حوالي ثمانية عشر عاماً اي في عام 324 ق.م. تعرضت المدينة لغزوة مقدونية اخرى قادها انتيجونس.

وعندما اتم البطالمة مدينة الاسكندرية وجعلوا منها ميناءً تجارياً اخذت اهمية مدينة صور التجارية في التداعي حتى زالت من الوجود. واما المدينة الجديدة فقد اقيمت على رقعة جديدة وان احتفظت بنفس الاسم. وخلال هذه السنوات كانت صور قد لملت شملها واصلحت الكثير من خرابها ولكن لم يدم عزها طويلاً فقد قام بطليموس الثاني فيلادلفوس بعمل طريق تجاري جديد وذلك بربط خليج السويس بالنيل ومنه الى البحر المتوسط حيث تشق التجارة طريقها من والى اوربا..

وتنبأ حزقيال النبي عن مدينة فينيقية اخرى هي صيدا وهي من اعرق المدن الفينيقية وامنعها قوة وحصانة. ومنذ القرن الحادي عشر وحتى القرن الرابع قبل الميلاد كانت سيدة البحار بين جيرانها. ولكنها تعرضت للتدمير على يد الفرس عندما امتنعت عن دفع الجزية. فدمروها نحو سنة 351 ق.م. ولكن جل سكانها اثر الانتحار على الوقوع فى ايدي المغيرين.

(1) فليب حتي - المرجع السابق ص 254 عن

Arrian - Bk.ii p8-24 & Diodorus - Bk.xvi p.41-46.

(2) جواد بولس - الموسوعة التاريخية ، ج 2 ص 420 .

الفلسطينيون

لعلهم يرجعون في الاصل الى فلسطين بن كلسوحيب بن مصريام بن حام بن نوح. ويعتقد المختصون انهم أحد شعوب البحر الذين هاجروا من منطقة بحر إيجة وسكنوا البلاد الساحلية من غزة حتى جنوب يافا. وتمكنوا من الاستيلاء على عدد كبير من مدن الكنعانيين، وأشهر مدنها: غزة، وعسقلان، وأشدود، وعقرون، وجت⁽¹⁾. وكانوا من الشعوب التي اصطدم بها العبرانيون بعد خروجهم من مصر. وتأرجح النصر والهزيمة بين الفريقين خلال عصر القضاة (يش 17: 2، قض 1: 19) وكذلك خلال جزء من حكم الملوك.

وقد كان الفلسطينيون - وغيرهم - بمثابة عصا لتأديب العبرانيين الذين انكسروا أمامهم عدة مرات من بينها ما تم في عام 1050 ق.م حيث سلب منهم تابوت العهد، وحمله الفلسطينيون معهم إلى أشدود حيث وضعوه في بيت داجون معبودهم الشهير. ثم أعادوه بعد سبعة أشهر.

"واخذ الفلسطينيون تابوت الله وادخلوه الى بيت داجون واقاموه بقرب داجون. وبكر الاشيدوديون في الغد وإذا بداجون ساقط على وجهه الى الارض امام تابوت الرب فاخذوا داجون واقاموه في مكانه."⁽²⁾ وفي عهد شاول الملك امتد نفوذهم حتى بيت شان⁽³⁾ في الداخل (اصم 13: 3، 31: 12).

(1) تل عرق المنشية غرب جبرين وعلى بعد ستة اميال منها

(2) 1 صم 5: 1-12، 2: 7 ن 10: 10، 1 مك 10: 84.

(3) جاء ذكرها على النصب التذكاري الذي اقامه سيتي الاول هناك: "... في هذا اليوم جاء من يخبره ان العدو اللئيم في بلدة حمث Hamath قد جمع اليه العدو الغير من الجنود واستولى على بيت شان Ret Shan ثم عقدوا حلفا في باهيل وها هم قد جروا امير رحوب Rahob عن الخروج عندئذ قام جلالته بارسال جيش الى بلدة حمث وآخر الى بيت شان وثالث الى ينوعم Yanoam وما ان انقضى النهار حتى انهزموا جميعا امام عظمة جلالته ملك مصر العليا والسفلى...." فراس السواح - الحدث التوراتي والشرق الادنى القديم ص 62 و63. وتقع اطلال المدينة القديمة بالقرب من بيسان الحالية في فلسطين المحتلة. ودلت تنقيبات A.Riwe التي قام بها في المنطقة في ثلاثينيات القرن العشرين على ان الموقع كان عامرا بالسكان منذ الالف الرابع قبل الميلاد، ثم ظهرت المدينة المحصنة في القرن الرابع عشر قبل الميلاد. وعثر بالمنطقة على عدد من المعابد الكنعانية بنيت فوق بعضها، الاول منها يرجع الى القرن الرابع عشر ق.م. والتالى له يعود الى ما بين عامي 1300 و 1150 ق.م. كما عثر على تماثيل مصرية - الى جانب الكنعانية - مما يدل على امتداد النفوذ المصري في عصر تحتمس الثالث ورعمسيس الثاني ووالده سيتي الاول. ووجدت اطلال معبد ثالث من العهد العبراني ورابع من العصر الهلنستي. وكذلك كنيسة من العصر البيزنطي. وفي الطبقة الخامسة عثر على اثار تعود الى القرن العاشر اي الى عهد داود وسليمان. ولما انقسمت المملكة آلت بيت شان الى مملكة الشمال. كما دلت الآثار ايضا على ان هذه المدينة تجت من التدمير الأسوري.

ولعل ما ساعدهم على التفوق على غيرهم من الشعوب هو معرفتهم بصهر الحديد الذى كانوا يصنعون منه أسلحتهم. ويروى سفر أخبار الأيام الأول (17:7) أن جليات كان يحتاج إلى حامل ترس خاص يمشى قدامه. وكان العبرانيون يلجأون إلى حدادين فلسطينيين للحصول على آلات وأدوات حديدية : "ولم يوجد صانع فى كل أرض إسرائيل، لأن الفلسطينيين قالوا لنلا يعمل العبرانيون سيفاً أو رمحاً بل كان ينزل كل إسرائيل إلى الفلسطينيين لكى يحدد كل واحد سكينة ومنجله وفأسه ومعوله" (1صم13:19 و20) وقد عرف الكنعانيون الذين تعلموا من الفلسطينيين، استخدام المركبات الحديدية، وتفوقوا بها على الغزاه العبرانيين فى فترات ضعفهم وبعدهم عن الله "وإن فعلتم شراً فإنكم تهلكون أنتم وملككم جميعاً" (1صم12: 25).

وفى عهد داود عرف العبرانيون طريقة صهر الحديد "... وهى داود حديداً كثيراً للمسامير لمصاريح الأبواب وللوصل ونحاساً كثيراً بلا وزن. وخشب أرز لم يكن له عدد لأن الصيونييين والصوريين أتوا بخشب أرز كثير إلى داود.. " (1أخ 22: 3، 4). كما أن بلاد أدوم التى استولى عليها كانت مصدراً غنياً للحديد الخام. إلى جانب توافره عند البحر الميت وفى لبنان. ومع مرور الزمن انصهر الفلسطينيون مع الشعوب السامية. ونحو منتصف القرن الخامس قبل الميلاد ذكرهم نحميا باسم الأشدوديين (سكان أشدود). وكانوا يعبدون داجون، كما جاء فى أسفار العهد القديم: وأما أقطاب الفلسطينيين فاجتمعوا ليزبحوا ذبيحة عظيمة لداجون إلههم ويفرحوا وقالوا قد دفع إلها ليدنا شمشون عدونا. وبكر الأشدوديون فى الغد وإذا بداجون ساقط على وجهه إلى الأرض أمام تابوت الرب" فأخذوا داجون وأقاموه فى مكانه" (1). وكانت عشتروت رفيقة داجون، والهة الحرب تعبد فى أشقلون (عسقلان).

(انظر فراس السواح، ص 171 وكذلك:

K.Kenyon Archaeology in the holy land p. 320)

وفى العصر الهلنستي اطلق عليها اسم سكيثوبوليس Scythopolis اي مدينة السكيثيين الوارد ذكرهم فى (كو 3 : 11).

(1) اصم 5: 3.

الموابيون والعمونيون

يرجع أصلهم إلى مواب وعمون ابني لوط، وهو ابن أخى إبراهيم (تك 19: 37). وقد سكن الموابيون فى المنطقة الواقعة شرقى البحر الميت، وهذه المنطقة كان يسكنها الرافانيون من قبلهم. والى الشمال منهم استقر بنو عمون (تث 2: 9) وأثناء إرتحال العبرانيين من برية قادش برنيع إلى شرقى الأردن كان عليهم أن يَمروا بتخيم الموابيين والعمونيين. وهناك أوصى الرب موسى ألا يهاجم الموابيين، ولا العمونيين فقد أعطيت لهم أرضهم ميراثاً. وفي عربات مواب على الشاطئ الشرقى للأردن خاطب موسى الشعب مذكراً إياهم بالوصايا وبكلمات العهد للمرة الثانية. وبعدها رقد موسى النبي على رجاء القيامة ودفنوه في مواب وأخفى الله قبره (تث 32: 48-53، 34: 6).

وعلى الرغم مما فعله العبرانيون من إحسان مع الموابيين إلا أنه بعد مضى عدة قرون تحالف بنو عمون⁽¹⁾ مع إخوانهم بنى مواب ضد يهوشافاط ملك يهوذا. وفى طريقهم التقوا ببني سعير، ثم مالبت أن دب الخلاف بينهم فإقتتلوا فيما بينهم وأفنى بعضهم بعضاً "وقام بنو عمون ومواب على سكان جبل سعير ليحرموهم ويهلكوهم، ولما فرغوا من سكان سعير ساعد بعضهم على إهلاك بعض... " (2 أى 20: 23). فقد استجاب الرب لتذلل يهوشافاط وشعبه " فخر يهوشافاط لوجهه على الأرض وكل يهوذا وسكان أورشليم سقطوا أمام الرب سجوداً للرب " (2 أى 20: 18).

ثم تقدم بنو يهوذا إلى ساحة القتال فإذا بجثث ساقطة فأقدموا على حمل أموال وممتلكات القتلى. وقد استغرق ذلك العمل ثلاثة أيام "وفى اليوم الرابع اجتمعوا فى وادى بركة لأنهم هناك باركوا الرب لذلك دعوا اسم المكان وادى بركة إلى اليوم " (أى 20: 26).

وتنبأ أرميا فى عهد نبوخذ نصر ملك بابل عن الخراب المقبل على الموابيين وأفرد له فصلاً كاملاً من الويلات نذكر مما جاء فيه قول الوحى على لسانه: "... قد حُطمت مواب... فمن أجل اتكالك على أعمالك وعلى خزانك ستؤخذين أنت أيضاً ويخرج كموش (رب الموابيين) إلى السبى كهنته ورؤساؤه معاً، ويأتى الملك إلى كل مدينة، فلا تفلت مدينة فيبيد العطاء ويهلك السهل كما قال الرب... " (إر 48: 4، 7، 8).

(1) تقع عمون على الشاطئ الشرقى للبحر الميت الى الشمال من مواب وكغيرها من المدن التي تعرضت للخراب بسبب شرورها الكثيرة كما سبق وأخبر الأنبياء (ارميا 626-568 ق.م. وحزقيال 592-570 ق. م.) بما سيحل بها. وحدث ذلك عندما أرسل زعيم عمون جيشاً لمحاربة شلمناصر الآشوري فلقى الهزيمة وتعرضت المملكة الصغيرة للتأديب الآشوري القاسي.

وقال أيضاً: "... وبهالك موآب عن أن يكون شعباً لأنه قد تعاظم على الرب... ويل لك يا موآب. يا شعب كاموش لأن بنيك قد أخذوا إلى السبي وبناتك إلى الجلاء ولكنني أرد سبي موآب في آخر الأيام يقول الرب..."⁽¹⁾. وذكر أرميا النبي أسماء المدن التي لحقها التدمير مثل نبو، قريتايم، مسجاب، مدمين، حوروناييم، ديبون، بيت معون، بُصرة.... الخ.

وتحدث كذلك عما سيلقاه بنو عمّون قاتلاً: "...ها أيام تأتي يقول الرب وأسمع في ربّه بنى عمون جلبه حرب وتصير تلاً خرباً وتحرق بناتها بالنار.... ولولى يا (حشبون) لأن (عائ) قد خربت. أصرخن يا بنات (ربة) لأن ملكهم يذهب إلى السبي هو وكهنّته ورؤساؤه معاً... ثم بعد ذلك أرد سبي بنى عمون يقول الرب" (أر 49: 2، 3، 6).

فى عام 1868م عثر F.A.KLEIN "على حجر اسود"⁽²⁾ (1×0.60م) فى ذيبان(ديبون) الواقعة على بعد ثلاثة عشر ميلا شرقى البحر الميت، وهو محفوظ الان بمتحف اللوفر، وقد جاء فيه على لسان ميشع ملك موآب:

"أنا ميشاع بن كاموش⁽³⁾ ملك موآب... ملك أبى فى موآب 30 سنة.. وأقمت هذا النصب لكاموش فى (كوركا)... إن عمّرى كان ملك إسرائيل، وضايق موآب أياماً طوالاً. لأن كاموش كان ساخطاً على أرضه، وخلفه ابنه آخاب فقال: أنا أيضاً أقهر موآب فى أيامى، وأتسلط عليه وأذله هو وبيته، فباد إسرائيل بيداً دائماً. وكان عمّرى استحوذ على أرض ميديا واحتلها وعاش هو وابنه 40 سنة⁽⁴⁾. فاستردها كاموش فى أيامى. أنا بنيت بعل معون واحتفرت هناك أباراً، وأقمت قريتايم وكان رجال جاد(عد32، يش13) يسكنون فى أرض عكاروت منذ زمان مديد فحاربت المدينة. وافتحتها وقتلت كل رجالها فكان ذلك مشهداً لكاموش وموآب، وأخذت من ثم مذبج دودو (داود) وطرحته على الأرض أمام كاموش فى قريوت، وأسكنت هناك رجال ستارون ومقاده...

وقال كاموش: إمض وافتتح نابو على بنى إسرائيل فمضيت ليلاً، وأقمت الحرب عليها من الفجر إلى الظهر، فأخذتها، وقتلت كل رجالها سبعة آلاف رجل ونساءهم، واستحييت البنات، والعبيد، لأنى قدمتهم إلى عشتاروت كاموش وأخذت من هناك آنية يهوه وطرحتها على الأرض أمام كاموش وكان ملك إسرائيل بنى ياسا (مدينة) واحتلها عندما كان

(1) إر 48: 42، 46، 47.

(2) محفوظ الآن بمتحف اللوفر.

(3) نسب ميشاع نفسه إلى محبوبه كاموش مثلما كان يفعل فرااعة مصر فكانوا يحملون لقب (سا - رع)

أى إبن رع إله الشمس.

(4) يقصد مدة حكم عمري(12 سنة) وأخاب(22 سنة) وأخزيا (سنتان) وتقدم ذلك أربع سنوات من الحرب الأهلية فلمجموع يكون 40 سنة كما ذكر ميشع تأكيداً لما ورد في كتب الوحي

يحاربني فطرده كاموش⁽¹⁾ من أمام وجهه لأنى أخذت من مؤاب 200 رجلاً.. وأرسلتهم على ياسا فأخذتها وضممتها إلى ديبون، أنا بنيت كوركا وأسوار يعرين، وأوفيل، وأقمت أبوابها وأبراجها وبنيت دار الملك والسجون فى وسط المدينة ولم تكن أبار فى كوركا، فأمرت الشعب أن يحتفر كل منهم بئراً فى بيته. وحفرت مجارى لجلب الماء إلى كوركا. واشعلت فيها أسرى إسرائيل. أنا بنيت عرائر ومهدت طريق إدفون، أنا بنيت بيت باموت لأنها كانت خراباً....⁽²⁾

ويخبرنا سفر الملوك الثانى أن ميشع كان خاضعاً لأخاب وكان يؤدى له الجزية، ثم تمرد على الخضوع لمملكة إسرائيل بعد موت آخاب "وكان ميشع ملك مؤاب صاحب مواش، فأدى لملك إسرائيل مئة ألف خروف ومئة ألف كبش يصونها، وعند موت آخاب عصى ملك مؤاب على ملك إسرائيل...." (2مل3: 4، 5). وليس بغريب أن ينسب ملك مؤاب قصة انتصاره على عمرى أو آخاب، فتلك كانت عادة الملوك أنهم ينسبون النصر دائماً لصالحهم حتى وإن كانت لحقتهم الهزيمة.

وتعد **اعتير** من الشخصيات النسائية التي اشتهرت في العهد القديم وكانت مؤابية الأصل وعرفت بتقواها وبأنها امرأة فاضلة. وقد انجبت من بو عز، عوبيد جد داود النبي. (را 4 : 17، 1 أخبار 2 : 12).

(1) " et je suis alle de nuit et j'y " (1) combattu de la poite de l' aube jusqu' a midi. et je l' ai prise et l' tuee tout entiere: sept mille homme ,garcons femmes [filles] et femmes enceintes, car je l'avais.

(2) الأسقف اسيدوروس – المطالب النظرية في المواضيع الالهية ص 512، 513. وكذلك فراس السواح – الحدث التوراتي وتاريخ الشرق الأدنى القديم ص 306 و 307. &

D. Winton Thomas , documents from old testament times , p.196.

● وهي ابنة سخص يدعى أبيجانل (اس 2 : 15) بعد موت والديها وهي بعد صغيرة تولى امرها ابن عمها مردخاي الذي تبناها. وقد تزوجها الملك أحشوروش (أكزركسيس) وجعلها ملكة بعد ان حط من شأن وشتي الملكة السابقة لأنها عصته وكان ذلك في السنة السابعة لملكه. وذكر هيرودوت ان من زوجات اكسركسيس واحدة تدعى أمسترس حفيدة أوثانوس اقترن بها في سنة 479 ق. م. وهي السنة السابعة من ملكه. وقد كانت استير سببا في ابطال مؤامرة (هامان) احد المقربين للملك أحشوروش، ضد مردخاي وضد شعبها، (اس 2 : 16 و 3 : 7)

العيلاميون:

ينتمي العيلاميون في الأصل إلى عيلام أحد أبناء سام. وعيلام هو أخو آشور، وأرام، وأرفكشاد، ولود. وقد استوطن العيلاميون المنطقة الواقعة بين فارس وبابل، يحدهم من الشمال الماديون إلى الشرق، والآشوريون إلى الغرب. ومن الجنوب يحدهم الخليج الفارسي. وكانت السوس (شوشن القصر) تعد مركز إقليمهم. وفي بادئ الأمر بسط العيلاميون سيطرتهم على بابل.



اطلال مدينة سوس عاصمة العيلاميين (الفرس) القديمة

وعن اجتياحهم لأرض الرافدين يقول هنري برستيد "جاء العيلاميون من الشرق واستولوا على المدن السومرية واسروا اخرملوك اور ونهبوا مقابر الملوك السابقين". ثم دخل العيلاميون في صراع مع الآموريين الذين اقتحموا البلاد من جهة الغرب وتمكنوا من السيطرة على بعض المدن في الشمال "واستمر الصراع بين العيلاميون والآموريين وقتاً طويلاً حتى صعد على عرش بابل حمورابي سادس الملوك الذي تمكن من الانتصار على الحاكم العيلامي واخضع بذلك مدن الجنوب"⁽¹⁾ ثم خضعوا بعد ذلك للآشوريين، ونحو عام 597 ق.م تنبأ أرميا النبي عن سقوط مملكة عيلام على يد نبوخذ نصر زعيم المملكة البابلية الجديدة وعلى يد غيره بقوله: "هكذا قال رب الجنود؛ فهأنذا أحطم قوس عيلام أول قوتهم، وأجلب علي عيلام أربع رياح من أربعة أطراف السماء. وأذريهم لكل هذه الرياح، ولا تكون أمه إلا ويأتى إليها منفيو عيلام... ويكون في آخر الأيام إنى أرد سبى عيلام يقول الرب" (إر 49: 35-39).

(1) جيمس هنري برستيد - تاريخ الشرق القديم، ص 186 ترجمة د. احمد فخري القاهرة 1969.

عصر الملوك

شاول (1020 ق.م)

وكان لما شاخ صموئيل النبي والقاضي، ولما عوج ابنه القضاء، ولم يقضيا بالحق، وامتدت ايديهما الى الرشوة. ان اجتمع وجهاء الشعب وطلبوا من صموئيل النبي ان يقيم لهم ملكا. فاستاء النبي لطلبهم وعدد لهم مساوئ الحكم الملكي وذكر لهم استبداده "وقال هذا يكون قضاء الملك الذي يملك عليكم ياخذ بنيكم ويجعلهم لنفسه لمراكبه و فرسانه فيركضون امام مراكبه.... ويجعل لنفسه رؤساء الوف ورؤساء خماسين فيحرقون حرثه ويحصدون حصاده ويعملون عدة حربه وادوات مراكبه. وياخذ بناتكم عطارات وطباخات وخبازات. وياخذ حقولكم وكرومكم وزيتونكم اجودها ويعطيها لعبيده. ويعشر زروعكم وكرومكم ويعطي لخصيانه وعبيده. وياخذ عبيدكم وجواريتكم وشبانكم الحسان وحميركم ويستعملهم لشغله. ويعشر غنمكم وانتم تكونون له عبيدا..."⁽¹⁾ لكنهم اصرروا على ان يحكمهم ملك. فرضخ النبي لاصرارهم ومسح لهم شاول بن قيس البنياميني ملكا عليهم حوالى سنة 1050 ق.م. وكان شاول معروفاً بحسن طبعته، وبطول قامته.

وأوصاهم نبي الله قائلا: اتقوا الرب واعبدوه بالأمانة من كل قلوبكم.. وان فعلتم شراً فإنكم تهلكون أنتم وملككم جميعاً. (1 صم 12).

وفى بدء عهده سار شاول فى طريق الرب فحالفه النصر فى حروبه ضد العمونيين، والأدوميين، والموابيين، والعمالقة، وارتفع شأن المملكة فى عهده. وأثناء حربه مع العمالقة أثنى القينيون (طارقي النحاس) الذين كانوا يقيمون فى وسطهم. ولم يحاربهم لأنهم أحسنوا إلى العبرانيين عند صعودهم من مصر⁽²⁾.

وكان شاول فى بادئ أمره يحيا حياة بدوية فى بلدته جبعة⁽³⁾ ثم مالت شخصيته إلى التطرف خاصة بعد أن ارتفع شأن داود الفتى البيتلحمى الذى انتصر على جليات. وبعد

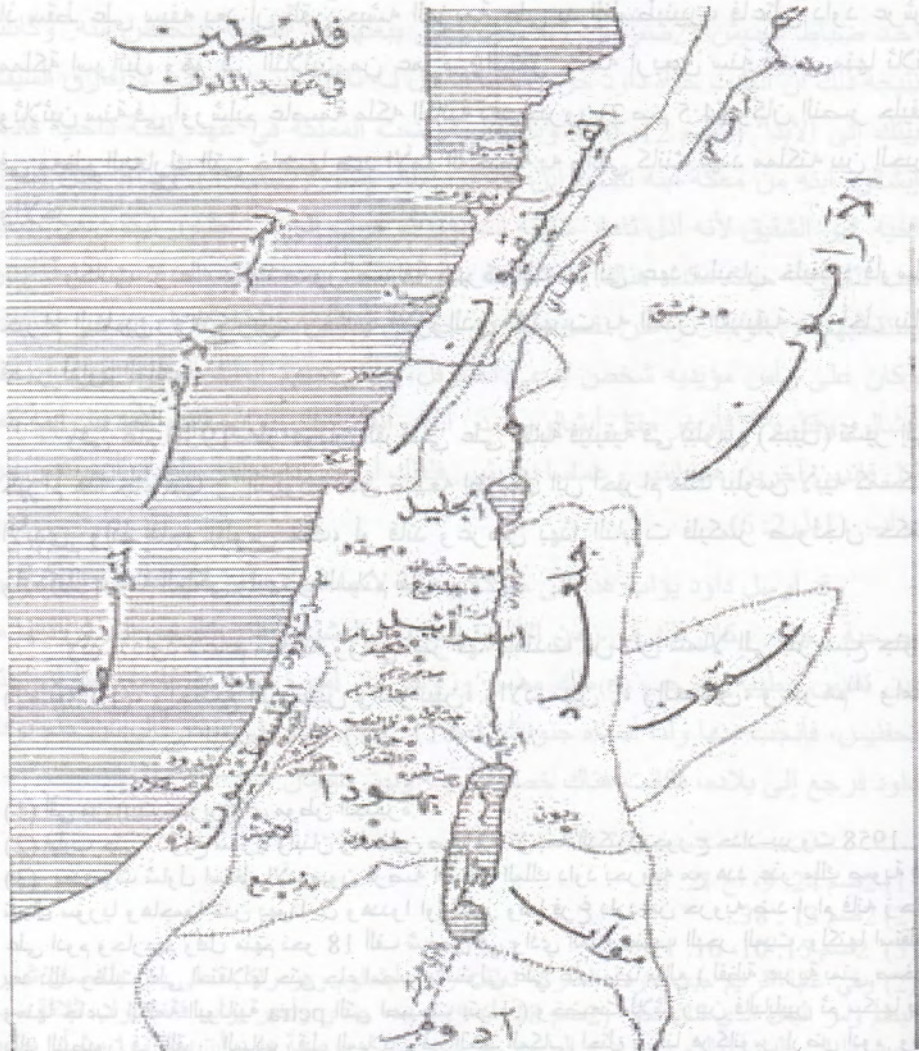
(1) 1 صم 8: 22-5.

(2) 1 صم 15: 5، 6.

(3) تبعد حوالى 4 كم الى الشمال من اورشليم عند تل الفول. وعثر بها على بقايا قلعة تعود إلى عهد شاول الملك، وقد كانت مقراً لقيادة الجيش الذى انتصر على الفلسطينيين فى خماس 1 صم 14: 31.

Christopher hollis - lieux saints p34

عراك طويل مع الفلسطينيين انهزم جيشه في معركة جلبوع⁽¹⁾ حيث وقع خلالها ثلاثة من أبنائه قتلى. وجرح شاول نفسه فآثر الانتحار على الوقوع في أيدي أعدائه الذين مثلوا بجثته فقطعوا رأسه وسمروا جسده وأجساد أبنائه على سور بيت شان⁽²⁾ وأما سلاحه فوضعوه في معبد عشتروت إلهة الحرب عندهم (1 صم 31).



- (1) جبل الفقوعة حيث تحمل قرية جبлон إسماً قريباً من الاسم القديم.
(2) تل الحصن بالقرب من بيسان.

الملك داود (1000-961 ق.م)

وكان لظهور داود ابن يسي، وانتصاره على جليات الجبار⁽¹⁾ أن النساء هتفت تمدح داود أكثر من شاول الملك. فإغتاز وأخذ يلاحق داود مريداً قتله. وكان الرب ينجيهِ، ولم تتثنى شاول عن داود وساطة يوناتان ابنه، صديق داود الحميم. وأخيراً لقي شاول مصرعه إذ سقط على سيفه بعد أن تلقى جيشه الهزيمة على يد الفلسطينيين، فاعتلى داود عرش مملكة إسرائيل وهو في الثلاثين من عمره. واستمر حكمه أربعين سنة قضى منها ثلاثاً وثلاثين سنة في أورشليم عاصمة ملكه الثانية بعد حبرون (2 صم 5:4) وكان النصر حليفه في معظم المعارك التي خاضها ضد الأمم المحيطة به والتي كانت تهدد مملكته بين الحين والآخر.

وكانت تربطه بملك صور صداقة كبيرة، امتدت إلى عهد سليمان خليفته؛ فأرسل حيرام البنائين، والنجارين، وخشب الأرز الذي اشتهرت به المدن الفينيقية من أجل بناء قصر لداود الملك.

وفي عام 1930 عثر دونان الفرنسي على كتابة فينيقية في ببلوس (جبيل) تشير إلى حيرام هذا جاء فيها : "التابوت الذي صنعه ايتوبعل ابن أحيرام ملك ببلوس لأبيه كمسكنه الأبدى. وإذا هاجم ببلوس ملك، أو قائد وعرض بهذا التابوت فليكسر صولجان حكمه وليسقط عرشه الملكى وليهجر السلام ببلوس.." ⁽²⁾.

وثبت داود دعائم مملكته ووسع أطرافها فامتدت من دان شمالاً إلى بئر سبع جنوباً (2صم3:10)، واخضع اليبوسيين والموابيين، والأدوميين⁽³⁾، والعماليق، وغيرهم⁽⁴⁾ وامتد

(1) أتى من (بيت جبرين) أى موطن الجبابرة.

(2) فيليب حتي- تاريخ سوريا ولبنان وفلسطين ص121 ترجمة الدكتور جورج حداد-بيروت 1958.

(3) بعد موت شاول استغل الأدوميون فرصة انشغال الملك داود بحروبه مع هدد عذر ملك صوبة في شمال سوريا وهاجموا مدن يهوذا بل وهددوا اورشليم. ولما فرغ داود من حروبه ضد ارام فانه زحف على ادوم وحاربهم وقتل منهم نحو 18 ألف شخص في وادي الملح جنوب البحر الميت. ولكنها استقلت بعد ذلك وظلت على استقلالها حتى جاء امصيا واستولى علي عاصمتها سالع (لفظة عبرية بمنى صخرة ومنها جاءت الكلمة اليونانية petra التي اصبحت بتراء) وخضعت للأشوريين فالبابليين ثم سكنها بعد ذلك النبطيون في القرن السادس قبل الميلاد. وفي العهد المكابي احتل يوحنا هركانوس ارض أدوم. وفي بداية العصر المسيحي استعادت ادوم مكانتها التجارية بين الشمال والجنوب. وفي العهد الروماني اصبحت جزءا من الامبراطورية الرومانية. ومدينة البتراء القديمة من المدن المنيعه قد كانت منحوتة في الصخر. ولكنها آلت بعد ذلك مأوى للزواحف والحيوانات البرية. واما الان فهي تعد من اهم المعالم السياحية في العالم، حيث يقصدها السياح من مختلف انحاء العالم.

(4) 1مل 11:5، 2صم 8-12.

سلطانه حتى الفرات شرقاً. وقد حقق جيشه بقيادة يواب ابن صروية انتصارات على العموريين والأراميين وغيرهم (2صم 10).

وتتبع داود هدد عز ملك صوبة الذي كان محتماً بأرام ملك دمشق وهزمه هو وحليفه. وأجرى تعداد للعبرانيين في عهده فكان عددهم 70 ألف نفساً⁽¹⁾. ولم يمنعه قربيه من الله كنبى، ولا مكانته الرفيعة كملك أن يغتصب بتشعب بنت أليعام وزوجة أوريا الحثي أحد ضباط الجيش (2صم 11: 2)، وأن يرمى ببعلها في التهلكة ليتخلص منه. وكانت نتيجة ذلك أن انقلبت حياة داود حزناً وغماً إذ قال له ناثان النبي: "والآن لا يفارق السيف بيتك إلى الأبد" (2صم 12: 10). وبالفعل تعرضت المملكة في عهده لفتنة داخلية قادها إيشالوم ابنه من معكة ابنة تلماي ابن عميهود ملك جشور (2صم 3: 3). وبدأها بقتل أمنون اخيه غير الشقيق لأنه أذل ثامار شقيقة إيشالوم. ثم هرب إلى جشور ليكون في حماية جده تلماي⁽²⁾ حيث مكث هناك لمدة ثلاث سنوات، عاد بعدها وبمساعدة من استطاع ان يستقطبهم من الرجال وأعلن نفسه ملكاً في حبرون يناوئ سلطة أبيه بل ويسعى لقتله⁽³⁾. وكان على رأس مؤيديه شخص يدعى أختوفل، ولكن جنود الملك الحقت الهزيمة بجند إيشالوم وقتلوه⁽⁴⁾. فأوغر مقتل إيشالوم صدر أبيه وانقلب على يواب قائده لأنه قتل ابنه كما قتل قائدنين آخرين هما ابنير وemas بن يثير. فلذلك أوصى داود ابنه سليمان أن يقتص من يواب. (1مل 2: 6).

وقد أرسل داود يواب هذا إلى مملكة صوبة لأنها عصته ففر أميرها هدد إلى مصر بصحبة رجاله. وكان ذلك في زمن الأسرة الحادية والعشرين التي تآرجح العرش فيها ما بين تانيس وطيبة. ورحب به ملك مصر وزوجة من أميرة مصرية كانت أختاً لزوجته تحفيس، فأنجب منها ولداً أسماه جنوبث (1مل 11: 19). وبقي في مصر إلى أن علم بوفاة داود فرجع إلى بلاده، فكانت هناك خصومة بينه وبين سليمان.

(1) 2صم 24: 9، أخ 21: 5.

(2) 2صم 13: 38..

(3) 2صم 15: 10، 16: 11.

(2) وفي غابة افرام حيث دارت المعركة تعلق رأس إيشالوم وهو راكب على بغل بأغصان شجرة البطم ومر البغل الذي كان تحته (2صم 18: 6-9) فوجده جندي وأخبر يواب فأخذ يواب ثلاثة سهام وصوبها إلى قلب إيشالوم وهو لا يزال بعد حياً غير عابىء بوصية داود أن يحترزوا من أن يمسا إيشالوم بسوء. وطمعا في كسب الرضى القائد، فقد وثب على إيشالوم عشرة من فتيان يواب وضربوه وقتلوه (2صم 18: 10-15) ودفنوه في حفرة وأقاموا عليها كومة من الحجارة وفقاً لعادة القوم في تحقير الثوار والمجرمين والتشهير بهم في دفنهم (2صم 18: 17) قارنه مع يشوع 7: 26؛ 8: 29. وكان قد أقام لنفسه نصباً في وادي الملك لتخليد ذكره 2صم 18: 18 ودعى هذا النصب (يد إيشالوم) ويوجد في وادي قدرون اليوم قبر يحمل اسمه ولكن يظهر ان البناء الحالي يرجع إلى عصر متأخر..

وقبيل وفاة داود حاول رابع ابنائه ويدعى أدونيا اغتصاب الملك في حياة ابيه مستغلا تدهور حالته الصحية وتقدمه في السن. وايد دعوته الغير شرعية كل من يواب ابن صُروية القائد العام للجيش وابيثار الكاهن مع عدد من الجنود. فلما علم الملك بذلك فانه امر بأن يُمسح ابنه سليمان ملكا في حياته. واما الخارجين على الملك فقد لقوا جزاء سوء صنيعهم على يد سليمان.

وأخيراً مات داود وهو في السبعين من عمره تاركاً سليمان ابنه على عرش مملكة مترامية الأطراف. وكان قبر داود معروفا حتى عصر الرسل فقد اشار اليه القديس بطرس الرسول عندما القى عظته الشهيرة يوم البندقوستي. ولكنه اختفى بعد ذلك. ولكن حدث في القرن الثاني عشر بينما كان العمال يقومون باعادة بناء سور كنيسة مبنية فوق ما يعرف بجبل SION ان اثنين من العمال وجدا مقبرة ملكية كانت اعمدها مصفحة بالذهب، وقيل انهما وجدا هناك صولجان الملك داود، كما شاهدا دفنات اخرى ربما كانت لبعض ملوك يهوذا. وبينما هما بداخل المقبرة حدث ان هبت عليهما رياح شديدة محملة بالأتربة اقعدتهما عن الاستمرار في البحث. فنهضا الى البطريك وقصا عليه ما حدث، فأمر بغلق المكان.

سليمان (961 - 922 ق.م).

بعد وفاة داود، تولى الحكم من بعده ابنه سليمان الذى أنجبته من بثشبع، التى كانت زوجة لأوريا الحثي. وكان جلوس سليمان على عرش المملكة في الفترة ما بين عامي 970 و 960 ق.م⁽¹⁾. وقد استمر فيه لمدة أربعين عاما. وعمل سليمان على توطيد دعائم مملكة أبيه داود متبعاً سياسة حسن الجوار مع الممالك المحيطة به. ووصلت أواصر الصداقة مع مصر الى حد المصاهرة، فتزوج سليمان بابنة فرعون والذي يفترض البعض انه بسوسينس الثاني⁽²⁾ (978-959 ق.م). آخر ملوك الأسرة الحادية والعشرين، وأتى بها سليمان إلى مدينة داود نحو سنة 480 لخروج بني إسرائيل من مصر. وصعد فرعون وأخذ مدينة جازر الواقعة في جنوبى كنعان وأعطاهامها مهراً لإبنته زوجة سليمان (1مل9:3، 11). وقد أثبتت اعمال الحفر التي بداها البروفيسور Macalister وتلك التي قام بها Alain Row في عام 1934 على ان المدينة قد لحقها بالفعل تدمير شامل في القرن العاشر⁽³⁾ كما اسفرت اعمال الحفر التي قام بها ببيير مونتيه في تانيس عن وجود نقش بارز اشار الى قيام فرعون المشار اليه بحملة عسكرية ضد الفلسطينيين⁽⁴⁾.

وحظى سليمان بحكمة بالغة فذاع صيته في كل الأرض حتى أن ملكة سبأ أتت من أقصى الجنوب لتتصت إلى حكمته ولتسعد برويته (10مل) مقدمة له افخر الهدايا من الأطياب والذهب والأحجار الكريمة.

وتسابق الملوك والأمراء في تقديم الهدايا كسباً لصداقته، وعلى رأسهم حيرام ملك صور الذى أمدّه بخشب الأرز وبالنجارين والبنائين لتشييد الهيكل (1مل5). وكانت صور وغيرها من المدن الفينيقية تشتهر بإنتاج الخشب. وكان الفراعنة من أوائل المستوردين له فيحكى التاريخ المصرى القديم أن سنفرو (2750 ق.م) مؤسس الأسرة الرابعة قام بإستيراد حمولة أربعين سفينة من خشب الأرز حسبما جاء على حجر بالرموا. وقد ورث سليمان مملكة واسعة الأطراف تمتد من دان إلى بئر سيع ومن الفرات شرقاً إلى تخوم

(1) John D.Currid – Ancient Egypt and the Old Testament p.163

(2) يعتقد انه واحد من اخر ثلاثة ملوك حكموا في الاسرة الواحدة والعشرين وهم امون ام اوب و سي امون ويسوسينوس الثاني.

(3) فراس السواح – الحدث التوراتي والشرق الادنى القديم ص 172

(4) John D.Currid – Ancient Egypt and the Old Testament p.163.

مصر غرباً. وبنى بيتاً⁽¹⁾ للرب نحو عام 480 لخروج بنى إسرائيل من مصر، وخصص مائة وثمانية وثلاثين ألفاً من الرجال لأعمال البناء والتشييد (1مل2:5). كما شيد القلاع وأحاط عاصمة مملكته أورشليم بسور عظيم. وأنشأ مدن حاصور⁽²⁾، ودورا، وجازر، والقلعة، وبيت حورون السفلى، وبعلة، وغيرها (1مل9). وبنى اسطولا كبيرا في عسايون جابر بالقرب من أيلة (إيلات) استخدمه في اغراض التجارة ولجلب الذهب من جزيرة أوفير. وانتخب من الجنود والمعاونين خمس مئة وخمسين رجلا ليكونوا في خدمته.

وأما الخدم فاختارهم من الأجانب (1مل20:9). وكان في حوزته ألف وأربع مئة مركبة واثنا عشر ألف فارس. وبلغ به الثراء اقصاه حتى انه في سنة واحدة كان يدخل خزانته ست مئة وستين وستين وزنة ذهب. وكان له مئتي ترس وثلاث مئة مجن من الذهب. وكان عرشه ذو الدرجات الست من العاج المصنوع بالذهب الإبريز. وبالغ سليمان في المجد الدنيوي حتى انه قال عن نفسه: "فعظمت عملي بنيت لنفسي بيوتا غرست نفسي كروما. عملت لنفسي جنات وفرايس وغرست فيها اشجارا من كل نوع ثمر. عملت لنفسي برك مياه لتسقى بها المغارس المنبثة الشجر. قنيت عبدا وجواري وكان لي ولدان البيت وكانت لي ايضا قنية بقر وغنم اكثر من جميع الذين كانوا في اورشليم قبلي. جمعت لنفسي ايضا فضة وذهبا وخصوصيات الملوك والبلدان اتخذت لنفسي مغنين ومغنيات وتنعمات بني البشر سيدة وسيدات. فعظمت وازددت اكثر من جميع الذين كانوا قبلي في اورشليم وبقيت ايضا حكمتي معي. ومهما اشتتهه عينا لم امسكه عنهما لم امنع قلبي من كل فرح لان قلبي فرح بكل تعبي وهذا كان نصيبي من كل تعبي (2جا: 5-10). ولكنه آخر المطاف قال مقولته الشهيرة " ثم التفت انا الى كل اعمالي التي عملتها يداي والى التعب الذي تعبته في عمله، فاذا الكل باطل وقبض الريح، ولا منفعة تحت الشمس ... فكرهت الحياة لانه رديء عندي العمل الذي عمل تحت الشمس. لان الكل باطل وقبض الريح (2جا: 11و17).

(1) طوله 30 مترا × 10 أمتار عرض × 15 م ارتفاع. بني بالحجر ومن الداخل كسيت جدرانه بخشب الارز المعشى بالذهب. واستغرق بناءه نحو سبع سنوات ونصف

CHRISTOPHER HOLLIS – LIEUX SAINTS P 40

(2) تقع حاصور في وادي الأردن بين بحيرة الحولة وبحيرة طبرية. ودلت نتائج البحث والتنقيب على انها تعرضت للتدمير خلال القرن الثالث عشر، وبقيت مهجورة حتى القرن العاشر قبل الميلاد. ومع انقسام المملكة الت حاصور الى القسم الشمالي. وأقام بها عمري القصور والمباني الحكومية وحولها اقيمت المباني السكنية. ومع ذلك فكانت من اوائل المدن التي سقطت ابان الغزو الاشوري للمنطقة سنة 733 ق.م.

واقترن بألف امرأة ما بين أميرة وجارية. وعندما تقدم به العمر، وكان له هذا الجمع الغفير من النساء، أن انتهزن ما أصابه من ضعف في شيخوخته، ورحن يتعبدن لآلهة أبائهن. وبات هو طوع أيديهن بينى المذابح لكاموش اله الموابيين، ومولك اله العمونيين؛ فغضب الرب على سليمان لأن قلبه انحرف عن طريق إلهه. فأنزل به عقاباً صارماً متوعداً إياه بأنه سوف يمزق عنه المملكة، وأنه سوف يعطيها ليربعام ابن ناباط خادمه. ولكنه أرجأ العقاب إلى حين وفاته إبقاءً لعهدده معه ومع داود أبيه.

وامتلاً سليمان غيظاً وطلب أن يقتل يُربعام الذي لم ير بدا من الهروب إلى مصر، فرحب به شيشق (شاشنق) ملكها. وظل هناك حتى علم بوفاة سليمان. وكان لسليمان عدو آخر يدعى رزون بن اليداع وكان قائداً عند هدد عزز ملك صوبة؛ لكنه ثار عليه واستطاع أن يستقطب عدداً كبيراً من الرجال وملك بهم في دمشق. وكان خصماً لسليمان كل أيام حياته.

قيام وسقوط مملكة إسرائيل

يربعام وخلفاؤه:

بعد موت سليمان، أحجم الناس عن مبايعة ابنه رحبام بالملك لأنه توعدهم بالقهر والطغيان، وبفرض مزيد من الضرائب التي أثقلت كاهل الرعية منذ عهد أبيه. لذلك أنصرف عنه عشرة أسباط ولم يبق له سوى سبطى بنيامين ويهوذا؛ فأسس بهما مملكة الجنوب. بينما إلتف العشرة الآخرون حول يربعام بعد عودته من مصر ونادوا به ملكاً فى شكيم، وعرفت مملكته بإسم مملكة إسرائيل. وتحققت رؤيا أخيا الشيلوني بتقسيم المملكة وانتزاع عشرة اسباط من بيت سليمان لتعطى ليربعام لانهم سجدوا لعشثروت ربة صيدا ولكموش اله المؤابيين ولملكوم اله بني عمون(1مل 11: 33).

وما أن استتب الأمر ليربعام بن ناباط حتى أخذ فى إعادة بناء مدينة شكيم الواقعة على جبل إفرام. واتخذ منها مقراً لحكمه ثم انتقل بعد ذلك الى مدينته الجديدة فنونيل. وكان يربعام يخشى أن يذهب الشعب إلى بيت الرب فى أورشليم عاصمة المملكة الجنوبية، حيث يقيم خصمه رحبام، وقت تقديم الأضاحى، فيستقطبهم رحبام. ومن ثم ينقلبوا على يربعام ويقتلونه. فما كان منه إلا أن نصب عجلين من ذهب على المرتفعات: واحد فى (دان) والآخر فى (بيت إيل) وقال لهم "هوذا ألتهك يا إسرائيل الذين أصعدون من أرض مصر"(1مل 12: 28). وهكذا تحقق قول الرب لسليمان "فقال الرب لسليمان من اجل ان ذلك عندك ولم تحفظ عهدي وفرائضي التي اوصيتك بها فاني امزق المملكة عنك تمزيقا واعطيها لعبدك"(1مل 11: 11). وربما كان هو المحرض لشاشنق على الصعود إلى مملكة يهوذا ونهبها. فقد سبق وأحسن فرعون مصر إستقباله وكان حليفا له ضد سليمان ورحبام. كما أنه قد تطبع بطبع المصريين، وعبد آلهتهم وأقام لها نصبا فى مملكته. فليس بالأمر الغريب أن يحرض فرعون على اجتياح يهوذا.

وكان لما بنى يربعام المرتفعات وأمر بتقديم القرابين على مذابح الأصنام ان انذره الرب على لسان الرائي قائلا: "هكذا قال الرب هوذا سيولد لبيت داود ابن اسمه يوشيا ويذبح عليك كهنة المرتفعات الذين يوقدون عليك وتحرق عليك عظام الناس"(1مل 13: 2). فلما تعظم يربعام ومد يده نحو رجل الله ان يده شلت، فتضرع الى الرائي فسمع له وأبرأ يده بقوة الله؛ ولكنه رفض طلبه فى الذهاب معه الى قصره. وزاد يربعام فى تعنته واستمر فى اقامة الأنصاب وتخصيص الكهنة غير الشرعيين لعبادتها، فأتاه قول أخيا الشيلوني نذيرا وكان قبل ذلك قد جاءه بشيرا. وقال له: "من اجل اني قد رفعتك من وسط

الشعب وجعلتك رئيسا على شعبي ... وقد ساء عملك أكثر من جميع الذين كانوا قبلك فسرت وعملت لنفسك الهة أخرى ومسبوكات لتغيظني وقد طرحنتي وراء ظهرك. لذلك هانذا جالب شرا على بيت يربعام ... من مات ليربعام في المدينة تاكله الكلاب ومن مات في الحقل تاكله طيور السماء لان الرب تكلم " (1مل 14 : 7 - 11).

وبعد موت يربعام، صعد على عرش المملكة ابنه ناداب لمدة سنتين فقط، ثم ثار عليه بعشا ابن أخيا وقتله في جبثون إحدى مدن الفلسطينيين، وملك عوضا عنه. وتم بذلك قضاء الله وعدله الذي فاه به على لسان أخيا الرائي، عقابا لبيت يربعام. ولم يكن بعشا أقل إثما من سلفه، فسار على خطى يربعام. وقد ساءت علاقته بأسا ملك يهوذا حتى أنه تحالف مع بنهدد ملك آرام ضده. وشرع في بناء مدينة الرامة وكان يبغى نقل مقره من ترصه الى هناك لكن أسا ملك يهوذا ضيع عليه الفرصة، وأسرع بشراء صداقة بنهدد الذي تخلى عن مناصرته لبعشا مما اضطر بعشا الى الجلاء عن الرامة، ورجع الى ترصة ملتزما بالسكون.

وجلس بعشا على العرش لمدة أربعة وعشرين عاماً لم ينفك خلالها يغضب الرب بأعماله الشريرة. ولم يستمع لتحذير ياهو ابن حناني الرائي: " من أجل اني قد رفعتك من التراب وجعلتك رئيسا على شعبي اسرائيل فسرت في طريق يربعام وجعلت شعبي اسرائيل يخطئون ويغيظونني بخطاياهم. هانذا انزع نسل بعشا ونسل بيته واجعل بيتك كبيت يربعام بن نباط " (1مل 16 : 3، 2).

وبعد موته آل عرش المملكة الى أيله ابنه لمدة عامين. ثم فتن عليه زمري القائد وقتله وهو غارق في سكره. وملك عوضا عنه. وحتى لا ينازعه احد في الملك فانه بادر بالتخلص من ابناء بعشا. وبعد سبع سنوات قضاها زمري في ترصة قام عمري القائد بثورة ضده. ولما ادرك زمري ان انه محاصر وانه ميت لا محال فإنه اشعل النار في القصر وأثر الانتحار على الوقوع في ايدي الثوار (1مل 16 : 18).

ثم ارتقى عمري رئيس الجيش عرش الشمال لمدة اثنتي عشرة سنة. قضى السبع سنين الأولى منها في ترصة. ثم اشترى جبل شامر وبنى عليه السامرة⁽¹⁾ التي اصبحت عاصمته الجديدة. وعمل عمري الشر في عيني الرب. واساء أكثر من جميع الذين قبله⁽¹⁾.

(1) ويقع تل السامرة بين جبل جرزيم وجبل عيبال، وقد قام بالحفر في المنطقة كل من G.R Reisner في الفترة من سنة 1908 الى 1910. و J.w.Crowboot في اعوام 1931 - 1935) و J.B. Hhenessy في عام 1967. وعثروا بالمنطقة على منشآت ادارية وقصور تبين انها بنيت على مرحلتين تنتميان الى عهد كل من عمري واخاب. وعثر المنقبون في اطلال قصر اخاب على كميات كبيرة من المنحوتات العاجية تذكرنا بما جاء في اخبار هذا الملك (1مل 16 : 31، 18 : 4، 22 : 39). ومن بقايا الجلاء الذي أحدثه الآشوريون للسكان ما يزال بعض السامريين يعيشون ويصعدون في كل

وفى عهده بدأ نجم أشور يظهر فى الأفق من جديد على يد أشور ناصر بال الثانى. والذي بلغ تهديده مسامع عمرى؛ وبدلاً من ان يلجأ عمري الى الله لينقذه هو وشعبه من خطر الاشوريين، الا انه قام بالتحالف مع ملك صور. ولزيادة اواصر الصداقة بينهما فقد زوج عمري أخاب ابنه من إيزابل ابنة إيثبل ملك صور. وكان لهذه الزيجة اثر سيئ ليس على الراعي الأحمق فقط بل وعلى كثير من الرعية ايضا الذين انساقوا وراء الأنصاب التي اقامتها لعبادة آلهتها فى المملكة الامر الذي كانت تحرمه الشريعة حسبما جاء في كتب الوحي:

" لا تصنع لك تمثالا منحوتا ولا صورة ما مما فى السماء من فوق وما فى الارض من تحت وما فى الماء من تحت الارض " (خر 20:4)

" لا تصنعوا لكم اوثانا ولا تقيموا لكم تمثالا منحوتا او نصبا ولا تجعلوا في ارضكم حجرا مصورا لتسجدوا له لاني انا الرب الهكم " (لا 26:1).

" اما الخشب المصنوع صنما فملعون هو وصانعه، اما هذا فلانه عمله، واما ذاك فلانه مع كونه فاسدا سمي الها... لذلك ستفتقد اصنام الامم ايضا لانها صارت في خلق الله رجسا ومعترة لنفوس الناس وفخا لاقدام الجاهل... لان اختراع الاصنام هو اصل الفسق ووجدانها فساد الحياة. وهي لم تكن في البدء وليست تدوم الى الابد " (سفر الحكمة 14). وبعد وفاة عمرى واعتلاء ابنه أخاب أريكة الملك، كانت لايزابل اليد الطولى في البلاد. وتفاقم شرها واستفحل امرها حتى انها دخلت فى صدام مع أنبياء الله، كما سنرى تباعا.

عام لتقديم الفصح وينحرون سبة خراف صحيحة يأكلونها وهم منتعلون ومناطقهم مشدودة. ولا يدرون ان ما يفعلونه ان هو الا رمز قد بطل بمجى المرموز اليه الفادي الاعظم.
(1 مل 16 : 25)

آخاب والعدل الالهي:

حدث في أوائل عهده أن جمع بنهدد ملك آرام كل جيشه - يعاونه إثنان وثلاثون ملكاً وأميراً - وتقدم نحو السامرة⁽¹⁾ وحاصرها. ولكن أعان الله آخاب عليه، إذ ضرب ملاك الرب من الآراميين مائة ألف في يوم واحد. وسقط السور على سبعة وعشرين ألفاً آخرين. ونجا من الموت من لاذ بالفرار.

وبعد ذلك لما بلغ تهديد آشور مسامع آخاب فانه اضطر الى اتخاذ بنهدد- وغيره من الملوك- العدو السابق صديقاً له، للتصدي للخطر الآشوري ممثلاً في آشور ناصربال وخليفته شلمنصر الثالث. وتمكن هو وحلفاؤه من إيقاف زحف الآشوريين. ولكن دوام الحال من المحال فبعد حين دب العداء من جديد بين آخاب والآراميين.

وتنكر آخاب لما صنعه معه الرب من فضل عليه وعلى أمته. واستمع إلى تحريض زوجته إيزابل، التي ملأت البلاد بالنصب والسواري^(1مل 18: 19) فأقامت معبدتين في السامرة: واحد لبعل، والآخر لعشتاروت^(1مل 16: 32). ولم تكن في ذلك بل اضطهدت أنبياء الله: ميخا ابن يمل، وإيليا التشبي. لأنهما كانا لها بالمرصاد منذرين. واغتصب آخاب وزوجته كرم نابوت اليزر عيلى وقتله لأنه رفض أن يبيع لهما كرم أجداده. فغضب الرب عليهما وأرسل إيليا نبياً ونذيراً بأن الرب ساخط عليهما، وأنه سوف ينزل بهما الجزاء العادل. وأن الكلاب التي لحست دم نابوت اليزر عيلى سوف تلحس دم الملك ودم زوجته⁽²⁾.

وتفصيل ذلك أن آخاب استطاع أن يستميل يهوشافاط ملك يهوذا للوقوف بجانبه ضد الآراميين، ودخلا الحرب معاً- رغم تحذير الرب لهما على يد ميخا النبي - فلقيا شر هزيمة^(1مل 22: 28). ووقع آخاب صريعاً في المعركة، فلحست الكلاب دمه وفقاً لنبوءة إيليا، وقتلت إيزابل بعد ذلك على يد ياهو ابن نمشي. وتحقق فيه وفي امثاله ممن يغتصبون اموال المساكين، قول النبي:

" فتكون ثروتهم وغنيمة وبيوتهم خراباً وبينون بيوتاً ولا يسكنونها ويغرسون كروماً ولا يشربون خمرها" (صف 1: 13).

(1) أصبحت عاصمة للملكة الشمالية منذ عهد عمرى.

(2) 1مل 21: 20، 23.

خلفاء آخاب:

إعتلى أخزيا عرش السامرة بعد موت آخاب أبيه ولمدة عامين فقط. وكان قد سقط من الكوة التي في عليته فأرسل الى عقرون يستخير الهها بعل زبوب، لكن ايليا النبي عنفه على اللجوء للالصنام وقال له:

"هكذا قال الرب من اجل انك ارسلت رسلا لتسال بعل زبوب اله عقرون... لذلك السرير الذي صعدت عليه لا تنزل عنه بل موتا تموت " (2مل1 : 16). ثم خلفه أخوه يورام الذى تحالف من جديد مع يهوشافاط ضد ميشع ملك مؤاب. وكان النصر حليفهما فى هذه المرة، وانكسرت مؤاب وفقا لنبوأة أليشع النبى (2مل3: 17 و18). وزاد التقارب بين البيتين بزواج يهورام ملك يهوذا من عثليا بنت عمري.

ثم دخل يورام- يعاونه آحاز ملك يهوذا- الحرب ضد حزائيل ملك آرام. والتقى الفريقان عند راموت جلعاد، فأصاب يورام سهام الأراميين بجروح، إلى جانب الجرح المنعوى الذى أصابه على أثر هزيمة جيشه (2 أخبار 22: 5) فأعادوه مخذولا ليتطلب فى يزرعيل. وكانت هذه هي المرة الثانية التي ينكسرون فيها في راموت جلعاد امام الأراميين، المرة الأولى كانت في عهد آخاب ملك اسرائيل ويهوشافاط ملك يهوذا. وفى تلك الأثناء مسح أليشع النبى ياهو بن نمشى ملكا على اسرائيل، بينما لا يزال يورام على قيد الحياة.

ياهو وخلفاؤه:

ما أن مسح ياهو ملكا حتى توجه على الفور إلى الملك المخلوع وتخلص منه. وقتل جنوده آحاز ملك يهوذا الذى كان قد جاء ليطمئن على سلامة يورام حليفه. ولم تسلم إيزابل الملكة الأم من بطش الخصيان، فالقوا بها من النافذة فأجهزت عليها الكلاب. وعندما أرادوا دفنها لم يجدوا من جيفتها سوى الجمجمة، والرجلين، وكفي اليدين فنالت جزاء صنييعها (1مل 21 : 23) .

وبعد ذلك تخلص جنود ياهو من أبناء آخاب السبعين، ووضعوا رؤوسهم فى سلال وبعثوا بها إلى ياهو وهو بعد فى يزرعيل. وهكذا دارت دائرة الظلم على كل بيت آخاب وايزابل امرأته لانهما ظلما الرعية واضطهدا الأنبياء وشجعا عبادة الأصنام (1مل 16).

كما لم ينجوا من إخوة أخزيا ملك يهوذا – البالغ عددهم اثنين وأربعين رجلا – سوى يواش ابنه إذ كان طفلا. كما امتدت يد ياهو إلى كهنة البعل فأماتهم بالسيف. وعلى

الرغم من ذلك لم يتحفظ للسلوك في شريعة الرب، فترك عجلى الذهب: الذى فى بيت إيل، والذى فى دان، فغضب الرب عليه واقتص منه ومن بنى إسرائيل؛ فتركهم ليد ملك آرام فأدوا له الجزية. وكان حزائيل قد تمكن من الاستيلاء على الأراضى الواقعة شرقى الأردن الذى جعل عاموس النبى ينوح على ما أصاب بلاده⁽¹⁾

وبعد موته تولى يهوأحاز ابنه الملك فى السنة الثالثة والعشرين من حكم يواش ملك يهوذا، وعاصر شمش هدد الخامس، وسميراميس ملكة اشور، والسنوات الأخيرة من حكم حزائيل ملك آرام، والسنة الأولى من حكم خليفته بنهدد (الثانى). ولم يتوارى عن عمل الشر هو وشعبه. فدفع الرب مملكة ليد حزائيل ملك آرام، ولید بنهدد (الثانى) خليفته، وكاد جيش إسرائيل يفنى على يد الآراميين. وبعد موته خلفه ابنه يهوآش. وهو غير يواش ملك يهوذا. وكان ذلك فى السنة السابعة والثلاثين من حكم يواش ملك يهوذا.

ودام حكم يهوآش سبع عشرة سنة عاصر خلالها السنتين الأخيرتين من حكم يواش، وخمسة عشرة سنة من حكم أمصيا. وعلى الرغم من كثرة شروره إلا أن رحمة الرب أدركته هو ومملكته فتمكن من استرداد المدن التى استولى عليها الآراميون، من خلال عدة جولات حربية ضد بنهدد (الثانى). وذلك لأنه أخذ بمشورة رجل الله إيلشع (2مل13:16). كما انتصر على أمصيا ملك يهوذا الذى كان قد تحرش بمملكته. وبعد موته خلفه ابنه يربعام الثانى.

(1) " هكذا قال الرب من اجل ذنوب اسرائيل الثلاثة والاربعة لا ارجع عنه لانهم باعوا البار بالفضة والبنائس لاجل نعلين. الذين يتهمون تراب الارض على رؤوس المساكين، ويصدون سبيل البنائين. ويذهب رجل وابوه الى صبية واحدة حتى يذنسوا اسم قدسي... ويشربون خمر المغرمين في بيت الهتهم... هانذا اضغط ما تحتكم كما تضغط العجلة الملائنة حزما. ويبيد المناص عن السريع والقوي لا يشدد قوته والبطل لا ينجي نفسه... راكب الخيل لا ينجي نفسه. والقوي القلب بين الابطال يهرب عريانا في ذلك اليوم يقول الرب " (ع 2: 6-16).

يربعام الثانى وخلفاؤه:

تمكن يربعام من إستعادة دمشق، وحماه اللتين وقّعتا فى قبضة يهوذا. وعاصر كلا من يونان وعاموس النبيين (2مل14: 25، عا1:1). وبعد موته خلفه ابنه زكريا فى السنة الثامنة والثلاثين لعزريا (عزيا) ملك يهوذا. ولأنه لم يسلك فى طريق الرب فقد قتل بعد ستة أشهر فقط على يد شلوم بن يابيش، الذى ملك عوضاً عنه فى السنة التاسعة والثلاثين لعزريا. ثم لقي شلوم مصير سلفه على يد منحيم الذى سار هو الآخر فى طريق الشر فسلم الرب مملكته لفول (تغلت فلاسر الثالث) ملك الآشوريين وكان يدفع له خمسين شاقلا عن كل رجل (2مل15:29). وبعد منحيم تولى ابنه فقحيا فى السنة الخمسين لعزريا ملك يهوذا. وبعد عامين فقط من توليه الحكم تم اغتياله على يد فقح بن رمليا الذى أصبح الطريق أمامه ممهداً للصعود إلى أريكة الملك. وتحالف فقح ابن رمليا مع رصين ملك آرام ضد يهوذا، وتمكن الحليفان من التغلب عليها بعد حصار. وقتلوا من سكانها مئة وعشرين ألفاً. وسبوا مائتى ألف آخرين. ولكنهم أعادوا المسبيين من الأطفال والنساء بعد توبيخ عوبيد النبى (2 أى 28:15).

ونتيجة لهذه الضربة التى تلقتها مملكة يهوذا من قبل مملكة إسرائيل وحليفاتها، أن تخلصت ادوم من سيطرة يهوذا، وامتنتعت عن دفع الجزية، بل وانقلبت على يهوذا وخربتها (2 أى 28:17). كما اتاحت الفرصة للفلسطينيين أن يستولوا على العديد من مدن يهوذا مثل بيت شمس⁽¹⁾، وحضيروت، وسوكر، وثمنة، وغيرها (أى 28:18).

واضطر أحاز بعد تلقيه تلك الضربات أن يلجأ إلى آشور- بدلاً من اللجوء إلى الرب- طلباً للمساعدة (2مل16: 7، 8). فقبل تغلت فلاسر (الثالث) العرض، واشترك معه فى حروبه ضد الآراميين وهزمهم، وقتل رصين فى المعركة. لكن ملك آشور انقلب بعد ذلك على حليفته (حوالى سنة 733 ق.م) وأخذ مدنها⁽²⁾: عيون، وأبل بيت معكة، ويانوح، وقادش، وحاصور، وجلعاد، والجليل، وكل أرض نفتالى (2مل15:19)، ثم دمر السامرة. وأخذ قسماً كبيراً من سكانها إلى آشور. وذكر تغلت فى سجلاته أنه أقام هوشع حاكماً على إسرائيل.

(1) تقع فى تل عين شمس الى الغرب من مدينة القدس وعلى بعد 19 كم منها. ومن خلال اعمال الحفر التى اجريت فى الاعوام 1911 و 1912 و 1928 - 1931. تبين ان المدينة دمرت فى اواخر القرن الحادى عشر. كما تعرضت كغيرها للتخريب على يد سنحاريب الملك الآشوري ايام حزقيا ملك يهوذا، ثم اعيد بناؤها ولكن هذا البناء الأخير لم يدم أكثر من قرن من الزمان فقد اتت عليه جيوش نبوخذنصر حوالى سنة 587 ق.م.
(2) السبى الآشورى الأول لمملكة إسرائيل.

هوشع ابن إيلة وسقوط مملكة إسرائيل:

كان هوشع ينن من التبعية لأشور، ولذلك اتبع معها سياسة المماثلة في دفع الجزية. ثم امتنع تماماً عن دفعها وسعى للتحالف مع فرعون مصر (2مل 17: 4) المدعو (تف-نخت) أحد ملوك الأسرة الرابعة والعشرين التي حكمت في غرب الدلتا. لكن هذا الحليف لم يستطع أن يحول دون التدمير الذي لحق بمملكة إسرائيل. فبعد أن حاصر الآشوريون السامرة لمدة ثلاث سنوات في عهد شلمنصر الخامس فإنها سقطت⁽¹⁾ في نهاية الأمر على يد خليفته سرجون الثاني منفذ الهجوم. وقد عثر المنقبون على اطلال المدينة⁽²⁾ القديمة عند سباستيا بعد ان صارت ارضها مزارع للعنب والتين والزيتون والت لحرت المزارعين بعد ان حرثتها من قبل جيوش الغزاة.

وأخذ الآشوريون سكان السامرة⁽³⁾ وأسكنوهم في حلح، وخابور نهر جوزان، وفي مدن مادي⁽⁴⁾. ولم ينجو هوشع نفسه من الأسر بعد حكم دام تسع سنوات منيت خلالها المملكة بالويلات. وأتى ملك آشور بقوة من بابل، وحماه وغيرهما، وأسكنهم في السامرة⁽⁵⁾. وبذلك تم خراب مملكة إسرائيل وفقاً لما جاء على لسان الأنبياء فقد سبق عاموس النبي وقال: "هكذا ينزع بنو إسرائيل الجالسون في السامرة، في زاوية السرير، وعلى دمسق الفراش.. وأضرب بيت الشتاء، وبيت الصيف، فتبيد بيوت العاج، وتضمحل العظمة يقول الرب" (عا 3: 13).

وقال أيضاً: "من أجل أنكم تدوسون المسكين، وتأخذون منه هدية قمح، وبنيتم بيوتاً من حجارة منحوتة ولا تسكنون فيها، وغرستم كروماً شهية ولا تشربون ثمرها.. أيها المضايقون البار الأخذون الرشوة، الصادون البائسين" (عا 5: 10) "هأنذا أمرُ فأهز بيت إسرائيل بين جميع الأمم كما يغربل في الغربال، وحنة لا تقع إلى الأرض.. بالسيف يموت كل خاطئ شعبي" (عا 9: 9).

(1) ربما تكون قد سقطت في عهد شلمنصر، ونسب سرجون سقوطها لنفسه باعتباره منفذ الهجوم والسبب المباشر لسقوط السامرة إبان فترة حكم والده.

(2) بناها عمري سادس ملوك الشمال فوق جبل شامر بعد ان اشتراه من صاحبه وصارت مقراً جديداً له. ويعتقد ان اطلال المدينة القديمة توجد عند سباستية المدينة التي اعاد بناءها هيرودس الكبير على شرف اغسطس قيصر.

(3) السبي النهائي لمملكة إسرائيل الذي تنبأ عنه إشعياء النبي (7: 8) والذي ترتب عليه زوال مملكة إسرائيل.

(4) 2مل 17: 5، 8، 14: 19.

(5) 2مل 17-23، 24.

وقال هوشع النبي: " إني هناك أبغضتهم من أجل سوء أفعالهم، وأطردهم من بيتي لا أعود أحبهم، جميع رؤسائهم متمردون، إفرام مضروب أصلهم قد جف، لا يصنعون ثمرًا... فيكونون تائهين بين الأمم" (هو: 9: 15). وأما خراب إسرائيل وسبي شعبها وتشتتهم بين الأمم فقد حدث "لأنهم لم يسمعوا لصوت الرب إلههم، بل تجاوزوا عهده وكل ما أمر به موسى عبد الرب فلم يسمعوا ولم يعملوا" (2مل 18: 12).

وحاول (باك إن رنف) خليفة (تف - ناخت) مواجهة آشور بتأليب المدن الفلسطينية ضدها لكنه فشل وتعرضت تلك المدن للقهر على يد الآشوريين. كما لقي جيش باك إن رنف الهزيمة وهو في طريقه عند رفح، فأدبر فرعون إلى مقره بالدلتا واتجه إلى الإصلاح الداخلي.

وبعد مرور سنوات قلائل على سقوط السامرة قام سنحاريب بحصار أورشليم عاصمة يهوذا المملكة الجنوبية في عهد عاھلها حزقيا لأنه تحالف مع شبتكو أحد ملوك الأسرة الخامسة والعشرين. وأرسل شبتكو جيشاً بقيادة أخيه طهرقا لمساندة يهوذا ضد آشور. لكن ملاك الرب ضرب جيش آشور استجابة لتضرع حزقيا الملك وإشعيا⁽¹⁾ النبي. وإذا كانت يهوذا قد تخلصت من آشور إلا أن مصر لم تسلم من الخطر الآشوري فظل ملوك الأسرتين الخامسة والعشرين والسادسة والعشرين يناضلون ضد الآشوريين الذين دهموا البلاد حتى تم جلاءهم نهائياً عن مصر على يد بسماتيك اول ملوك الأسرة السادسة والعشرين.

وربما يكون القارئ قد مل بعض الشيء من كثرة الحروب والمعارك التي دارت بين مملكتي الشمال والجنوب من ناحية وبينهما وبين ملوك الشرق والغرب من ناحية أخرى، والحقيقة ان الحروب كغيرها من الافعال البشرية التي تندرج تحت مبدأ الاختيار في جوهرها وان كانت تبدو في ظاهرها جبر وعدم اختيار. وهي تعد من الشرور التي لا يريدھا الله بعبیده وان كان قد سمح بها مثلما يسمح - على المستوى الفردي - للقاتل ان يقتل وللسارق ان يسرق وللظالم ان يظلم، والعكس بالعكس فهو يسمح للمقتول ان يُقتل، وللمظلوم ان يُظلم. فالله يريد الخير، وهو كذلك يسمح بوقوع الشر وهو لا يريدہ. وحتى ما يوصف بانه شر طبيعي لا دخل لارادة الانسان في وقوعه مثل الكوارث الطبيعية العامة كالزلازل والبراكين والاعاصير والامراض والأوبئة والتي تحصد الاف الارواح في لحظات. هذه الشرور لا يسمح بها الله إلا لإستحقاق البشر لها ولحكمة ربما لا نعلمها. ولكن الشيء الثابت ان المعصية شملت الجنس البشري منذ ادم. لم يتبرأ منها احد وكل ما

قيام وسقوط مملكة يهوذا

رحبعام وخلفاؤه:

شهدت مملكة يهوذا على مدى السبعة عشر عاماً التي قضاها رحبعام في الحكم شروراً كثيرة؛ فبنوا المرتفعات وملأوا البلاد بالنصب والسورى. ولذلك تركهم الرب ليد شيشق - وغيره - ليؤدبهم، وليسلبهم أقداسهم التي أهملوها. وقطعاً لم تسلم بلادهم من الجزية. فيذكر سفر أخبار الأيام الثانى انهم باتوا عبيداً لفرعون (2مل12: 8). كما يذكر سفر الملوك أنه كانت حرب دائمة بين رحبعام وخصمه يربعام طيلة أيام حكمه. وهذه الحروب كان يروح ضحاياها الرعية الذين بدورهم باتوا مستحقين لحصد ثمار الحروب ولتجرع مرارتها لانهم كما ورد بالكتب انهم تركوا الرب وعبدوا البعليم وبغوا واستكبروا، ولهذا يقول الكتاب ان قلب الملك في يد الله (ام21: 1). اي ان الله الذي في يده مصائر الشعوب يسمح لكل شعب بالحاكم المناسب له ويتدخل في تدبير اموره لخير الشعب ان كان صالحاً وللعقاب والتاديب ان بات طالحاً، تارة بالترغيب واخرى بالترهيب.

نعود الى حال المملكة بعد موت رحبعام واعتلاء ابنه ابياهم لأريكة الملك. وقد سار ابياهم في طريق الرب كل أيام حياته فنعمت المملكة بالهدوء والاستقرار خلال مدة حكمه القصير الذى بلغ ثلاث سنوات فقط. وبعد وفاته خلفه أسا أحد أبنائه⁽¹⁾.

وقد بذل أسا جهداً كبيراً فى مستهل حكمه لإزالة الأصنام من البلاد. وفاق إخلاصه للرب حبه لأمه. فأنزلها من أريكة الملك لأنها عملت تمثالاً لسارية. كما أمر بحرق التمثال بعد تقطيعه فى وادى قدرون. وأثر حب الله على حبه لذاته، فكرس الأوانى الموجودة فى قصره لبيت الرب. وحدث فى أيامه أن جاء زارح الكوشى⁽²⁾ على رأس ألف جندي وثلاث منه مركبة، وعسكر عند مريشه⁽³⁾ استعداداً لاقتحام أورشليم. فصعد أسا للقاءه. ولما رأى أسا أن عدد الكوشيين يفوق عدد جنوده أنه لجأ إلى الرب، فاستجاب له وضرب الكوشيين أمامه فهزموا. وعاد أسا منتصراً (2 أخ 14: 12).

(1) تزوج أبياهم 14 امرأة وأنجب منهم 22 ولداً و16 بنتاً.

(2) ربما كان أوسركون (914-874 ق.م) أو أحد قادة شاشنق.

(3) وردت فى (يش 15: 44، 11 أخ 2: 42، 21، 2 أخ 11: 8، 9، 14: 10، 2 أخ 20: 37، 1: 15، 2 مك 12: 35) وتعرف اليوم باسم تل سند حنة وتقع فى جنوب إيدومية على بعد ميل من بيت جبرين. وكانت مركزاً تجارياً فى عهد البطالمة وفى عهد المكابيين فضل أهلها الختان على النفي والقتل.

وهنا نجد ان آسا كان مضطرا الى خوض الحرب، فهو لم يتجاوز حدود بلاده ليعتدي على احد من جيرانه بل يلتزم الحياد وقد اتاه زارح الكوشي يبغى احتلال بلاده وما لذلك من تبعيات ضارة لمصالحه ومصالح بلاده من خضوع لحاكم اجنبي، ودفع الجزية وامتلاء البلاد بالنصب والتماثيل التي تلازم المحتل لممارسة طقوس عبادته، ناهيك عن تعرض المحتل لأعراض السبايا، الى غير ذلك من مآثم الحرب. هنا كان على آسا ان يخوض حربا مقدسة ليحول دون الخضوع للمعتدي. لهذا لا نستغرب ان يتدخل الله ليعين جيش آسا على جيش العدو، بل وينسب الوحي النصر لله " فضرب الرب الكوشيين امام آسا وامام يهوذا فهرب الكوشيون" (1أخ 14: 12).

ولكن في آخر أيامه ضعفت ثقت آسا بالرب. وأخذ أواني الهيكل واشترى بها صداقة بنهدد ملك آرام في دمشق، لكي يثنيه عند مساندته لبعشا ملك إسرائيل، الذي كان دائم التحرش بمملكة يهوذا. فأرسل له الرب حناني الرائي ليوبخه على ذلك بقوله "ألم يكن الكوشيون واللوبيون جيشاً كثيراً بمركبات وفرسان كثيرة جداً" (2أخ 16: 8). وعندما يذكر الكوشيين واللوبيين، فهو يوافق تماما تاريخ الفراعنة في هذه الفترة حيث كانت مصر قد خضعت، فيما عرف بفترة الانتقال الثالثة، لغزو الليبيين، الذين اتخذوا من اهناسيا مقرا لهم، وحمل حكامهم اسماء شاشنق، وتكلوت، واوسركون. كما حكم مصر الكوشيون على يد بعنخي وخلفاؤه (الاسرة الخامسة والعشرون).

نعود الى آسا فنرى انه قد أصيب بمرض في رجله أعده عن الحركة، وبدلا من ان يلجأ الى الله نراه يلجأ إلى الأطباء (1أخ 16). وتوفي آسا بعد فترة حكم دامت لإحدى وأربعين سنة عاصر خلالها ستة ملوك من المملكة الشمالية كان أولهم ناداب ابن يربعام، وآخرهم آخاب بن عمري.

يهو شوافط وخلفاؤه:

تولى الحكم بعد وفاة آسا، وذلك فى السنة الرابعة لآخاب ملك إسرائيل، وقد استغل الحرب الدائرة بين آخاب والأراميين ولبى دعوته للإشتراك فى الحرب حتى يتسنى لآخاب استرداد راموت جلعاد. وحتى يكسب يهوشافاط مملكة إسرائيل لصالحه ويتخلص من أرام التى كانت مصدر تهديد له كما كانت لسلفه. وكانت تلك بادرة الوفاق بين المملكتين بعد عدا طال امده - وليتهم اتفقوا فى الخير!- ودخل الحليفان الحرب رغم تحذير ميخا النبى لهما: "... إسمعوا يا رؤساء بيت يعقوب، وقضاة إسرائيل الذين يكرهون الحق ويعوجون كل مستقيم ... لذلك بسببكم تُفْلَح صهيون كحقل وتصير أورشليم خرباً" (مى 3: 9-12). وبالفعل لقيا شر هزيمة ووقع آخاب صريعاً فى المعركة. كما سبق وذكرنا. وبعد موت آخاب جدد يهوشافاط العهد مع يورام ابن آخاب ضد ميشع ملك مؤاب، ودخلا الحرب فكانت لهما الغلبة، وانكسرت مؤاب طبقاً لنبؤة اليسع النبى.

ثم مات يهوشافاط (2 أخ 1) بعد سبع سنين من مصرع آخاب، فملك ابنه يهورام فى السنة الخامسة ليورام ابن آخاب. فظاهر بيت آخاب وتزوج عثليا⁽¹⁾ ورافقهم فى طريق الشر. فألب الرب عليه المدن المحيطة به، والعرب، والكوشيين فصعدوا - ربما على التوالى- إلى يهوذا ونهبوا قصر الملك، وأخذوا نساءه وبنيه أسرى فيما عدا أخزيا (أحاز) ابنه الأصغر إذ كان لا يزال طفلاً لا تقوى رأسه على حمل تاج العرش. فقامت عثليا بالوصاية عليه (841-835) فشب الصبى تابعا لبيت آخاب، يفكر بعقلهم - إن كان له قدر من التفكير الحر- ويعمل طوع بنانهم. فاشترك مع حزائيل (يورام) فى حرب خاسرة ضد الأراميين فى راموت جلعاد جالبا النكسة على بلاده، فتحقق فيه قول الحكيم " ويل لك أينها الارض اذا كان ملكك ولدا ورؤساؤك ياكلون فى الصباح "(جا 10: 16).

ثم قام ياهو ابن نمشي بثورته المشهورة وتخلص من عاهلي البيتين، ومن ابنائهما. ولم يبق من بيت يهوذا سوى يواش ابن أحاز إذ كان طفلاً. فقد تمكنت يهوشبع أخت أحاز من إخفاء الصبى وسلمته ليهويذاع الكاهن، الذى جعل عليه حراساً. وبعد أن هدأت الأحوال مسح ملكاً على عرش يهوذا وهو فى عامه السابع الموافق السنة السابعة لـ ياهو ملك إسرائيل. ومكث يواش أربعين سنة على عرش يهوذا سار خلالها فى طريق الرب، فرمم بيته، لكنه لم يستطع أن ينزع الأصنام من المملكة.

(1) ربما كانت بنتاً لآخاب أو أختاً له.

وكان لما علم بتقدم حزائيل ملك آرام، وكان مزمعاً أن يدخل أورشليم فما كان منه إلا أن اشترى صداقته بخزائن بيته، وخزائن بيت الرب. ثم اغتيل على يد إثنين من رجاله، وملكا ابنه أمصيا عوضاً عنه. وكان قد عاصر من ملوك إسرائيل ياهو، ويهوآحاز ويهوآش الذي امتد به الأجل بعد يواش بنحو أربعة عشر عاماً.

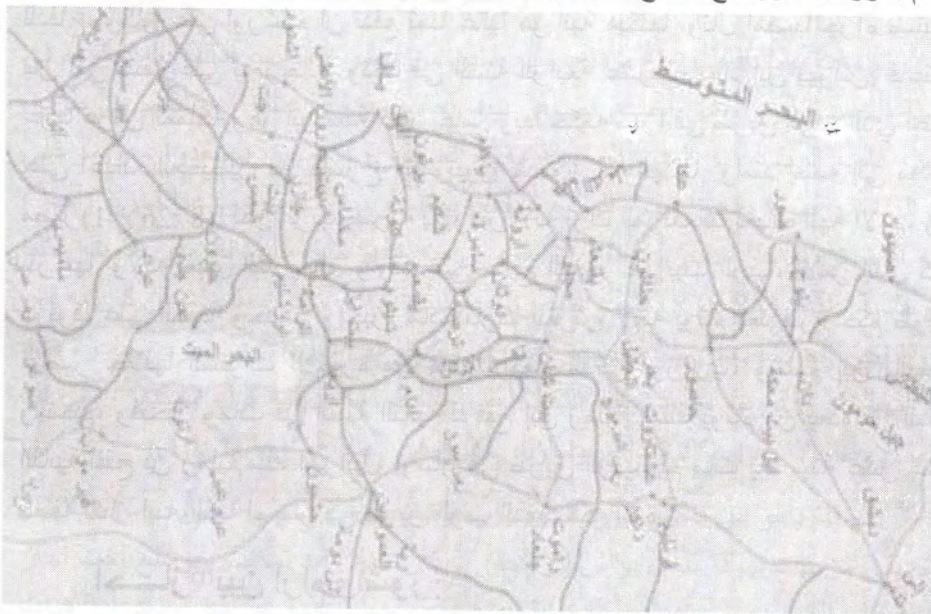
أمصيا يحدد عن طريق الرب:

جلس أمصيا على عرش مملكة يهوذا في السنة الثانية ليهوآش ملك إسرائيل، ولديه آنذاك خمسة وعشرون عاماً. وبدأ حكمه في طريق الرب، وتمكن من التخلص من قتلة أبيه. واسترد المدن التي أخذها الأراميون في شرق الأردن وغربه. ثم دخل في حرب مع الأدوميين، لكن انتصاره عليهم لم يمنعه من أن يتخذ من آلهتهم أرباباً له. فسجد لها مقدماً القرابين والأضاحي. وقد أصابه انتصاره عليهم بالغرور فعملت فيه نشوة الحرب فتحرش بملك إسرائيل، مما اضطر يهوآش إلى الإعداد للحرب واثراً البدء بالهجوم على الانتظار للدفاع، وكان على أورشليم أن تدفع ثمناً غالياً هو أنية هيكلها. ونال أمصيا جزاء صنيعه بأن لقي حتفه على يد رجاله. وذلك في السنة الرابعة عشر ليربعام ابن يهوآش. فاعتلى عزيا عرش المملكة وهو ابن ستة عشر عاماً. وبدأ حكمه سيراً في طريق الرب الذي أعانه على أعدائه المحيطين به. فأسرع العمونيون يقدمون له الهدايا. وامتد إسمه إلى مدخل مصر (1 أخ 26: 8). لكن الرب ضربه بالبرص لأنه ترك المرتفعات لعبادة آلهة الأمم، ولم ينزعها. ولأنه تعدى الشريعة، وأوقد على مذابح البخور في بيت الرب، الأمر الذي كان موقوفاً على الكهنة وحدهم. وأخيراً مات تاركاً العرش لابنه يوثام بعد فترة حكم طويلة عاصر خلالها السنوات الأخيرة من حكم يربعام الثاني، وزكريا، وشلوم ابن يابيش، ومنحيم، وفقحيا. ومات في السنة الثانية لـ فقح ابن رمليا. فملك يوثام من بعده في السنة الثانية لفقح بن رمليا ملك إسرائيل. وسار في طريق الرب، ثم مات بعد ستة عشر عاماً فخلفه آحاز ابنه، لكنه لم يسر في طريق الرب الذي سلكه أبوه.

آحاز⁽¹⁾ بين ارام وآشور:

(1) ذكر في نقوش تغلث فلاسر ملك آشور باسم يوحزي. وقد خلف أباه يوثام في الملك وهو في العشرين من العمر. نحو عام 736. وقد شجع عبادة الأصنام وعبر ابنه في النار... وذبح وأوقد على المرتفعات وعلى التلال وتحت كل شجرة خضراء (2 ملوك 16). أرسل الرب إليه النبي أشعيا ليحثه على وجوب الاتكال على الرب، ولكنه لم يصدق قوله. عندئذ نطق النبي بنبوته المشهورة الخاصة بميلاد عمانوئيل (اش 7: 16). وقد أقام آحاز مزولة كبيرة لقياس الوقت وكانت عبارة عن درجات مبنية حول عمود قصير ويعرف الوقت بها في سير الشمس الظاهر في الظل الذي يقع على الدرجات (2 ملوك 19: 20-21 واش 38: 8). ولم يكتفي بإقامة مذبح الوثن في أورشليم بل أغلق أبواب الرواق وأطفا

اتجهت أنظار رصين ملك آرام؛ وفقح ابن رمليا ملك إسرائيل صوب يهوذا فساروا نحوها، وفرضا عليها حصاراً انتهى بسقوط يهوذا في أيديهما، وأسرا منها الآلاف. فأرسل آحاز الفضة والذهب الخاص ببيت الرب (2مل 16). إلى أشور للحصول على تأييد ملكها تغلت فلاسر الثالث. ضد رصين، وفقح، والأدوميين، فقبل تغلت العرض الذي جاء متمشياً مع سياسته التوسعية. وبالفعل اشتركت أشور مع يهوذا في الحرب التي اسفرت عن موت رصين ملك آرام وهزيمة جيشه. واستغل تغلت الموقف لصالحه فبعد التصدي للحلف بسط ملك أشور يده على مدن عديدة بل ويهوذا نفسها لم تسلم من اطماعه (2مل 16: 17، 18). وواصل زحفه حتى وصل إلى وادي العريش حوالى عام 733 ماراً بسوريا والساحل الفينيقي، وغزة. كما اتجه إلى إسرائيل حوالى عام 735 واستولى على أبل بيت معكه، ويانوح، وقادش، وحاصور، وجلعاد، والجليل، وارض نفتالى، وسباهم إلى أشور (2مل 15: 29) وأتى بقوم آخرين ليحلوا محلهم. وقد اتبع تلك السياسة مع البلاد الأخرى التي قام بغزوها⁽¹⁾، ووضع هوشع على عرش إسرائيل.



وعلى الرغم من أن يهوذا بقيادة آحاز قد نجت من بطش ملك أشور، إلا أن ذلك لم يمنعها عن التبعية له، ودفع الجزية كعلامة من علامات الخضوع. ويبدو أن الجزية كانت

السرج فلم يوقد بخوراً ولم يصعد محرقة (2 أخبار 29: 7). وهو الذي بنى المذابح التي على سطح عليّة آحاز ويحتمل أنه بناها فوق ساحة الهيكل لعبادة الأجرام السماوية (2ملوك 23: 12) وقد تنبأ في عصره هوشع وميخا وأشعيا. ومات آحاز في السادسة والثلاثين من عمره سنة 721 ق.م. (1) بلاد ما بين النهرين ص 311 ل. دي لا بورت - ترجمة محرم كمال.

ثقيلة حتى أن الفقر انتشر في المملكة كتحذير إشعياء لأحاز بقوله "... الأرض تكون شوكا وحلفا.. وتكون لسرج البقر ولدوس الغنم" (أش 7: 24-25).

وبلغ أحاز بالشر اقصاه حتى انه لجأ إلى آلهة أرام، وذبح لهم⁽¹⁾. ولهذا قال له الوحي على لسان ميخا النبي: "إنى أقطع خيلك من وسطك، وأبيد مركباتك، وأقطع مدن أرضك وأهدم كل حصونك، وأقطع السر من يدك، وأقطع تماثيلك المنحوتة.. فلا تجد لعمل يديك فيما بعد" (مي 5: 10-13).

يهوذا ومصر في مواجهة آشور:

بعد موت أحاز اعتلى ابنه حزقيا (البار) عرش يهوذا. في السنة الثالثة لهوشع ملك إسرائيل. وكان ينقي الله، فأزال المرتفعات، وكسر التماثيل والسواري وسحق حية النحاس التي أقامها موسى، لأن بني يهوذا عبدوها. وفي السنة الرابعة عشر لملكه صعد سنحاريب ملك آشور الذي خلف سرجون الثاني، على جميع مدن يهوذا وأخذها. وفرض عليها الجزئية (2مل 18: 13). فلجأ حزقيا إلى فرعون مصر، شبتكو ابن بعنخي النبي⁽²⁾ الذي كان أبوه قد تغلب على باك إن رنف، ثاني وآخر ملوك الأسرة الرابعة والعشرين فدانت له البلاد، ثم اتجه إلى بسط نفوذه علي المدن الفلسطينية والسورية مؤلباً إياها على الثورة ضد آشور.

وعندما علم سنحاريب بأنه تم التحالف بين يهوذا ومصر أرسل إلى حزقيا يعيره على اتكاله على مصر. ويقول له على لسان أحد قادته ويدعى ربشاقى: " فالآن هوذا قد اتكأت على عكاز! هذه القصبية المرضوضة! على مصر التي إذا توكأ أحد عليها دخلت في كفة وثقبتها" (2مل 18: 21). "هل أنقذ آلهة الأمم كل واحد أرضه من يد ملك آشور؟! أين آلهة حماه وأرفاد، أين آلهة سفروايم وهينع وعوا، هل انقذوا السامرة من يدي؟! " (2مل 18: 33). وعندما سمع حزقيا ذلك الكلام فانه مزق ثيابه، ورفع الأمر إلى رجل الله إشعاء ابن أموص، وصليا معاً في حضرة الشعب فجاءه الوعد بالفوز.

(1) 2 أي 28: 20، 23.

(2) أسس هذه الأسرة كهنة آمون الفارين من بطش الملك شاشنق الليبي المتصر. وقد تأسست هذه الأسرة في بلاد كوش (السودان - أثيوبيا) وهو ما يفسر ذكر كوش في الحديث عن مصر. (2أي 14: 9، 16: 8، 21: 17).

وفى ذلك الوقت تقدم طهرقا⁽¹⁾ ابن بغنخى على رأس الجيش المصرى الكوشى من قبل أخيه شبتكو ملك مصر. وقبل أن يدخل فى المعركة ضد آشور كحليف ليهودا أن ملاك الرب ضرب من جيش آشور مائة ألف وخمسة وثمانين ألفاً. وقد روى هيرودوت هذه الحادثة ولكنه أرجع الهزيمة الى سبب له من السذاجة بما لا يقبله عاقل، فقد قال بأن الجرذان أكلت أسلحة الآشوريين. وعلى اثر هلاك معظم جيشه، أمر سنحاريب البقية بالانسحاب. وعلى الرغم مما أصاب جيشه إلا أنه يذكر فى حولياته أنه حاصر حزقيا فى اورشليم وحبسه فيها كما يحبس العصفور فى القفص⁽²⁾.

وفى طريق عودته مال إلى بابل فدمرها واشعل فيها النار ثم أغرقها لتمررد حاكمها موتزيب مردوك عليه. وفى عام 681 ق.م اغتيل سنحاريب على يد إثنين من أبنائه وهما أدرملك، وشرأصر - ولا تختلف التسمية كثير عما جاء فى سجلات آشور "أراد ملكات" و "نابوشار أو تسور"⁽³⁾ - ثم هربا وبعد اثنين واربعين يوماً من موته كما يقول المختصون خلفه ابنه الأصغر اسرحدون.

وكان لما علم حزقيا بأن سنحاريب أخذ المدن اليهودية وأنه ينوى دخول اورشليم فإنه أمر بحفر نفق سرى⁽⁴⁾ لنقل المياه من بئر جيحون الواقع خارج اورشليم إلى بركة سلوام⁽⁵⁾ بوادي قدرون⁽⁶⁾، التى كانت داخل السور آنذاك، وذلك خشية أن تقع المدينة تحت الحصار⁽⁷⁾. وفى اواخر القرن التاسع عشر عثر Warren على النفق وقيل ان اول من كشف عنه صبي كان يسبح في بركة سلوام. وقام Parker بعد ذلك (1909- 1911) بتنظيف هذا النفق الجاف الذي يبلغ طوله 1777 قدماً. وعثر فيه على نقش⁽⁸⁾ حجري جاء فيه: "بينما النحاتون يرفعون فأس الحفر، كل تجاه رفيقه، وبينما بقي ثلاثة اذرع للنحت، سُمع صوت رجل ينادي اخاه، لانه وجد ثقباً في الصخر من ناحية اليمين. وفي يوم انتقابه ضرب

(1) تولى الحكم بعد موت أخيه شبتكو.

Le proche orient Asiatique p. 118.

(3) بلاد ما بين النهرين ص314.

(4) يبلغ طول هذا النفق حوالي 532م. وعمقه يبدأ من مترين عند منبعه وينتهي بأربعة أمتار عند مصبه.

(5) توجد مكانها الآن حديقة كما توجد بالقرب منها قرية سلوام الحالية معلقة في تل رأس العمود المكان الذي سمح فيه سليمان لنساءه الأجنيات أن يقدمن القرابين لربابهن.

(6) CHRISTOPHER HOLLIS, LIEUX SAINTS P32

(7) 2مل 20: 20، 2أخ 32: 30.

(8) بمتحف تركيا.

النحاتون رجل امام رجل، فأُس على فأُس. وسالت المياه من النبع الى البركة مسافة مائتين والـ ذراع ومائة ذراع. وكانت قمة الجبل فوق رأس النحاتين"⁽¹⁾

وبالقرب من بركة سلوام يوجد ما يعرف بباب الوادي او الفسقية التي اشار اليها نحميا عندما قام بجولة لمراقبة الأسوار. ويضيف السفر أنه أمر بالإسراع إلى بناء السور والى زيادة ارتفاعه.

أما طهرقا حليف حزقيا فقد عاد إلى مصر واعتلى عرشها بعد وفاة أخيه شبتكو في نفس العام الذي مات فيه سنحاريب (681 ق.م)، واستقر في شمال الدلتا، وأخذ يحرص المدن الفلسطينية والفينيقية على الثورة ضد آشور، مما أثار عاهلها الجديد أسرحدون. ودفعه للقيام بحملة ضد الثوار، وضد طهرقا زعيمهم. فاتجه أولا إلى صيدا عام 676 ق.م، حيث لقي زعيمها "عبدى ملكوتى" الهزيمة وقطعت رأسه. كما لقي ساندواري زعيم سيس في كيليكيا نفس المصير. وأما سكان صيدا فقد نفاهم خارج بلادهم وأتى بسكان كلدانيين كان قد أسرهم في العام الأول من حكمه وأسكنهم فيها.

وبعد ذلك اتجه إلى مصر فوصل إلى وادي العريش سنة 675 ق.م ولكنه اضطر إلى العودة إلى بلاده ليواجه حلفا من السكيثيين والميديين الذين كانوا يهددون الحدود الشمالية والشرقية لإمبراطوريته. ثم استأنف (عام 673 ق.م) الجيش الأشوري حملته ضد مصر لكنه اضطر أيضاً إلى العودة وهو في طريقه، وذلك لمواجهة العيلاميين والميديين.

وكاد أسرحدون ينسى أمر مصر لكنه علم باتصال بلع ملك صور بطهرقا مما شجعه هذه المرة على التوجه إلى صور فحاصرها. ثم اتجه إلى مصر وبلغ منف في الثاني والعشرين من يوليو/ تموز محققاً النصر في المعارك التي خاضها الواحدة تلو الأخرى. وفر طهرقا إلى الجنوب بينما وقع أولاده ونسأوه في الأسر. وفي العام التالي عاد طهارقا للظهور من مخبئه وتمكن من استعادة منف فعزم أسرحدون على إرسال جيش آخر إلى مصر لكنه مات قبل تحقيق ذلك في أواخر عام 669 ق.م تاركاً تلك المهمة لخليفته آشور بانيبال.

وكان لانشغال آشور بأمر مصر، وبابل، والساحل الفينيقى أثره الإيجابي على مملكة يهوذا خاصة بعد الضربة إلى تلقاها الجيش الأشورى وهو يستعد لإقتحام أورشلیم فى عهد سنحاريب مما أتاح الفرصة لحزقيا أن ينهض بمملكته ويرفع من شأنها بين الممالك والمدن المجاورة التى أسرع ملوكها يقدمون له الهدايا خطباً لوده.

(1) D. Winton Thomas, documents from old testament times , p.210

وذاث يوم مرض حزقيا الملك وشعر ان ساعته قد دنت. ومما زاد اليقين في نفسه ان اشعياء النبي أخبره بأن مرضه للموت. وأن عليه ان يقدم وصيته لاهله قبل وفاته. فحزن حزقيا البار وصلى الى الرب ان يمنحه مزيدا من الحياة على الأرض. فاستجاب الله الذي يستجيب دائما للأبرار والقديسين. وأخبره على لسان اشعياء النبي " قد سمعت صلاتك قد رايت دموعك هانذا اشفيك في اليوم الثالث تصعد الى بيت الرب. وازيد على ايامك خمس عشرة سنة وانتذك من يد ملك اشور مع هذه المدينة واحامي عن هذه المدينة من اجل نفسي ومن اجل داود عبدي "(2مل 20: 5).

وطلب حزقيا علامة من النبي فدعا اشعياء النبي الرب فأرجع الظل عشر درجات الى الورا. فأمن حزقيا بكلام النبي، وتيقن انه من الرب، عندما رأى آية من السماء، تبين ان الله الذي وضع ناموسا للكون هو وحده الذي له القدرة ان يغير فيه كيفما وينا شاء. فكما جعل الأرض تسير في عكس الاتجاه المرسوم لها. فان له ايضا ان يمنح الأجل لحزقيا قدر ما اراد. وبدون شك كان حزقيا يعلم ان الله سبق وأجرى مثل هذه الآية على يد موسى النبي في مصر عندما ضرب البلاد بالظلام الدامس لمدة ثلاثة أيام "(خر 10: 22) وعندما اوقف الارض عن الدوران في عهد يشوع ابن نون وهو ما تراءى للشاهد ان الشمس قد وقفت في كبد الساء "فوقفت الشمس في كبد السماء ولم تعجل للغروب نحو يوم كامل " (يش 10 : 13).

وبعث مردوخ بلادان ملك بابل برسالة رقيقة مصحوبة بالهدايا الى حزقيا الملك المريض متمنياً له الشفاء. وأخطأ حزقيا إذ كانت قد عملت فيه نشوة التباهي فعرض على المبعوثين ما في خزان بيته من كنوز، فلم يتردد المبعوثين أن أنبأوا زعيمهم بما رأوه عند ملك يهوذا مما أثار مطامعه. فلما علم إشعياء النبي بما فعله حزقيا أن وبخه عليه. وأنبأه أن هذه الأشياء سوف تكون في بيت ملك بابل بعد وفاته.

"هوذا تأتي أيام تحمل فيها كل ما في بيتك وما خزنه أبائك إلى هذا اليوم إلى بابل لا يترك شئ يقول الرب ومن بنيك الذين يخرجون منك الذين تلدهم فيكونون خصياناً في قصر ملك بابل" (أش 39). وقد تحقق ذلك بالفعل على يد نبوخذ نصر تلميذاً لنبوذا اشعياء.

منسى وخلفاؤه:

بعد موت حزقيا تولى منسى الحكم وهو فى الثانية عشر من عمره. وحاد عن طريق الرب الذى سبق وأن سار فيه أبوه (2مل 21). ولذلك جلب الرب عليه وعلى مملكته الشر الكثير خلال فترة حكمه الطويل. وتدل شواهد الأحوال على أنه كان تابعاً لأشور وموالياً لها. وتذكر السجلات الآشورية أنه كان يمد أشور بأدوات البناء. فقد ورد اسمه فى سجلات اسرحدون ضمن الذين قدموا له الجزية:

"دعوت الي ملوك خاتي على الضفة الاخرى من النهر، بعلو ملك صور، منسى ملك يهوذا، قوش جيرى ملك ادوم، موسورى ملك مؤاب"⁽¹⁾.

كما ساعد آشور بانيبال فى غزو مصر لكن ملك آشور انقلب عليه بعد ذلك. ولما مات خلفه ابنه آمون. وكان عمره آنذاك اثنين وعشرين عاماً. وسار على نهج أبيه، فلقى حتفه على يد خدمه. وملك يوشيا عوضاً عنه.

وكان يوشيا لا يزال فى الثامنة من عمره. فشب وهو على عرش المملكة، وقد علمه مستشاروه أن القوة والغلبة تأتى من إتقاء الرب، ومن السير فى طريقه. الأمر الذى اتبعه يوشيا فهدم المعابد الوثنية الخاصة بآلهة آشور وغيرها من الأمم (2مل 34).

وقد شجعه ضعف مملكة آشور بعد موت آشور بانيبال، وتهاون خليفته سن شار إشكون Sin Shar Iskun تجاه المدن والممالك التى كانت فى حوزة أسلافه؛ فأخذت تنفك وتعلن استقلالها. وقد ساعد ذلك يوشيا فى استعادة بعض المدن التى كانت فى حوزة الآشوريين مثل مجدو- وغيرها. وقد أسفرت نتائج البحث فى خرائب مجدو (1925م) على يد فريق من جامعة شيكاغو عن وجود أربع مدن بنيت الواحدة منها على اطلال الأخرى. وتعود إحداها إلى عصر سليمان الحكيم حيث تم الكشف عن اسطبلات للخيول التى كان سليمان مغرمًا بتربيتها (1مل 26: 10-29، 2 أخ 1: 14-17).

ولكنه أخطأ إذ تصدى لنخو ملك مصر ولم يكن نخو (نكاو) ينوى محاربته، وإنما كان يتجه لمساعدة آشور⁽²⁾ - كحليف لها- ضد مملكتى مادى وفارس الصاعدتين بينما كانت آشور تلفظ أنفاسها الأخيرة.

ولقى يوشيا مصر عه بعد هزيمة جيشه (2 أخ 25). فتولى يهوذاز الأمر من بعده وله من العمر ثلاثة وعشرون عاماً. ولم يدم حكم يهوذاز أكثر من ثلاثة أشهر. لأنه سار فى

(1) فراس السواح ص 299

(2) إن اضطراب الأحوال فى مصر وتعدد الأسر الحاكمة وسرعة قيامها وزوالها يفسر مناصرة مصر ممثلة فى نكاو (نخو) لأشور التى كانت عدواً لدوداً لها منذ فترة وجيزة.

طريق الشر فسلمه الرب ليد فرعون (نخو - نكاو) الذي صعد على يهوذا، وأسرهم. وعين أخاه الياقيم بدلاً منه. وغير اسمه إلى يهوياقيم. وساق يهوآحاز أسيراً إلى مصر. ولكنه أحسن إليه. وبقي هناك حتى مات.

السبي البابلي

يهوياقيم والسبي البابلي الأول:

بدا يهوياقيم حكمه تابعا لمصر يدفع لها الجزية، ولكن هذا الوضع لم يستمر طويلا، لأن ملك بابل⁽¹⁾ صعد على اورشليم وحاصرها في العام الثالث من حكمه، مما اضطره الى تقديم آنية بيت الرب الى ملك بابل، بعد ان تعهد بدفع جزية سنوية. " في السنة الثالثة من ملك يهوياقيم ملك يهوذا ذهب نبوخذ نصر ملك بابل الى اورشليم وحاصرها. وسلم الرب بيده يهوياقيم ملك يهوذا مع بعض آنية بيت الله. فجاء بها الى ارض شنعار الى بيت الهه. وادخل الانية الى خزانة بيت الهه" (دا 1:1). وساق نبوخذ نصر قسما من بني يهوذا الى بابل، وكان معهم دانيال النبي والفنية الثلاثة. وعندئذ اضطر ملك يهوذا ان يوقف الجزية التي كان يدفعها الى نخو ملك مصر ويرسلها الى نبوخذ نصر. واستمر الحال كذلك حتى العام التالي.

وكان على نخو (نكاو) ملك مصر ان يواجه ملك بابل حتى يستعيد سلطته في فلسطين. وبالفعل دخل في معركة ضد ملك بابل، ولكن لقي جيشه الهزيمة عند كركميش، وذلك في السنة الرابعة ليهوياقيم (حوالي عام 605 ق.م). وفي عام 1876 تمكن عالم الاثار جورج سميث من العثور على موقع مدينة كركميش على ضفة الفرات حيث هُزم نخو⁽²⁾. وكان من الطبيعي الا نجد ذكرا لهذه النكبة في اثار ملك مصر، بينما يراها نبوخذ نصر محلا للفخر. كما سبق وتنبأ عن هذه الواقعة ارميا النبي (ار 46: 1، 2) الذي كان يميل الى عدم التبعية لملك مصر، لذلك نراه يندد بإنكساره امام جيش ملك بابل. " ولم يعد ايضا ملك مصر

(1) غزا نبوخذ نصر مملكة يهوذا ثلاث مرات على التوالي. وفي كل مرة كان ينفي عددا من اليهود الى بابل فيما يعرف في اخبار الملوك والانبياء بالسبي البابلي.
الغزوة الأولى: وقعت هذه الغزوة حوالي عام 605 ق.م. وكانت في عهد يهوياقيم ابن يوشيا. وكان دانيال النبي احد المسيبيين في هذه المرة. ولعل نبوخذ نصر قام بهذه الحملة في عهد سلفه نابو بولاسر كقائد للجيش. وربما كشريك لأبيه في الحكم. وأبقى البابليون يهوياقيم في الحكم مقابل دفع الجزية السنوية المتفق عليها.

الغزوة الثانية: وقعت سنة 597 ق.م. في عهد يهوياكين. وكان حزقيال النبي ضمن الأسوريين الى بابل. الغزوة الثالثة: وقعت حوالي سنة 586 ق.م. وكانت في عهد صدقيا عم يهوياكين. وكانت بسبب تمرده على ملك بابل وتواطئه مع فرعون لعل حلف دفاعي ضد تقدم البابليين. ولهذا اقتصر الملك البابلي من ملك يهوذا ودمر مملكته وأساء الى شعبها فسوي مدينة اورشليم وهيكلها بالأرض، ثم ساق الى بابل جل سكان المدينة تاركا فيها الضعفاء من العجائز والصبية والنساء.

(2) فريديرك ديليتش - بابل والكتاب المقدس ص 11. ترجمة ايرينا داود دمشق 1987.

يخرج من ارضه لان ملك بابل اخذ من نهر مصر^(١) الى نهر الفرات كل ما كان لملك مصر" (2مل 7:24). وعندئذ نعمت مملكة يهوذا- الى حين- بشئ من الحرية نظرا لانشغال ملك بابل بشئونه الداخلية. وكذلك لتقلص النفوذ المصري في الشرق.

وواصل يهوياقيم وشعبه السير في طريق الشر هو ومملكته، فتركه الرب للامم تؤدبه هو وشعبه. وكانت يد الرب على يهوذا، فباتت محطاً لأطماع الآراميين، والمؤابيين، والعمونيين - إلى جانب الكلدانيين- فكانوا يغيرون على مدنها من آن لآخر، ويعيثون الفساد في أرجاءها، عقاباً لشعبها ولملوكها على معاصيهم. وقد سبق وارسل الله ارميا نبيا ونذيراً عسى ان يرجع الراعي والرعاة عن غيبيهم فيصفح الرب عن زلاتهم ويرفع عنهم البلاء " لعل تضرعهم يقع امام الرب فيرجعوا كل واحد عن طريقه الرديء لانه عظيم الغضب والغیظ للذان تكلم بهما الرب على هذا الشعب" (ار 36 : 7). ولكنهم لم يسمعوا بل ان يهوياقيم اذرى بما دونه باروخ ابن نيريا الكاتب مما نطق به الوحي على فم النبي " ولم يخف الملك ولا كل عبيده السامعين كل هذا الكلام ولا شققوا ثيابهم" (ار 36). وبعث ملك يهوذا برسالة كتبت بالآرامية، إلى مصر يطلب نجدة عاھلھا، ولكن دون جدوى. وكان يهوياقيم لم ينفك يغضب الرب بين ليلة وضحاها، ويسخر الشعب في بناء قصر له غير الذي ورثه عن ابيه فلذلك وبخه أرميا النبي بقوله "ويل لمن يبني بيته بغير عدل وعملاً له بغير حق" (ار 22:13).

ثم اكتسح ملك بابل فلسطين سنة 603 ق.م، وهوفي طريقه إلى مصر والتقى بالجيش المصرى عند ببوليزيوم. وأسفر اللقاء عن خسائر عند كلا الجانبين فانسحب نبوخذ نصر في سنة 600 ق.م مما شجع يهوياقيم أن يوقف الجزية التي كان يدفعها لملك بابل الأمر الذي دفع بملك بابل أن يهاجم يهوذا ويخربها (597 ق.م)، ولقى يهوياقيم حتفة. وألقى بجثته أمام السور كقول أرميا النبي " لذلك قال الرب عن يهوياقيم ملك يهوذا لا يكون له جالس على كرسي داود، وتكون جثته مطروحة للحر نهاراً وللبرد ليلاً، وأعاقبه ونسله وعبيده على إثمهم، وأجلب عليهم وعلى سكان أورشليم وعلى رجال يهوذا كل الشر" (ار 36).

(١) لعله وادي العريش او احد الأنهار في الواقعة خارج مصر في فلسطين او في غيرها من المناطق التي كانت تابعة لمصر في العهد الفرعوني. فقد كان لمصر املاك كثيرة في بلاد الشرق، كما وصل سلطان مصر الى نهر الفرات في عهد تحوتمس الثالث.

يهوياكين والسبي الثاني:

تولى الحكم لمدة ثلاثة أشهر فقط. بعدها أخذه نبوخذ نصر أسيراً هو وأهل بيته، وعبيده وعدداً كبيراً من سكان أورشليم، يقدر بنحو ثلاثة آلاف رجل. وعلى رأسهم الملك ورجاله وحزقيال النبي⁽¹⁾. كما أخذ قسماً كبيراً من أنية المعبد. وقبل أن يغادر نبوخذ نصر أورشليم عين (متنيا) عم يهوياكين بدلاً منه وغير اسمه إلى (صدقيا). وبقي يهوياكين في الأسر لفترة طويلة ربما تزيد على خمسة وثلاثين عاماً⁽²⁾ حتى جاء أويل مردوخ الذى خلف نبوخذ نصر، وفك أسره (أر 52: 31).

متنيا (صدقيا) والسبي الثالث:

لم يرض صدقيا بأن يكون تابعا لملك بابل وتمرد عليه ممتنعا عن دفع الجزية. كما تفشت روح الثورة والمقاومة فى البلدان التى كانت خاضعة لبابل مثل صور وصيدا، وبلاد عمون، ومواب. وكان فرعون مصر حفرع⁽³⁾ HAPHRA على رأس المُحرّضين على الثورة. وترزع المقاومة في يهوذا بعض المعارضين ممن أطلق عليهم اسم الأنبياء الكذبة، وقد أبادهم نبوخذ نصر فيما بعد (أر 29: 21)، كما أخذ بيد من حديد- جميع الثورات⁽⁴⁾.

وفى يناير 588 ق.م حاصر البابليون أورشليم (2مل 25، أر 52: 4) واسقطوا قلاعها الحصينة. ولم يتبقى سوى لخيش⁽⁵⁾ وعزقه (أر 34: 6). وقبل الحصار كان البعض قد هرب

(1) كان حزقيال ضمن الجمهور الذى سُبى فى عهد يهوياكين؛ فتنبأ فى العام الخامس تقريباً من حكم صدقيا، وهو بمنطقة نهر خابور. وتنبأ عن الخراب الذى حل بأورشليم فى السنة الحادية عشر من حكم صدقيا قبل تحقق النبوءة بنحو ست سنوات، قال: "إلى الجلاء، إلى السبي يذهبون. والذى فى وسطهم (صدقيا) يحمل على الكتف فى العتمة ويخرج. ينقبون الحائط ليخرجوا منه. يغطى وجهه لكيلا ينظر الأرض بعينه. وأبسط شبكى عليه فيؤخذ فى شركى، وأتى به إلى بابل إلى أرض الكلدانيين؛ ولكن لا يراها، وهناك يموت" وقال عن أورشليم وسكانها: "يأكلون بالغم ويشربون ماء من بحيرة لكى تخرّب أرضها عن ملئها من ظلم الساكنين فيها، والمدن المسكونة تخرّب" (حز 12: 12، 13، 19، 20). وعن لجوء ملك يهوذا إلى مصر قال: "هوذا ملك بابل قد جاء إلى أورشليم وأخذ ملكها (يهوياكين) ورؤسائها وجاء إليه إلى بابل.. فتمرد عليه (صدقيا) بارساله إلى مصر ليعطوه خيلاً وشعباً كثيرين" (حز 17: 11).

(2) دنجيب ميخائيل - مصر والشرق الأدنى القديم ص 450.

(3) ابريس عند الأغريق، وما تزال لوحته المقامة في منف تحمل اسمه المصري حع ايوب رع. كما يوجد له تماثالان في منطقة كوم الشقافة بالأسكندرية يحملان اسمه. ويمثلانه في شكل ابي الهول. واثار اخرى بالمتحف المصري. وهومن ملوك الأسرة السادسة والعشرين وهو غير خفرع الشهير، رابع ملوك الأسرة الرابعة وباني الهرم الثاني بالجيزة .

(4) إر 40: 13 و 41: 15، وحز 21: 18-32.

(5) بفضل اعمال الحفر والتنقيب التي اجريت في اطلال المدينة بمنطقة تل الدوير الحالية والتي قام بها Ch. Marston & H. Wellcome في الفترة من 1932 الى 1937، وكذلك ما قام به Ussismkin.

تاركا المدينة عندما استمع الى ارميا ينبي بالخطر القادم. فهرب من كان مصدقا لكلام الله. ولكن لما رأى صدقيا الملك ان كلام ارميا يؤثر في الشعب ان قبض عليه والقاءه في السجن، خاصة وان النبي كان يقول بالشر الذي سيحل على مملكة يهوذا. وبينما كان صدقيا غارقا في الحيرة بين الشك والقلق جاءته النجدة من مصر. فلما رأى ابابليون جيش مصر مقبلا انهم انسحبوا. فاطمان صدقيا وانفجرت اساريره، ولكن ظل ارميا على موقفه واعطا ونذيرا بالخطر القادم على يهوذا والخراب المذمع ان يحل بها (ار2:38). ولم تمض سوى شهور قلائل حتى جاء نبوخذ نصر على رأس جحافل من الجيوش البابلية في الشهر العاشر من السنة التاسعة من حكم صدقيا، وحاصر العاصمة. وظل محاصرا لها حتى غدت منها الطعام والشراب. وفي التاسع من الشهر الرابع من السنة الحادية عشرة لصدقيا فتحت المدينة (ار2:39). ودخلها رؤساء بابل، وكان معهم نرجل شاراصر الذي صعد بعد ذلك على عرش بابل لفترة وجيزة.

وفر صدقيا ليلا نحو الأردن، ولكن تم القبض عليه، وأمر نبوخذ نصر بقتل أبنائه أمام عينيهِ ثم فقاهما (2مل 5: 6، ار52: 9). وفر عدد كبير إلى مصر وغيرها، وعين نبوخذ نصر والياً على يهوذا هو جدليا بن أخيقام الذي استقر في المصفاة (تل النصبة). لكنه تعرض لمؤامرة وقتل، وفر الجناة إلى مصر وأخذوا معهم أرميا النبي بالقوة. فرحب بهم ملكها "واح اب رع" (إبريس). وسمح لهم بالإقامة في البلاد؛ فانتشرت جاليتهم في طول البلاد وعرضها. ووصلوا حتى أسوان⁽¹⁾ جنوباً. وفي الوقت الذي كانت فلسطين خاضعة لبابل كان الساحل الفينيقي تحت سيطرة الأسطول المصري.

في عام 1973 تم الثور على مجموعة من الرسائل موجهة من قائد عسكري الى سيده تشير الى صمود المدينة في مواجهة الجيوش البابلية وقد جاء في نهاية احدى الرسائل "... وليعلم سيدي اننا نترقب اشارات لخير وفق كل المؤشرات التي اعطاها سيدي لاننا لا نرى عزيمة (1) يعتقد انها سينيم الواردة في اشعيا "هؤلاء من بعيد ياتون وهؤلاء من الشمال ومن المغرب وهؤلاء من ارض سينيم" (اش 49 : 12). & حز 29 : 10، 30:6.

أرميا النبي وخراب أورشليم⁽¹⁾:

تحدث عن الشر المحقق بمملكتي يهوذا واسرائيل والذي يرجع سببه الى ترك الغالبية العظمى من الشعب للرب، وانسياقهم الى عبادة الأصنام وما يتبعها من مجون يرضي غرائزهم وشهوات نفوسهم "لأنهم تركوني (تركوا الرب) وبخروا لآلهة أخرى وسجدوا لأعمال أيديهم". وقال عن يهوذا "وأدفع كل يهوذا ليد مالك بابل فيسببهم إلى بابل ويضر بهم بالسيف، وأدفع كل ثروة هذه المدينة... ليد أعدائهم"⁽²⁾. وقال عن صدقيا: "وأدفع صدقيا ملك يهوذا وعبيده، والشعب الباقيين في هذه المدينة من الوباء"⁽³⁾ والسيف والجوع ليد نبوخذ

(1) هو ابن حلقيا الكاهن من عناثوث في أرض بنيامين (ار 1: 1) وقد دعاه الرب للقيام بالعمل النبوي في رؤية رآها وهو بعد حدث، فبدأ عمله في السنة الثالثة عشرة من ملك يوشيا إلى أن أخذت أورشليم في الشهر الخامس من السنة الحادية عشرة من ملك صدقيا (ار 1: 3 و2). لذا فقد دامت خدمته إحدى وأربعين سنة.

وفي السنة الرابعة من ملك يهوياقيم أملى أرميا نبواته التي نطق بها مدة العشرين سنة السابقة، وكتبها باروخ الكاتب في درج. وأخبر أرميا باروخ أن يأخذ السفر إلى بيت الرب وأن يقرأه على من يأتون من الشعب إلى الهيكل في يوم الصوم. ووصل الدرج في النهاية إلى الملك الذي بعد أن استمع إلى بعض فقرات منه مزق الدرج قطعاً، ورماه في النار حتى احترق كله (أرميا 36: 1 - 26) ولكن الرب أرشد أرميا أن يكتب درجاً ثانياً كالدرج الأول وزيدت عليه إضافات أخرى (ص 36: 27 - 32). وقام واحد من أعدائه وهو الكاهن فشحور، الناظر الأول للهيكل وضرب أرميا وجعله في المقطرة. ولكنه أطلقه في اليوم التالي (ص 20: 1 - 3).

وعندما كانت أورشليم محاصرة ادعوا عليه أن نبواته ضد يهوذا وأورشليم تثبتت هم المدافعين عن المدينة. ولما رفع الكلدانيون الحصار إلى حين، وأوشك أرميا أن ينتهز هذه الفرصة للذهاب إلى عناثوث مسقط رأسه، اتهم بأنه فرّ ليذهب إلى الكلدانيين، وألقي البيض عليه وطرح في الجب (ص 37: 1 - 15) وبعد أيام كثيرة أطلقه الملك صدقيا من محبسه وأخذه وسأله سرا عن كلمة الرب بشأنه فأخبره أرميا بأنه سوف يدفع إلى ملك بابل.

وأمر صدقيا أن يضعوا أرميا في دار السجن وأن يحسنوا معاملته بعض الشيء ولكن الرؤساء أخذوه ورموه في الجب ليموت جوعاً (ص 37: 16 - 21 و38: 1 - 6) فأشفق عليه خصي حبشي واستأذن الملك في أن يرفع أرميا من وحل الجب فأذن له ورفع وأخذه ووضعه في دار السجن. وكان هناك إلى أن أخذت أورشليم (ص 38: 7 - 28)

وقد علم الكلدانيون بما عاناه، واعتقدوا أنه قاسى كثيراً من أجلهم لذلك فقد أطلق نبوخذ نصر سراحه ومنحه حق الاختيار في أن يذهب إلى بابل أو يبقى في وطنه فأثر أن يبقى في وطنه. وأتى إلى جدليا بن أخيقام إلى المصفاة وأقام عنده في وسط الشعب الباقيين في الأرض (ص 39: 11 - 14، 40: 1 - 6) ولما قتل جدليا حتّ أرميا الشعب أن لا يهربوا إلى مصر ولكن عبثاً حاول إن يثنّيهم عن عزمهم، ولم يذهبوا إلى مصر فحسب بل وأرغموا أرميا على مرافقتهم في رحلتهم (ار 41: 43، 1: 7) وقد نطق بنبواته الأخيرة في تحفحيس في مصر (ار 43: 44، 8: 30).

ولم يعرف عنه شيء بعد ذلك. وفي السنة الأولى لصعود نبوخذ نصر على عرش بابل التي توافقت السنة الرابعة لليهوياقيم بن يوشيا ملك يهوذا كان أرميا قد أمضى نحو ثلاثاً وعشرين عاماً ينذر أورشليم ويدعوها للتوبة.

(2) 1: 16، 20: 5.

(3) نتج عن حصار المدينة

نصر ملك بابل. فيضربهم بحد السيف" هكذا أجعل صدقيا ملك يهوذا ورؤساءه وبقية أورشليم الباقية في هذه الأرض، والساكنة في أرض مصر، وأورشليم للقلق والشر في جميع ممالك الأرض... وأرسل عليهم السيف والجوع⁽¹⁾. وتحدث عن مواجهته لصدقيا قائلاً: "وكلمت صدقيا ملك يهوذا. قائلاً ادخلوا أعناقكم تحت نير ملك بابل واخدموه وشعبه"⁽²⁾ (ار 27: 12)؛ فما كان من صدقيا إلا أن ألقى القبض على أرميا وأودعه في السجن لأنه تنبأ بالشر عليه، وعلى مملكته. وبقي أرميا هناك حتى سقطت أورشليم؛ فأخرجه نبوخذ نصر وأكرمه⁽³⁾. بينما أعمل سيفه في أشراف يهوذا وفي بنى الملك أمام عينيه. وأحرق قصر الملك. ونقض أسوار المدينة. وسبى نبوزر ادان رئيس الشرط باقى الشعب. ولم يترك بالمدينة سوى من لا تقوى رجلاه على حمله. ولأذ بالفرار عدد كبير إلى مصر وغيرها. كما سبق وأنبأ أرميا النبي عن صعود جيش مصر ومساعدته ليهوذا بقوله: "...فلما سمع الكلدانيون المحاصرون أورشليم بخبرهم صعودا عن أورشليم... ان جيش فرعون الخارج اليكم لمساعدتكم يرجع إلى أرضه في مصر، ويرجع الكلدانيون ويحاربون هذه المدينة ويحرقونها بالنار" (ار 37: 5: 9).

- (1) ار 21: 7، 24: 8-10.
 (2) لقد سمح الله بالسبي كوسيلة للتأديب أكثر منها للعقاب، لقوم قد ارتضوا ان يصيروا عبيدا للخطية والشیطان.
 (3) ذهب إلى بابل وتنبأ عن خرابها على يد الميديين ار 51: 59.

الامبراطوريات التي ذكرت في

الكتاب المقدس

الإمبراطورية المصرية

ينتمي المصريون الى مصر ايم ابن حام ابن نوح. وقد ورد اسم مصر في اقدم الوثائق التي وصلت الينا منها ما جاء في اسفار التوراة التي ترجع الى القرن الخامس عشر قبل الميلاد. فقد ورد الاسم بمشتقاته في مجمل اسفار العهد القديم حوالي 670 مرة كما ورد في العهد الجديد 28 مرة. وعرفت بذات الاسم عند العرب وشعوب الشرق، ثم عرفت بعد ذلك عند الغرب باسم ايجيبت فقد ذكرها الشاعر اليوناني هوميروس (القرن الثامن ق.م.) في ملحمة الاوديسا بذات الاسم ايجيبت Aegypt⁽¹⁾ أو ايجيبتى Aigyptiè وهي قريبة من قبطي.

وظلت هذه التسمية على اختلاف اشكالها مستعملة عند الغرب عموما الى يومنا هذا. ويعتقد ان هذه التسمية ترجع الى اسم مصري قديم اختلف العلماء فيه، فمنهم من قال بأنه يرجع الى آجي اي المحيط الازلي الذي اعتقدوا ان منه خرجت اولى الخلائق، او انه يرجع الى حت(كا بتاح) ومعناه بيت (روح بتاح) والذى اطلق على معبده في منف العاصمة القديمة... الخ. وهنا لابد ان نفرق بين اسم مصر الذي يرجع الى جدهم الاكبر مصر ايم والذي يشير الى الشعب المصري والى البلد معا، وبين التسميات الاخرى التي تشير الى البلد، وبخاصة ان التسمية الاولى(مصر) تعد اقدم من الثانية (ايجيبتى) بعدة قرون. فضلا عن انها عرفت بها عند شعوب الشرق القديم.

ورغم أن المصريين ينتمون إلى حام بن نوح، إلا أنهم استقبلوا جماعات من الشعوب السامية التي هاجرت إلى مصر عن طريق شبه جزيرة سيناء. وتدل الآثار⁽²⁾ التي

(1) THE ODYSSEY OF HOMER -Translated by- WILLIAM COWPER
LONDON

(2) شهدت مصر على أرضها منذ فجر التاريخ حضارة عريقة، لعلها سارت جنباً إلى جنب مع الحضارة السومرية في بلاد الرافدين. وإن كان لم يعرف على وجه الدقة أى الحضارتين بدأت أولاً. وربما رجحت كفة السومريين لقرب بلادهم من جبل أراط، المكان الذى استقرت فيه سفينة نوح، ومنه خرج بنوه ليعيدوا تعمير المسكونة. ويعتبر برج بابل الشهير حجر الأساس فى صرح الحضارة الإنسانية التى قامت من جديد بعد الطوفان. والتى اتسمت على اختلاف ازماتها وامكانها بين البناء والتشييد تارة، وبين

خلفوها لنا على أنهم عرفوا حياة الاستقرار منذ أكثر من سبعة آلاف سنة خلت. وقد كانوا يحفظون جثث موتاهم، إيماناً منهم ببعثها. لكن فكرة البعث عندهم لم تكن إيمانية خالصة؛ فكانوا يعتقدون بأن بعث البدن يتطلب سلامته كشرط لقيامته مرة ثانية، لذلك فقد أقبلوا على تحنيط الأجساد.

وجاء فى سفر التكوين أنه تم تحنيط جثمان كل من يعقوب ويوسف على عادة الفراعنة "وأمر يوسف عبده الأطباء أن يحنطوا أباه... وكمل له أربعون يوماً لأنه هكذا تكمل أيام المحنطين. وبكى عليه المصريون سبعين يوماً" (تك 2: 4-5) وهى عين المدة التى تستغرقها مراسم الجنازة لدى المصريين القدماء. أما البعث فى عرف الدين فإنه سوف يصيب جميع الأجساد محنطة كانت أم متحللة إلى ذرات ترابية، أى أن البعث يشبه الخلق الأول للإنسان.

وإيماناً بلا نهائية الحياة الأخرى بعد الموت، فقد اهتم الملوك والأمراء والأعيان ببناء قبورهم بالحجارة على هيئة مصاطب وأهرامات أو منقورة في الصخر. وقد وردت إشارة عابرة إلى الأهرامات في سفر ايوب الصديق: " حينئذ كنت نمت مستريحاً مع ملوك ومشيري الأرض الذين بنوا أهراماً أنفسهم" (اي 3 : 14). وأنفقوا على بنائها سنوات عمرهم، و ثروات بلادهم، وجهود شبانهم، وفى الوقت نفسه لم يهتموا كثيراً ببيوتهم الزمنية التى قلما يعثر المنقبون على أثر لها.

وينقسم التاريخ الفرعوني الذى يمتد حتى عام 332 ق.م - أكثر من ثلاثين قرناً- إلى احدى وثلاثين أسرة حاكمة. كما يمكن تقسيمه الى عصور هي: عصر ما قبل التاريخ (٢٩٠٠-٣٢٠٠ ق.م تقريباً). والعصر الثينى (3200-2700 ق.م) ويشمل الأسرتين الأولى والثانية. وعصر الدولة القديمة (2700-2200 ق.م). ويشمل الأسرات من الثالثة وحتى السادسة وهو ما يعرف بعصر بناء الأهرام^(١). ثم دخلت البلاد في حالة ضعف عرفت بعصر الإنتقال الأول (2200-2160 ق.م) ويشمل الأسرات من السابعة وحتى العاشرة. ثم عصر الدولة الوسطى (2163-1785 ق.م) ويشمل الأسرتين الحادية عشرة والثانية عشرة. وفيه جاء إبراهيم وعشيرته إلى مصر (تك 12: 10-20). ويعتقد علماء المصريات أنهم وفدوا إلى مصر فى زمن سنوسرت الثاني معتمدين على نقش وجد على جدران مقبرة

الحرب والتدمير تارة أخرى. والشئ الواضح أن آثار مصر قدر لها البقاء أكثر من غيرها؛ فضلاً عن أن ما شيده من أهرامات مازالت كيفية بنائها تحير العلماء والبسطاء حتى وقتنا هذا.

(1) شيد زوسر (الأسرة الثالثة) هرمه المدرج فى سقارة، وبنى سنفرى هرمين فى دهشور، وأما خوفو وخفرع ومنكاو رع (الأسرة الرابعة) فبنوا أهراماتهم على هضبة الجيزة. وشيد ملوك الأسرتين الخامسة والسادسة قبورهم الهرمية فى سقارة وأبى صير، وأبى رواش.....

المدعو (خنوم حتب)⁽¹⁾ أحد رجال سنوسرت، ويروى قصة مجئ عشيرة من الأجانب وعلى رأسهم شخص يدعى إيشاه. ثم انتابت البلاد حالة من الفوضى كالتى شهدتها من قبل فيما يعرف بعصر الاضمحلال الثانى، ويشمل الأسرات من الثالثة عشرة وحتى السابعة عشر، وفيه تعرضت البلاد لغزو الهكسوس (حقاو-خاسوت-الملوك الرعاة)، وفيه - او قبله - جاء بنو يعقوب إلى مصر.

وبعد طرد الهكسوس بدأ عصر جديد اتسم بالثراء والقوة والبناء والعمارة هو عصر الدولة الحديثة (1552-1069 ق.م) ويشمل الأسرات من الثامنة عشرة وحتى الأسرة العشرين. وفيه امتدت الإمبراطورية المصرية حتى الفرات شرقاً في زمن تحتمس الثالث. وفى هذا العصر خرج بنو إسرائيل من مصر بعد أن قضوا بها أربعمئة وثلاثين سنة. وفيه كان الشرق مقسماً بين ثلاث قوى كبرى هى بابل، وأشور، وعيلام (إيلام). كما كانت توجد دويلات أخرى ممثلة فى الحثيين، والأموريين، والهوريين، والفلسطينيين وغيرهم..

ومع انتهاء عصر رمسيس الثالث (الأسرة العشرون) انتهى تقريباً عصر الإمبراطورية المصرية وتقلصت سلطة الفراعنة عن البلدان الشرقية فى سوريا وفلسطين، ودخلت مصر الفرعونية فى طورها الأخير وهو ما يعرف بفترة الانتقال الثالثة. والتي تليها مباشرة فترة لا تكاد تختلف عنها سوى فى المسمى وهو العصر المتأخر (1069-332 ق.م). وتتضمن هاتان الفترتان الأسرات من الحادية والعشرين وحتى الحادية والثلاثين. وخلالها ظهرت أسر حاكمة عديدة فى الدلتا، ومصر الوسطى، والصعيد، ومن ملوكهم من كان جلوسه على العرش شرعياً، ومنهم من ادعى الملك ولذلك ساد الضعف، وعم الاضطراب وانتشرت الحروب الأهلية. ومن ثم تعرضت البلاد للغزو الكوشي والآشورى والبابلى والفارسى والمقدوني. وقد تنبأ الأنبياء عن وقوع مصر بين مخالف هذه الشعوب (ار 46 : 14، حز 29 ، 30).

ومما يزيد من أهمية تلك الفترة فى بحثنا هذا هو ذكر بعض اسماء فراعنة تلك الفترة فى الكتاب المقدس تارة بالتصريح واخرى بالتلميح. ففي خلال هذه الفترة كانت هناك علاقات بين ملوك مصر والعبرانيين، وقد تأرجحت هذه العلاقات بين الود تارة - كما فى عهد سليمان، وحزقيا - وبين العداء تارة أخرى - كما فى عهد رحبعام ويوشيا - ولعل سبب ذلك يكمن فى تعدد العروش الحاكمة فى مصر واختلاف سياسة الملوك تجاه الدويلات المجاورة. بالإضافة إلى انقسام العبرانيين بعد موت سليمان، وظهور مملكتى إسرائيل ويهوذا.

(1) د. سليم حسن - مصر القديمة ج 3 ص 269.

وفي عهد الأسرة الحادية والعشرين (1080-950 ق.م) التي تأسست في تانيس على يد سمنس نرى مملكة العبرانيين وقد بلغت أوج عظمتها على يد داود وسليمان، مما دفع بفرعون مصر – ربما بسوسينس- أن يزوج ابنته لسليمان⁽¹⁾. وأن يعطيه مدينة (جازر) مهرا لابنته.

واشتهر شيشق⁽²⁾ (شاشنق) في الكتاب المقدس (1 أخ 12) وهو من ملوك الأسرة الثانية والعشرين الليبية المتمصرة (950-730 ق.م). وقد نقش شاشنق على المدخل المعروف بإسمه في الكرنك أخبار غزوته التي قام بها على فلسطين وهو على رأس ألف ومئتي مركبة وستين ألف فارس. وذكر اسماء المدن التي احتلها من مدن يهوذا الحصينة.

ورغبة في التخلص من النير الآشوري لجأ هوشع ابن أيله إلى فرعون مصر تف- ناخت TEF NAKHT (الأسرة الرابعة والعشرون 745-730 ق.م).⁽³⁾ التي تأسست في صا الحجر. ولكن هذا الحليف لم تكن له القدرة لتقديم يد المساعدة إلى ملك إسرائيل. وكل ما كان في يده أن حرّض زعماء المدن الفلسطينية ضد آشور ليتجنب شرها. ولكن لما علم ملك آشور شلمنصر الخامس فإنه قبض على ملك إسرائيل. وكانت مملكته قد دخلت في طور الزوال. ويذكر سفر الملوك الثاني تلك الحادثة بقوله "ووجد ملك آشور في هوشع خيانة لأنه أرسل إلى سوا ملك مصر ولم يؤد جزية إلى ملك آشور حسب كل سنة فقبض عليه ملك آشور وأوثقه في السجن.." (2مل17: 3).

وحاول ملوك الأسرة الخامسة والعشرين⁽⁴⁾ التصدي لآشور وعلى الرغم مما كان بين شباكو وسرجون الثاني من مودة وصداقة⁽⁵⁾ إلا أنه بعد موتهما عاد العداء يدب من جديد بين مصر بقيادة شبتكو، وآشور بزعامة سنحريب. واستغلت مملكة يهوذا - بزعامه حزقيا- الموقف وطلبت يد المساعدة من مصر التي رحبت بذلك، وصعد على الفور طهارة⁽⁶⁾ على رأس جيش من قبل أخيه شبتكو وتوجه إلى يهوذا لنجدها، وحدثت معجزة النصر وتقهقر

(1) إن زواج سليمان من ابنة فرعون مصر تؤيده حالة الضعف التي كان عليها ملوك مصر الأمر الذي بلغ بهم حد السماح للأميرات المصريات بالزواج من الملوك الأجانب وهو ما كان يحرمه البروتوكول المصري في عهد الامبراطورية. وتشير رسائل العمارنة الى رفض امحتب الثالث أن يعطي ملك بابل (كادشمان إنليل الأول) إحدى الأميرات زوجة له رغم حدوث العكس.

(2) في سنة 1939 عثر على قبره في تانيس وما تزال محتويات المقبرة الذهبية والفضية تعرض في قاعة تانيس بالمتحف المصري بالقاهرة.

(3) تكونت هذه الأسرة من ملكين فقط هما تف-نخت، وباك-إن-رنف (بوخرس).

(4) أسسها بعنخي النبي، وخلفه شباكو، وشبتكو، وطهرقا على التوالي.

(5) د. أحمد فخري – مصر الفرعونية ص434.

(6) تراهقة بحسب ما جاء في سفر الملوك الثاني (19: 9) وهو قريب من النطق المصري.

سنحريب إلى نينوى مخذولاً بعد أن فقد معظم جيشه بغير قتال حسبما روى هيرودوت تأكيداً لما جاء في سفر أخبار الأيام الثاني (18 و 19).

ثم تعرضت مصر في عهد طهرقا للاحتلال الآشوري على أسرحدون وأشور بانيبال وفر طهرقا للمرة الثانية إلى نبتا حيث مات هناك، فخلفه تانوت أمانى (تندمانو بحسب السجلات الآشورية) الذى استطاع أن يستعيد نفوذه إلى حين عودة أشور بانيبال الذى ذكر فى سجلاته: "سمع تندمانو⁽¹⁾ عن نجاح حملتى وأنى عبرت حدود مصر، فهجر منف وهرب إلى طيبة لينجو بحياته، وتتبع تندمانو فذهب إلى طيبة المدينة القوية، وهجر هو طيبة وهرب إلى كب كب (كوش-السودان) واستولى جيشى على طيبة كلها بما فيها من فضة وذهب وأحجار كريمة وأثاث القصر... ومسلتين عاليتين تعطيهما النقوش الجميلة كانتا موضوعتين أمام بوابة المعبد فنزعتهما وجنت بهما إلى أشور"⁽²⁾. وعند خراب نينوى⁽³⁾ قال ناحوم النبى مستشهداً بما حل بها: "هل أنت - يقصد نينوى عاصمة الآشوريين- أفضل من نو (طيبة) الآلهة بالسكان الجالسة بين الأنهار" كما أشار النبى إلى خضوع مصر للحكم الكوشى بقوله "كوش قوتها مع مصر وليست نهاية..". (نا 3: 8)

ثم تم تحرير مصر من الاحتلال الآشورى على يد بسماتيك الأول مفتتح الأسرة السادسة والعشرين (663-525 ق.م)، الذى استعان بصديقه جيجيس ملك ليديا. وقد ساعده فى ذلك إنشغال أشور بحروبها ضد مملكتى بابل ومادى الناشئتين.

وبعد موت بسماتيك الأول خلفه نكاو(نخو) الذى انضم إلى أشور ضد بابل، وأعد جيشاً اتجه به شرقاً فتصدى له يوشيا ملك يهوذا وحليف بابل، وأسفر اللقاء عن هزيمة جيش يوشيا الذى لقي مصرعه عند مجدو⁽⁴⁾، ثم واصل نخو طريقه لمساعدة أشور أوبالليت الثانى

(1) بينما تذكر مرجريت مري (تانت امانى) على انه فرعون الذى هزمه اشور بانيبال، نرى ان غيرها ينسبه الى ترهاقة فلعل تلك ترجمة لنصين مختلفين او ان الملك الآشوري يذكر قصة انتصاره على ملكي مصر كليهما في وثيقة واحدة.

(2) مرجريت مري - مصر ومجدها الغابر ص 122-123.

(3) اول من بنى المدينة هو اشور ابن سام (تق 10 : 11) الذى ربما الهه اخلافه بعد ذلك. وقد عثر على اطلالها بالقرب من الموصل. وفي عام 1820 قام C.J. Rich بعمل رسم تخطيطي للمدينة، ثم توالى اعمال الحفر بالمنطقة من قبل المتحف البريطانى قام بها على التوالي كل من Layvard (من 1846 الى 1851) و H.Rassan (1852) و G.Smith (1873) و R.C.Thompson (من 1905 الى 1927). كما ارسلت جامعة كاليفورنيا بعثة (1987-1990) برئاسة D. Stonakh للبحث والتنقيب. وكان من اعظم الاشياء التي عثر عليها مكتبة اشور بانيبال التي امدتنا بكثير من المعلومات التي توافق ما جاء في العهد القديم.

(4) تل المتسلم الواقعة على مسافة 20 ميلا جنوب شرق حيفا الساحلية. وقد اسفرت اعمال الحفر التي قامت بها بعثة جامعة شيكاغو برئاسة جيمس بريستد (1925-1939) عن ان المدينة تعرضت للتدمير

ASSUR-UBALLIT II ضد بابل التي كان لها النصر. وفي طريق عودته مال على يهوذا فوجد يهوآحاز على عرشها فقبض عليه وعين بدلاً منه أخيه الأكبر ألياقيم وجعل اسمه يهوياقيم فأعلن ولاءه لمصر وقدم لها الجزية⁽¹⁾ ثم عاد نحو إلى مصر تاركاً حامية في سوريا. وبعد أربع سنوات كان قد مات خلالها نبوبلاسر ملك بابل وخلفه نبوخذ نصر الذي هزم الحامية المصرية المراقبة عند كركميش. وقد تنبأ أرميا النبي عن هزيمة جيش فرعون بقوله:

"كلمة الرب التي صارت إلى أرميا النبي عن الأمم عن مصر عن جيش فرعون نحو (نكاو) ملك مصر الذي كان على نهر الفرات في كركميش الذي ضربه نبوخذ راصر ملك بابل في السنة الرابعة ليهوياقيم ابن يوشيا ملك يهوذا (إر2، 46؛ مل23: 24).

وبعد موت نحو خلفه بسماتيك، ثم حع-إب-رع (إبريس) وفي عهده دهم البابليون أورشليم بقيادة نبوخذ نصر. وسبوا جل سكانها إلى بابل (مل2: 25). وفر قسم آخر إلى مصر حيث استقبلهم (حفرع).

وفي عام 1886م عثر عالم الآثار فلاندرز بترى في تحفحيس (تل دفنة) بمصر السفلى على أطلال قصر (قصر بنت اليهودي) كان حفرع ملك مصر قد أنزل فيه بنات صديقا ملك يهوذا الذي أسره نبوخذ نصر إلى بابل، وأرميا النبي وغيرهم ممن هاجروا إلى مصر عقب التدمير والسبي للذان حلا بمملكة يهوذا وبعاصمتها أورشليم. وكان هذا القصر قد بناه بسماتيك الأول. وعثر فيه بترى على خاتم من نحاس أصفر يحمل اسم أمازيس (أحمس الثاني) خليفة فرعون حفرع. وهو الذي حرض صديقا ملك يهوذا على العصيان على ملك بابل فجلب الدمار على بلاده. وأثار أخرى تحمل اسمي نحو، وفرعون حفرع الذي ورد اسمه في نبوة أرميا (44: 3) كما عثر على رصيف من اللبن كان يستخدم لتحميل وتنزيل حمولات أو لنصب خيام⁽²⁾. وفي ساحة خارج هذا القصر (30 × 18م) مرصوفة بالأجر عثر بترى تحت الأجر على حجارة غير مهندمة تذكرنا بقول إرميا النبي:

"خذ بيدك حجارة كبيرة وأطمرها في الملاط في الملبن الذي عند باب بيت فرعون في تحفحيس أمام رجال يهوذا. وقل لهم، هكذا قال رب الجنود... هاأنذا أرسل وأخذ نبوخذ

في القرن الثاني عشر ق.م. الذي حدث في عهد يشوع. وظلت المدينة مهجورة حتى أعاد الملك سليمان بناءها ثم أولاه اخاب عنايته فأقام بها المنشآت الادارية. ولكنها لم تعمر بعد ذلك أكثر من قرن ونصف اذ تعرضت للغزو الآشوري واستبدل الآشوريون أهلها بسكان جدد.

(1) مل23: 33، 34، 20: 23-25.

(2) جيمس بيكي - الآثار المصرية في وادي النيل ص43.

نصر ملك بابل عبيد، وأضع كرسيه فوق هذه الحجارة التي طمرتها فيبسط ديباجة عليها ويأتى ويضرب أرض مصر... ويكسر أنصاب بيت شمس التي فى أرض مصر" (إر43: 8). ويبدو أن ذلك قد تحقق فى عهد أحمس الثانى الذى اعتلى حكم البلاد خلفاً لـ حـع -إب- ر.ع.

ثم تعرضت البلاد للاحتلال الفارسي على يد قمبيز ابن كورش، فى عهد بسماتيك الذى خلف أماريس سنة 525 ق.م ووصل جيشه حتى طيبة. وبعد موته سار دارا (داريوس) على نهج قمبيز جاعلاً من ملوك الأسرة السابعة والعشرين (525-415 ق.م) مجرد ولاء تابعين للفرس. وأمر دارا بإعادة حفر القناة التي كانت تربط النيل بخليج السويس وقد أقام على طول القناة شواهد تذكارية من الجرانيت كتب عليها: "أمرت بحفر القناة من مجرى الماء الذي يوجد في مصر... حتى البحر الذي يمتد من بلاد الفرس ثم حفرت هذه القناة كما أردت وابتحرت السفن من مصر الى بلاد فارس عن طريق هذه القناة وذلك وفقاً لمشيتي"⁽¹⁾

وعندما لقي اسطول الفرس الهزيمة على يد الإغريق عند سهل مارثون (سنة 490 ق.م) فإن المصريين قاموا بثورة ضدهم مما جعل كسر كسيس XERXES (أخشويروس) خليفة دارا يقوم بحملة ضد مصر حيث نشر الإرهاب بين أهلها. وسار ARTAXERXES ارتحششتا الأول على نهج سابقه، وفشل دارا الثانى فى مواجهة ثورة المصريين. وعندما جلس آمون-حر⁽²⁾ على عرش البلاد فى فى صا الحجر SAIS. بعث يدنياه بن جماريا زعيم الجالية اليهودية التى كانت تقيم فى إلفنتين (أسوان) إلى داريوس يطلب منه السماح لليهود بإعادة بناء معبدهم الذى هدمه المصريون⁽³⁾ الثانرون لأنه من الواضح أن اليهود كانوا يؤيدون وجود الفرس فى مصر، فقد كانوا بمثابة عملاء أو جنود مأجورين للفرس رداً على حسن معاملة قورش وخلفائه لليهود حسبما جاء فى سفرى عزرا ونحميا. وفضلاً عن ذلك فقد تجاهلوا تقاليد المصريين الدينية، "فتجروا على تقديم الأضاحي من الكباش في معبدهم عوضاً عن الجداء وكان الكيش رمزاً مقدساً للمعبود خنوم في اسوان وهكذا استمر السخط يتفاقم ضدهم حتى افضى الى تدمير معبدهم في حوالي عام 410 ق.م. خلال العام الرابع عشر من حكم الملك الفارسي دارا الثانى"⁽⁴⁾ "أو على حد تعبير احدى الوثائق الارامية لم يتركوا مراكزهم ولم توجه اليهم تهمة التمرد"⁽⁵⁾

(1) جيمس هنري برستيد، تاريخ الشرق القديم ص 275. ترجمة د. احمد فخري، القاهرة 1969.

(2) من ملوك الأسرة الثامنة والعشرين 398-404 ق.م.

(3) د. احمد فخري - مصر الفرعونية ص 462-463.

(4) د. عبد العزيز صالح - الشرق الأدنى القديم ص 321.

(5) د. عبد العزيز صالح - الشرق الأدنى القديم ص 321.

ومما زاد من سخط المصريين على اليهود في الفئتين انهم دأبوا على تقديم الخروف في معبدهم كذبيحة محرقة حسبما جاء في سفر اللاويين. وكذلك كذبيحة سلامة، وكذبيحة خطية⁽¹⁾ بينما كان الخروف مقدسا عند المصريين فهو يمثل الاله خنوم اله الخلق عندهم والذي يصورونه عادة في شكل كبش او على هيئة ادمية براس كبش. واحيانا كانوا يصورون امون بتلك الصورة عينها.

وهذا الفعل اثار حفيظة المصريين وبخاصة كهنة خنوم الذين تمكنوا من استصدار امر من فيرابخا النائب الفارسي في اسوان بهدم المعبد مقابل تقاضيه مبلغ من المال على حسب ما ادعى اليهود في شكاوهم التي رفعوها الى الحاكم العام في مصر. ولم يكل اليهود عن المطالبة ببناء المعبد الذي تهدم حتى أذن لهم ارتحششتا (ارتكسر كسيس) الثاني الذي تولى الامر بعد دارا ولكنهم لم يهنأوا به كثيرا فقد استطاع امون-حر ان يحرر البلاد المصرية من الاحتلال الفارسي وقد تبع ذلك تبدد اليهود الموالين لهم. وظل الحال هكذا حتى جاء الاسكندر ومن بعده البطالمة فأفردوا حيا من احياء الاسكندرية الخمسة لليهود وللسوريين عامة. وهؤلاء هم الذين جاءهم القديس مرقس مبشرا فيما بعد والى احد وجهاء المدينة كتب القديس لوقا بشارته وسفر اعمال الرسل.

وفى اواخر عهد الأسرة الثلاثين التى أسسها نخت- نيف الأول حاول ارتاكسر كسيس (ارتحششتا الثالث) (OCHOS) دخول مصر سنة 351 ق.م. وتمكن من دخولها فى عام 348 ق.م حيث وصل إلى منف، وفى الحملة الثالثة احتل القطر كله، وهذه هى المرة الثانية التى وقعت فيها مصر فى قبضة الفرس. وقد مكثوا بها حتى تم طردهم على يد جيوش الاسكندر المقدونى سنة 332 ق.م.

وبموت الاسكندر وقعت مصر من نصيب بطليموس الأول سوتير ليبدأ العصر البطلمى الذى استمر ثلاثة قرون وانتهى بدخول الرومان مصر عام 31 ق.م لتبدأ حقبة جديدة فى تاريخها هو العصر الرومانى. وفيه جاء السيد المسيح، وانتشرت المسيحية فى أرجاء المسكونة. ووقع غضب الله على اليهود وتشتتوا فى أرجاء العالم لأنهم توجوا أعمالهم بالتآمر على السيد المسيح. أما هو فقط بسط ذراعيه داعياً داعياً للناس من أرجاء المسكونة كلها.

(1) لا 1: 10، 2: 3، 6: 4، 32.

الامبراطورية الآشورية

سكن الآشوريون الذين ينتمون الى سام (تك 10 : 22) المنطقة الواقعة إلى الشمال من موطن الكلدانيين حتى جبال الأكراد. يحدها نهر دجلة في الشرق وتشرف على الصحراء في الغرب والجنوب وهي منطقة جبلية مرتفعة استمد منها الآشوريون الاحجار لأعمال البناء بعكس البابليين الذين اعتمدوا على اللبن والأجر⁽¹⁾.

ومن أهم مدنها آشور⁽²⁾ (قلعة شرغات)، وأربلا (إربل)، والكلخ، ونيوى⁽³⁾ التي جاء ذكرها ايضا في سفر التكوين " من تلك الارض خرج آشور وبني نينوى ورحوبوت غير وكالح" (تك 10: 11).

وكانت مياه دجلة تروى أرض الآشوريين الذين كانوا فى عراق مستمر مع الحثيين. كما تعرضوا لغزو الكلدانيين فى عهد سرجون الأول. ولغزو مملكة ميتاني الواقعة فى شمال غربى بلادهم، فى عهد توشراتا Tushratta زعيمهم. ومثل أية أمة وثبت آشور من ضعفها وقهرت الحثيين بمساعدة بابل ومصر، ثم غزت بابل نفسها فى عهد تغلت فلاسر الأول حوالي عام 1120 ق.م. والذي ذكر فى سجلاته أنه فتح بلاد أمورو. وأنه استولى على بلاد الحثيين. وأنه أخضع جبيل، وأرواد Arvad، وصيدا، وغيرها من المدن الفينيقية⁽⁴⁾. كما توسع الآشوريون غربا الى ما وراء الفرات ورافده الخابور.

وبعد فترة دخلت آشور فى مرحلة من الضعف مهدت للآراميين أن يستولوا على ممتلكاتها عبر الفرات. وهي المرحلة التي تواكب الفترة من عصر موسى وحتى انقسام مملكة اسرائيل فلم نعد نسمع عنهم خبراً في الكتاب المقدس باستثناء ما ورد في (2صم 2: 9) وهو ما يشير الى تواجدهم بشكل غير مؤثر.

ثم بدأت تقوم لهم قائمة في عهد آشور ناصر بال الذي قام باسترجاع ما فقد من اسلافه. وأعاد بناء كالح. واجبر الحثيين والفينيقيين على الخضوع وتقديم الجزية له. واستطاع خليفته شلمنصر أن يرفع من شأن آشور على حساب قهره للأمم. وهو اول ملك

(1) جيمس هنري برستد - تاريخ الشرق القديم، ترجمة د. احمد فخري، ص 193.

(2) ورد اسم آشور لأول مرة فى سفر التكوين (10-11) ثم فى سفر أخبار الأيام الأول باعتباره أحد أبناء حام؛ وربما آلهة القوم وخلعوا اسمه على مدينتهم، وقد كانت عادة تألية الأسلاف شائعة لدى الأمم القديمة.

(3) إسمها مشتق من إسم الإله (نينيا).

(4) James B. Paritchard, Ancient near eastern texts, 3 edition, p.275. & Le Proche orient asiatique p.52.

يدخل في صراع مع اسرائيل حيث هزم الحلف السوري الاسرائيلي الذي تزعمه بنهدد وأخاب⁽¹⁾

وفي عصر امبراطوريتها امتدت اشور الى شواطئ البحر المتوسط غربا والى بحر قزوين شرقا والخليج الفارسي جنوبا. كما ضمت مصر الى حوزتها علي يد اسرحدون وكان ذلك في عهد طهارة فرعون مصر. ومما ساعدهم في تحقيق ذلك استخدامهم للخيل والمركبات في جيوشهم. ويبالغ برستد في وصف الآشوريين بانهم "اعظم قوة حربية رأها العالم القديم"⁽²⁾

وقد اشتهر في الكتاب المقدس من الملوك الآشوريين تغلت فلاسر الثالث (فول) (2مل 15 : 19). وشلمناصر الخامس (2مل 17: 3) وسرجون الثاني (اش 2: 20) وسنحاريب (2مل 18 : 13) واسرحدون (2مل 19: 37) واشوربانيبال كما سنراهم تباعا.



(1) 2مل 19، 20، 22، 2مل 8.9.
(2) جيمس هنري بريستد - تاريخ الشرق القديم، ص 200.

اشور ناصر بال الثاني

على الرغم من ان هذا الملك لم يرد له ذكر صراحة في اخبار الملوك الا انه ذكر في اخباره انه تلقى الجزية من ملوك دمشق والسامرة وصور. كما انه استولى على مجموعة من المدن المعروفة في الكتاب المقدس.

يقول اشور ناصر بال في حولياته:

"غادرت بلاد بيت عديني، وعبرت الفرات في ذروة فيضانه على قوارب مصنوعة من الجلود الى كركميش حيث تلقيت جزية من ملك الحثيين. ملوك البلاد المجاورة جميعا اتوا الي فأمسكوا قدمي ..."⁽¹⁾ وهنا يذكر بيت عديني، وهي بيت عدن الواردة في سفر عاموس (عا 3: 5). وكركميش التي وردت في سفر النبي اشعيا ورميا⁽²⁾. ويواصل الحديث عن فتوحاته قائلا:

"غادرت كركميش.. وتقدمت نحو مدينة حزازو⁽³⁾ Hazazu... ثم عبرت الجبل لقضاء الليل عند نهر سنجارا Sangara.."

ثم يستطرد مفتخرا باعماله الدموية التي قام بها بقوله:

" وخلال اقامتي في اريبو فتحت مدن لوحاتي الاخرى، وهزمت اهلها، وهدمت اسوارها واحرقتها بالنار. اما الناجون فقد رفعتهم على خوازيق امام مدنهم. بعدها اخذت كل جبل لبنان. ووصلت الى بحر امورو العظيم حيث غسلت اسلحتي في المياه العميقة. وقدمت ذبائح الى الآلهة. هناك جاءتني الجزية من ساحل البحر، من سكان صور وصيدون وجبيل.. وأمورو وأرواد التي في البحر".

(1) James B. Paritchard, Ancient near eastern texts, 3 edition, p. 275

(2) اش 9:10، ار 2:46.

(3) اعزاز حاليا على سفوح جبل سمعان. فراس السواح - الحدث التوراتي والشرق الادنى القديم ص 85.

شلمناصر الثالث

حكم نحو 35 عاماً قاد خلالها 32 حملة⁽¹⁾ على كل من صور، وصيدا، وأورارتو، وناييري، وحماء، وبابل، وقرقيش. وفي عام 853 ق.م – حسبما دلت الآثار⁽²⁾ - اصطدم في قرقر – تل قرقورة حالياً - بتحالف الدول السورية والفلسطينية وعددهم اثني عشر ملكاً، وكان أخاب ملك إسرائيل من زعماء الحلف⁽³⁾، إلى جانب زعماء المدن الفينيقية. ويبدو أن الحلفاء تمكنوا من إيقاف الزحف الآشوري إلى حين. وأما ما ذكره شلمناصر في حولياته فيدل على أنه استطاع أن يحطم قوة الحلفاء من خلال عدة حملات قام بها تباعاً ضد بلاد سورية وفلسطين. وإن كان قد ذكر بأنه انتصر عليهم في معركة فاصلة:

"...غادرت ضفاف الفرات، ودنوت من حلب Hal-man فخافوا – أي اهلها – من الدخول في معركة وسجدوا عند قدمي، تلقيت منهم الجزية فضة وذهباً، وقدمت الاضاحي لهدد. ثم غادرت حلب، ودنوت من مدينتين تابعتين لارحوليني Irehuleni ملك حماة Hamath. استوليت على عدينو Adinnu وارجانا Argana مقر ملكه فاخذت منهما الغنائم. واخذت ممتلكاته الخاصة، واشعلت النار في قصره.

غادرت ارجانا ودنوت من قرقر karkara فدمرتها واشعلت فيها النار وفي مقر الحكم بها، كان ملكها قد استعان على بهدد عذر Adad-Idri ملك دمشق على رأس ألف ومائتي مركبة حربية وألف ومائتي فارس والفين من المشاة. ومن إرحوليني ملك حماة hamath سبعمائة وخمسين عربية وسبعمائة فارس وعشرة الاف من المشاة، ومن أخاب Aha-ab-bu الاسرائيلي Sir-i-la-a-a عشرين ألف عربية وعشرة الاف من المشاة... اثني عشر ملكاً خرجوا للقائي في معركة حاسمة، هزمتهم بقوة آشور الهي. وبفضل الاسلحة القوية التي قدمها لي نرجال Nergal قائدي، انزلت بهم الهزيمة النكراء بين مدينتي

(1) بلاد ما بين النهرين وكذلك

.Le Proche orient asiatique p.83-87

(2) وهذا التاريخ يوافق ماء جاء في الكتاب المقدس. فاذا جمعنا سنوات حكم الملوك السابقين (يربعام 22 سنة و ناداب سنتان و وبعشا 24 سنة و وائلة سنتان و زمري 7 ايام وعمرى 12 سنة) لكان عددها 62 سنة، وبطرح هذه السنوات من عام 925 وهو العام المقرر لموت سليمان فانتا نحصل على نفس العام الذي حدده علماء الآثار وهو 853 ق.م.

(3) ذكر اسماء الحلفاء ومنهم بشيئ من التحريف في النطق مثل خالمان (حلب) وأماه (حماه) ودمشقي (دمشق) وخاوراني (حوران) وأرائنو (الاورنت – العاصي) ومن الاشخاص ذكر خمري (عمرى) واخابو (أخاب) وأريبو – عريبو (العرب). – مصر القديمة ص 517.

قرقرة وجلزو Gilzu. ذبحت بسيفي اربعة عشر الفا من جنودهم....واخذت منهم عرباتهم وخيلهم وهي تحت النير....⁽¹⁾

وقد عثر السير لايرد في خرائب القصر الصيفي بمدينة إمجور إبليل الأشورية على مسلة⁽²⁾ من رخام إسود يبلغ ارتفاعها نحو سبعة أقدام. القسم السفلى منها منقوش بكاتابات تتحدث عن حروب شلمناصر وانتصاراته، يقول فيها:

" في السنة الثامنة عشر لملكي عبرت الفرات للمرة السادسة عشر. وكان حزائيل ملك سوريا إعتد على قوة جيشه. وألب جنوده جمعاً غفيراً، وتحصن في ساتر. وفي قمة الجبل المقابل للبنان، فحاربه وكسرتة كسراً تاماً... وفر هو لينجوا من البوار. فاتبعته إلى دمشق حاضرة ملكه. وحاصرتها وقطعت أشجارها... ودمرت مدناً تربو عن العدد وأحرقتها. وأخذت منها أسرى. وفي هذه الأيام أخذت الجزية من صور، وصيدا، ومن ياهو ابن عمري"⁽³⁾.

كما نقش على المسلة منظر يصور ياهو - أو مندوب عنه - راكعاً عند قدمي شلمناصر، وخلفه الإسرائيليون يحملون الجزية على أكتافهم. وقد كتب تحت هذا النقش ما نصه : "جزية ياهو بن عمري، فضة، وذهب، وسبائك ذهب، وأنية ذهبية وأثاث ملكي، وصولجان ليد الملك، وعصا من ذهب".

وقد نقش على أحد جوانب المسلة إسم عاصمة إسرائيل "بيت عمري - آخاب يزرعيل". ويؤكد هذا الأثر الهام ما جاء بالكتاب المقدس في عدة أمور:

1- إن شلمناصر الملك الآشوري ورد ذكره في أخبار الملوك الثاني.

ذكرت المسلة اسماً بنهدد وحزائيل ملكي آرام وهو ما جاء في سفر الملوك الثاني⁽⁴⁾. وكذلك في سفر أخبار الأيام الثاني (2: 16).

2- ورد ذكر ياهو بن عمري باعتباره ملكاً لإسرائيل وبالفعل قد اشتهر في أسفار الملوك وأخبار الأيام.

(1) James Pritchard – the Ancient Near East p.278-279.

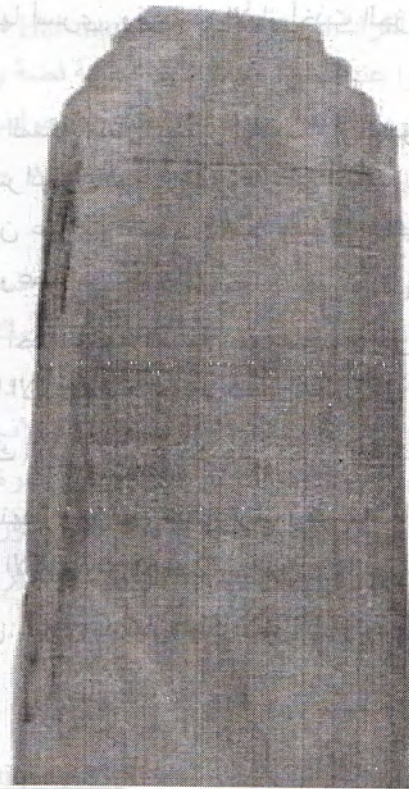
(2) عثر عليها في نمرود (كلح)، وترتفع لنحو مترين، ويعتقد انها كانت تحمل تمثال صاحبها على رأسها المدرج. وهي محفوظة الآن بالمتحف البريطاني، ويوجد لها نموذج في متحف اللوفر.

(3) الاسقف ايسيدوروس - المطالب النظرية في المواضيع الالهية ص 514. و فيليب حتي- تاريخ سوريا ولبنان وفلسطين ص 151. و فراس السواح - الحدث التوراتي والشرق الأدنى القديم ص 93.

(4) 8: 7، 12: 17.

3- ذكر شلمناصر أنه تسلم الجزية من ياهو الأمر الذي لم يرد صراحة في الكتاب المقدس؛ فربما أدرج اسم ياهو على سبيل التباهي، وربما تم توقيع جزية بالفعل ولكنها لم ترد في أخبار ياهو. وقد قال هوشع النبي: "وهو أيضاً يجلب إلى أشور هدية لملك عدو..." (هو: 10: 6؛ 13: 1)

4- نسبت المسلة عاصمة الملك إلى عمرى "بيت عمرى" لأن عمرى كان قد اشترى جبل السامرة من شخص يدعى شامر واتخذته مقراً لحكمه⁽¹⁾ ذكر شلمناصر أن آخاب كان حليفاً لبنيهدد وهو ما حدث بالفعل فبعد أن انتصر آخاب على بنيهدد فإنه عاد وتحالف معه ضد أشور (1مل 20: 34).



مسلة شلمناصر⁽²⁾

(1) 1مل 16: 23، 24.

تغلت فلاسر الثالث

تلاشت الإمبراطورية الآشورية التي بناها كل من آشور ناصر بال، وشلمناصر الثالث. وبعد نحو قرن من الزمان أعاد تغلت فلاسر الثالث بناءها. وقد عاصر تغلت السنوات الأخيرة لعزريا ملك يهوذا. وذكر في حولياته انه تلقى منه الجزية⁽¹⁾ كما خضع له كل من رصين ملك ارام دمشق ومنحيم ملك اسرائيل – وغيرهما – اللذان أديا له الجزية حسبما ذكر في حولياته تأكيدا على ما ورد في اخبار الملوك الثاني(19:15)، يقول تغلت:

" تلقيت الجزية من كوشتاشبي Kushtashpi... ومن رصين Ra-hi-a-nu ملك دمشق، ومن منحيم Me-ni-hi-im-me ملك السامرة Sa-Me-ri-na-a-a، ومن حيرام Hi-ru-um-mu ملك صور، ومن سيبيتي بعلي Sibitti bi'l ملك بيبيلوس....."⁽²⁾

وقال ايضا:

" اما منحيم فقد هبط عليه كما العاصفة الثلجية ففر وحيدا ثم عاد فانحنى عند قدمي..اعدته الى مكانه وفرضت عليه جزية..وسقت الكثيرين من بيت عمري وممتلكاتهم الى اشور. ثم انقلبوا بعد ذلك على ملكهم ففتح PA-QA-HA فأحلت بدلا عنه هوشع AU-SI ملكا عليهم وتلقيت منه جزية..⁽³⁾ وهذا يوافق تماما ما جاء في سفر الملوك الثاني.

وعاش تغلت فلاسر طيلة حكم يوثام، كما امتد به العمر حتى ايام آحاز بن يوثام من ملوك يهوذا ليكون عصا تأديب لمملكتي يهوذا واسرائيل العاصيتين. وتفصيل ذلك ان آحاز(يهواحاز) ملك يهوذا لم يسر وفق شريعة الرب وناموسه "ولم يعمل المستقيم في عيني الرب الهه... بل سار في طريق ملوك اسرائيل حتى انه عبر ابنه في النار حسب ارجاس الامم... وذبح واوقد على المرتفعات وعلى التلال وتحت كل شجرة خضراء" (2مل 16: 2). فكانت النتيجة ان تخلى الرب عنه وتركه، فتحالف ضده ففتح ابن رمليا ملك اسرائيل ورصين ملك ارام دمشق وحاصراه، ولكنه بدلا من ان يلجأ الى الله حتى ينجيه ورعيته من ماثم الحرب فقد اثر آحاز الاعتماد على الأذرع البشرية واستنجد بتغلت فلاسر ملك اشور كما جاء في سفر اخبار الأيام الثاني: "وارسل آحاز رسلا الى تغلت

(1) James Pritchard – the Ancient Near East p.283 &

فراس السواح - الحدث التوراتي والشرق الأدنى القديم ص 104.

(3) فراس السواح - مرجع سابق ص 106 & سفر الملوك الثاني 15 : 29 &

James Pritchard – the Ancient Near East p.282-283.

فلاسر ملك اشور قائلا انا عبدك وابنك اصعد وخلصني من يد ملك ارام ومن يد ملك اسرائيل القائمين علي، فاخذ احاز الفضة والذهب الموجودة في بيت الرب وفي خزائن بيت الملك وارسلها الى ملك اشور هدية "(2مل 16: 7). وقبل ملك اشور العرض الذي جاء موافقا لاطماعه التوسعية وحاصر دمشق وانتهت الحرب بمصرع رصين وبخضوع احاز⁽¹⁾ لملك اشور الذي ذكر في سجلاته تأكيدا على ما جاء في سفر الملوك:

"تلقيت الجزية من سانيبو Sanipo ملك بيت عمون، ومن سلامانو Salamanu ملك مؤاب، ومن ميتينتي Mitinti ملك اشقلون، يهواحازي Ia-u-ha-zi ملك يهوذا Ia-u-da-aa، ومن كوش ملاكو Kaushmalaku ملك ادوم U-du-mu-aa"⁽²⁾

وبعد موت منحيم تعاقب على عرش مملكة اسرائيل، فقحيا⁽³⁾ ابنة، ثم قتله فقح ابن رمليا وملك عوضا عنه عشرين سنة (2مل 15: 27). وهو الذي تحالف مع رصين ملك ارام ضد احاز ملك يهوذا، فجاء تغلت فلاسر وأخذ عيون، وأبل بيت معكة، ويانوح، وقادش، وحاصور، وجلعاد، والجليل، وكل أرض نفتالي، وسباهم إلى آشور (2مل 15: 30). وجاءت اخباره مطابقة لما ورد في اخبار الملوك على النحو التالي:

" اخذت ارض عمري Bit-Humria (مملكة اسرائيل)...وسقت كل سكانها وممتلكاتهم الى اشور. وعندما قتلوا فقح Pa-qa-ha ملكهم فاني وضعت مكانه هوشع A-u-si ' كملك عليهم. تلقيت منهم جزية عشر وزنات ذهب ومائة وزنة فضة احضرتها الى اشور"⁽⁴⁾ وكان من عادته أن ينفي سكان البلاد التي يغزوها، ويأتي بآخرين ليحلوا محلهم⁽⁵⁾. وبالفعل كان هوشع ابن ايلة قد دبر مقتل فقح ونال الحظوة لدى تغلت فلاسر بان اصبح ملكا. ثم عاد وتمرد على الحكم الاشوري فلقى حتفة وخربت مملكته على يد شلمنصر الخامس (2مل 16، 17).

(1) ورد اسم احاز في آثار آشور "يهو حازي يهوداي" أي يهواحاز ملك يهوذا، وربما استكرر عليه كاتب سفر الملوك إضافة لقب يهوه إلى اسمه خاصة وأنه فرط في المقدسات فأعطى أنية الهيكل إلى آشور 2 مل 10: 7، كما أنه ذبح للالهة الأراميين، 2 مل 23: 28، 2 مل 12: 16.

(2) James Pritchard – the Ancient Near East p.282 &

فراس السواح - الحدث التوراتي والشرق الأدنى القديم ص 299.

(3) حكم سنتان (2مل 15: 23).

(4) James Pritchard – the Ancient Near East p.284

(5) ل. دي لابلورت - بلاد ما بين النهرين ص 308-311.

شلمناصر الخامس

ورث عن سلفة إمبراطورية واسعة، وحكم نحو ست سنوات. وكان في عهد أبيه حاكماً على فينيقية منذ حملة عام 733 ق.م. وعند عودته إلى آشور ليتسلم مهام العرش ثارت صور، فاضطر إلى العودة لتثبيت سلطانه على ساحل البحر المتوسط. ثم اتجه بعد ذلك إلى إسرائيل لتحالف هوشع ابن إيله مع تف- نخت فرعون مصر⁽¹⁾ وحاصر الجيش الآشوري السامرة لمدة ثلاث سنوات. أما سقوطها فكان في عهد خليفته سرجون الثاني. أو ربما كان سرجون هو الذي نفذ الاستيلاء على المدينة في حكم سلفه كقائد للجيش. وبيدوا ان المدن الواقعة خارج السامرة قد تعرضت للاحتلال والسبي في عهد شلمناصر. وكان طوبيا النفثالي الجليلي مع المسيبيين، وقد عاصر كل من شلمناصر وسنحاريب (طو: 18). "وفي السنة الرابعة للملك حزقيا وهي السنة السابعة لهوشع بن إيلة ملك اسرائيل صعد شلمناصر ملك آشور على السامرة وحاصرها. واخذوها في نهاية ثلاث سنين وسبي ملك آشور اسرائيل الى آشور ووضعهم في حلح وخابور نهر جوزان وفي مدن مادي ولهذا صعد طوبيا الابن من نينوى قاصدا مدينة راجيس في بلاد الماديين ليلتقي بقريب له يدعى غابيلوس (طو : 5، 7، 8، 14).

ويعلل سفر الملوك هذه المصائب التي حلت بسكان السامرة لأنهم "لم يسمعوا لصوت الرب الههم بل تجاوزوا عهده وكل ما امر به موسى عبد الرب فلم يسمعوا ولم يعملوا"⁽²⁾ ويقول طوبيا في صلاته وهو شاهد عيان لما حل ببلاده وبشعبه:

"عادل انت ايها الرب وجميع احكامك مستقيمة وطرقك كلها رحمة وحق وحكم...لانا لم نطع اوامرنا. فلجل ذلك اسلمنا الى النهب والجلاء والموت. واصبحت احداثنا وعارا في جميع الامم التي بددتنا بينها... فالان يا رب عظيمة احكامك لانا لم نعمل بحسب وصاياك ولا سلطنا بخلوص امامك" (طو: 2-5).

(1) (الأسرة 24- صا الحجر) (2مل: 17: 4، 18: 9-12).

(2) " ان بني اسرائيل اخطوا الى الرب الههم.... واتقوا الهة اخرى. وسلوكوا حسب فرائض الامم... واقاموا لانفسهم انصابا وسواري... وعبدوا الاصنام... ورفضوا فرائضه وعهده.. وساروا وراء الباطل.. وتركوا جميع وصايا الرب الههم وعملوا لانفسهم مسبوكات عجلىن وعملوا سواري وسجدوا لجميع جند السماء وعبدوا البعل... وعبروا بنبيهم وبناتهم في النار وعرفوا عرافة... فغضب الرب جدا على اسرائيل ونحاهم من امامه... فردل الرب كل نسل اسرائيل واذلهم ودفعهم ليد ناهبين حتى طرحهم من امامه" (2مل: 7- 22).

سرجون الثانى

بدأ حصار السامرة فى عهد سلفه حوالى عام 724 ق.م، أما سقوطها - الأمر الذى لم يجزم سفر الملوك الثانى بأنه تم فى عهد سلفه- فكان فى عهده، وربما سقطت فى عهد سلفه، ونسب الأمر لنفسه، باعتباره قائد الجيش ومنفذ الهجوم على السامرة. فقد ذكر فى سجلاته: " أنا حاصرت مدينة سامريانا (السامرة) وأنا أخذتها، وجلوت 27.280 من سكانها. وأخذت منها خمسين مركبة حربية حفظتها لنفسى. وتركت أموالها لجنودى. ووليت عليها نواباً عنى. وافترضت عليها الجزية التى كانت تؤدى إلى الملك السالف"⁽¹⁾.

ونحو عام 711 ق.م قام بحملة أخرى على فلسطين لمواجهة الثائرين من اليهود والأدوميين، فهزمهم وأعاد فرض سيادته عليهم⁽²⁾ فقد روى عن نفسه:

" سرجون ملك اشور فاتح السامرة وكل بيت عمري Bet-Hu-Um-Ri-a... الذى قهر مصر فى رفح Raphihu. الذى اخذ هاتو ملك غزة غنيمة"⁽³⁾. كما كتب على إناء آشورى من عهد سرجون ما نصه: "عازارى ملك أشدود قد عزم ألا يكون مطيعاً لأشور ولا يجهز فيما بعد جزيته. أرسل إلى الملوك جيرانه.. رسالات عداوة إلى آشور.. بغضب قلبى لم أقسم جيشى... بل زحفت على أشدود بمحاربى.. حاصرت، أخذت أشدود وجيران أشدوديم....."⁽⁴⁾.

وجاء ذلك مطابقاً لما قاله الوحي على لسان اشعيا النبى: "فى سنة مجئ تتران إلى أشدود حين أرسله سرجون ملك آشور فحارب أشدود وأخذها" (إش20: 1). وتمكن من استعادة بابل بمساعدة كهنتها، وهرب مردوخ بلادان ملكها⁽⁵⁾. كما انه غزا مصر وبلاد العرب فى اعالي الحجاز كما يذكر فى حوارياته: "وضعت الجزية على فرعون ملك مصر، وملكة عريبي، ويتعمر السبأي. واخذت حاصلات الذهب من جبالهم والخيول والجمال". وقال فى قرميدة اخرى: "ان قبائل ثمود، وعباديد، مرسمان وخابا، من قبائل العرب، سكان البادية الذين لم يصل خبرهم الى حكيم، ولا عالم. ولم يدفعوا الجزية لاحد قبلى. كل هذه الامم غلبتها باسم اشور الهى ونقلت بقاياها الى سامريا (السامرة)"⁽⁶⁾.

(1) الاسقف ايسيدوروس- المطالب النظرية ص 523.

(2) بلاد ما بين النهرين ص309 وما بعدها.

(2) فراس السواح- الحدث التوراتي والشرق الادنى القديم ص 110

(4) الاسقف ايسيدوروس- نفس المرجع السابق.

(5) تمكن مردوخ بلادان بعد ذلك من استعادة عرش بابل.

(6) جورجى زيدان - المرجع السابق ص 130- 131 عن

واتصف سرجون بالقسوة في معاملة الأسرى، من ذلك انه عندما تغلب على من اسماه يابيدي الحثي ملك حماه وعلى حلفائه ملوك أرواد وسميرا ودمشق والسامرة قال: " أطبقت عليه في قرقرة مدينته ففتحتها وأحرقتها أما هو فقد أمسكت به وسلخت جلده وقتلت المتمردين في مدنهم..." (1).

ورغم الوحشية التي اتصف بها في معاملة أسراه إلا أنه كان محباً للعلوم؛ فأنشأ مكتبة في نينوى كان للكشف عن كتبها الفضل في معرفة تاريخ بلاد ما بين النهرين. وقد اولاهما اشور بانينال عناية خاصة. وهذه الصورة البشعة من الوحشية التي اتسم بها الآشوريون خاصة وشعوب الشرق القديم عامة، نرى فيها ما يبرر بنود شريعة العهد القديم. وكذلك نرى تبريرا لقيام كل من موسى النبي ويشوع وخلفائهما من القضاة والملوك، بمحاربة هذه الشعوب الوثنية. كأن الله أراد أن يعاقب هذه الأمم بنفس الطريقة التي كانوا يعاملون بها بعضهم بعضا. أو قل انه كال لهم بمكيالهم الذي كالوا به لغيرهم. لأنه رحيم وعادل أيضا.



سرجون الثاني



سنحاريب يقود الجيش

Closer 112 ant 317 Clay 336-338.

(1) ان في هذه الوحشية التي كانت سائدة لدى الشعوب القديمة ما يبرر شريعة العهد القديم ، ويجعلها مناسبة تماما لذلك العهد الذي اتسمت فيه الشعوب بالغلظة وبالتوحش.

سنحاريب

كان (إيلو إيلي) ملك صور قد أخضع قسماً كبيراً من المدن الفينيقية في عهد سرجون الثاني الملك الآشوري. ولما آل زمام السلطة إلى يد سنحاريب، كان عليه أن يتصدى لملك صور، فخلعه وأحرق بيته الصيفي في لبنان. وداس كرمه وأسر جنوده. وجعل مكانه إيثبعل ملك صيدا. وترك سنحاريب عند نهر الكلب نقشاً يروى ذلك (701 ق.م). كما تمكن من إخضاع البابليين، والآراميين والكاسيين.

وأما مردوخ بالادان فكان قد استعاد عرش بابل، وبعد تسعة أشهر فقط لقي الهزيمة على يد ملك آشور، الذى وضع بدلاً منه بعل إيننى، ثم خلعه هو الآخر لتأمره ضده وجعل مكانه ابنه آشور نادين شومى. ثم شرع فى إخضاع الآراميين، والكاسيين. وفرض الجزية على صور، وفينيقية. ونحو عام 690 ق.م بسط سنحاريب سلطانه على بعض القبائل العربية فى أدماتو (الجوف) عند مدخل تقود⁽¹⁾، وسار الجيش الآشورى حتى الحدود المصرية، ونصب معسكره فى لخيش كما جاء فى اسفار الوحي: "وفى السنة الرابعة عشرة للملك حزقيا صعد سنحاريب ملك آشور على جميع مدن يهوذا الحصينة⁽²⁾ وأخذها وأرسل حزقيا ملك يهوذا إلى ملك آشور إلى لخيش يقول قد أخطأت⁽³⁾. إرجع عنى ومهما جعلت عليا حملته. فوضع ملك آشور على حزقيا ملك يهوذا ثلاث مئة وزنة من الفضة وثلاثين وزنة من الذهب. فدفع حزقيا جميع الفضة الموجودة فى بيت الرب وفى خزانن بيت الملك...قشر حزقيا الذهب عن أبواب الهيكل والدعائم... ودفعه لملك آشور" (2مل 18 : 13).

ويبدو أن سنحاريب لم يقتنع بالجزية ولا بإعلان حزقيا الخضوع له فأرسل من لخيش ثلاثة من قواده⁽⁴⁾ على رأس جيش كبير حاصر أورشليم وتأهب لاقتحامها. وفى ذلك الوقت كان طهرقا قد جاء لمساعدة ملك يهوذا. فما كان من حزقيا البار إلا اللجوء إلى رجل الله إشعيا ابن اموص فطمأنه النبي، وصليا معاً فوعدهما الرب بالنصر، وبالفعل ضرب ملاك الرب من جيش اشور 185 ألفاً "فانصرف سنحاريب ملك آشور وقفل راجعاً الى بلاده حيث أقام فى نينوى. وفى طريقه مر ببابل ودمرها وأشعل فيها النار ثم

(1) ل. دي لا بورت- بلاد ما بين النهرين ص 314 & Le proche orient asiatique.

(2) يقدر عددها بنحو 46 مدينة.

(3) كان حزقيا قد تحالف مع (يافا، واكرن، ومصر) ضد آشور وهزم الحلف فى المعركة التى دارت فى سهل يقع جنوب عقرون.

(4) ترتان، وربساريس، وربشاقى.

حول إليها مياه الفرات وأغرقها بسبب تمرد موتزيب مردوك ملكها. وبينما هو ساجد في بيت مردوخ إلهه ضربه ابنه أدر ملك وشرأصر⁽¹⁾ بالسيف وهربا إلى أرض أراراط. وملك أسرحدون ابنه عوضاً عنه (2مل 19: 32-37).

وكان لما علم حزقيا باقتحام الجيش الآشوري لمدن يهوذا أن أمر بحفر نفق سرى يقوم بنقل المياه من نبع جيحون (عين العذراء حالياً) إلى بركة سلوام الواقعة داخل أورشليم حتى إذا ما حوصرت المدينة يجد أهلها ما يروى ظمأهم. وفي صيف عام 1880 عثر الأتراك داخل النفق على نقش عبري بحروف فينيقية يعود زمن كتابته إلى عهد حزقيا ملك يهوذا⁽²⁾. وعثر في خرائب نينوى على لوح⁽³⁾ يحتوى على 480 سطراً يرجع إلى عهد سنحاريب قال فيه:

" تابعت حملتي فحصرت بيت داجون ويافا وبني برقة وآزورو وهي مدن تابعة لصدقيا ملك أشقلون ففتحتها وحملت الأسلاب منها. أما عقرون⁽⁴⁾ فقد قام مسؤولوها ووجهائها وعامتها بوضع مليكهم بادى في الاغلال لأنه كان على العهد الذي قطعه مع آشور. وسلموه الى حزقياه اليهودي الذي رماه في السجن وعامله معاملة الأعداء، ثم خاف فدعا لمساعدته قوات ملكي مصر واثيوبيا التي لا تعد. فجاءوا لمساعدته، وفي سهل (التقو) Al Taquu انتظمت صفوفهم ضدي وشحذوا اسلحتهم.

بعد استخارة نبوة الاله آشور مولاي هاجمتهم وهزمتهم. وفي غمرة القتال قمت بنفسي بأسر فرسان العربات وامرائهم من مصريين واثيوبيين. حاصرت مدينة (التقو)⁽⁵⁾ وتمنة⁽⁶⁾ Ta am na a واخذتهما وحملت معي اسلابهما. ثم استبحت مدينة عقرون وقتلت مسؤوليها ووجهاءها الذين اجرموا وعلقت جثثهم على الاعمدة حول المدينة. أما عامتها فمن وجدته منهم مذنباً اخذته اسير حرب ومن وجدت بريئاً اطلقتها. واعدت ملكهم (بادي) من اورشليم ur sa li im mu، واقمته على العرش سيداً لهم وفرضت عليه الجزية يدفعها لي انا مولاه. أما حزقيا اليهودي الذي ابى الخضوع لي فقد القيت الحصار⁽⁷⁾ على 46 من مدنه الحصينة وقلاعه المسورة وعدد لا يحصى من القرى حولها فأخذتها مستعملاً

(1) أراد ملكات ونابوشار أوتسور على حسب السجلات الآشورية (بلاد ما بين النهرين ص314).

(2) 2مل 20: 20 أى 32: 30.

(3) بمتحف لندن.

(4) جاءت امكرونا في النص.

(5) التقى : يش 19: 40 و 20: 44. 21: 20 و 23.

(6) تمّة : يش 15: 10 قض 14: 2. وهي تبنة اليوم جنوب الخليل.

(7) اخذت في ترجمة اخرى.

المدكات والمجانيق... سقت امامي منهم الغنائم: 200,150⁽¹⁾ من الذكور ومن الاناث شبية وشباناً، واحصنة وبغالا وحميرا وجمالا، ماشية كبيرة وصغيرة لا حصر لها. أما حزقيا نفسه فقد صار حبيسا في مقره الملكي اورشليم كعصفور في قفص. فأحطته بالمتاريس والخنادق لحجز الفارين عند البوابات، والمدن التي اخذتها منه اعطيتها لميتيني ملك اشدود وبادي ملك عقرون وسيليبيل ملك غزة. فأنقصت بذلك مساحة أراضيهِ ورفعت فوق ذلك الجزية التي تؤدي لي انا سيده بما يفوق الجزية السابقة...⁽²⁾

ويتفق ما جاء على لوحة سنحاريب مع ما جاء به الوحي في عدة نقاط هي: ذكره لاسماء مدن قد جاء ذكرها في الكتاب المقدس قبل اكتشاف اللوح بالآف السنين مثل اورشليم واشدود وعقرون وتقى ويافا وغزه وغيرها. كما ان استيلاء الآشوريين عليها يتفق مع ما سبق الأنبياء ونطقوا به بشأنها⁽³⁾:

- 1- ذكره لاسماء ملوك جاء ذكرهم في اخبار الملوك مثل حزقيا ملك يهوذا(2مل 18)
 - 2- ذكر استلاء سنحاريب على عدد من مدن يهوذا يوافق ما جاء في (2مل 13: 18)
 - 3- ذكره لتحالف الملك المصري الاثيوبي (طهارقة / ترهاقة) مع حزقيا ملك يهوذا⁽⁴⁾.
 - 4- ذكر استلاء سنحاريب على اشدود يوافق ما جاء في سفر اشعيا " في سنة مجيء ترتان الى اشدود حين ارسله سرجون ملك اشور فحارب اشدود واخذها " (اش 20: 1).
- قال سنحاريب انه حاصر اورشليم وحبس حزقيا بها كما يحبس العصفور في القفص وفي هذا الشأن قال الوحي: "وارسل ملك اشور ترتان وربساريس وربشاقى من لخيخ الى الملك حزقيا بجيش عظيم الى اورشليم فصعدوا واتوا الى اورشليم ولما صعدوا جاءوا ووقفوا عند قناة البركة العليا التي في طريق حقل القصار.
- 5 - ذكر سنحاريب ان حزقيا دفع له الجزية وهو ما حدث بالفعل :

" وارسل حزقيا ملك يهوذا الى ملك اشور الى لخيخ يقول قد اخطات ارجع عني ومهما جلعت علي حملته فوضع ملك اشور على حزقيا ملك يهوذا ثلاث مئة وزنة من

(1) 200050 في ترجمة اخرى.

(2) فراس السواح - الحدث التوراتي ص 114. والاسقف ايسيدوروس - الطالب النظرية ص 518 و519.

(3) يش 11 : 22 ويش 13 : 3، يش 15 : 46، يش 15 : 47، 1صم 5 : 1، 2اخ 26 : 6، نح 4 : 7، ار 25 : 20، عا 1 : 8، عا 3 : 9، صف 2 : 4، زك 9 : 1، 6مك 4 : 15، يش 18 : 28، قض 1 : 7، و2صم 11 : 12، 12 : 31، مل 2 : 38.

(4) 2مل 18 : 21 و19 : 9.

الفضة وثلاثين وزنة من الذهب فدفع حزقيا جميع الفضة الموجودة في بيت الرب وفي خزائن بيت الملك. وفي ذلك الزمان قشر حزقيا الذهب عن ابواب هيكل الرب والدعائم التي كان قد غشاها حزقيا ملك يهوذا ودفعه لملك اشور"⁽¹⁾

وكان سنحاريب قبل اغتياله قد وضع وصية لابنه الأصغر أسرحدون جاء فيها:

" أنا سنحاريب ملك الجماهير، ملك آشور، قد أعطيت سلاسل من ذهب وكنوزاً من عاج.. لأسرحدون ابني المسمى آشور أبل موش بال بمقتضى إرادتي، والخزائن موضوعة في هيكل أموك ونيبواريك..." ولعل اختيار سنحاريب لابنه الأصغر أسرحدون كان سبباً لمصرعه على يد إبنيه الآخرين كما جاء في سفر الملوك الثاني (19: 37).



صور لجرائم الحرب قديما - تقطيع اعضاء الأسرى

أسرحدون

عندما حرض فرعون مصر المدن الفينيقية على الثورة ضد آشور، اتجه أسرحدون إلى صيدا، وألحق بملكها الهزيمة عام 676 ق.م ثم قطع رأسه. وبعد ذلك اتجه إلى شريكه ساندواري ملك سيس في كيليكية وفعل به ما فعله بنظيره ملك صيدا. كما أنه نفى سكان صيدا وأتى بقوم كلدانيين وأسكنهم بها. ويذكر اسرحدون انه اخضع مصر وكوش وانه اصاب طهرقا بجروح، ولكنه لم يلبث كثيرا بالبلاد فقد اضطرته هجمات السكيثيين والميديين الى العودة مما اتاح لطهرقا ان يتعبد مكانته. ويروي اسرحدون تلك الوقائع في سجلاته بكثير من فخر واعتزاز الملوك الذين اندثرت امجادهم الباطلة، ووارى التراب مظاهر عظمتهم الزائلة:

"...قهرت صور التي على البحر، واخذت كل مدن ملكها بعلو الذي وضع ثقته في ترهاقة ملك كوش. ثم قهرت مصر وكوش. اما ملكها ترهاقة فقد اصبته بخمسة جراح برميات السهام. وحكمت فوق جميع بلاده وحملت منها الاسلاب. بعدها كل الملوك في البحر من يدنانا (قبرص؟) الى ترشيش⁽¹⁾ خضعوا لي وتلقيت منهم الجزية"⁽²⁾

كما ذكر فتوحات اخرى⁽³⁾:

(1) تنطق ترسيس في النصوص الآشورية، وهي تقع على الساحل الاسباني.

(2) فراس السواح - الحدث التوراتي والشرق القديم ص 243 و244 عن

leo Oppenheim - Babylonian and Assyrian historical p. 290

(3) "I called out the kings of the Hatti-land and the Trans-Euphrates area; Ba'al, king of Tyre, Manasseh, king of Judah, Qaush gabri, king of Edom, Musuri, king of Moab, Sil-Bel, king of Gaza, Metinti, king of Ashkelon, Ikausu, king of Ekron, Milki ashapa, king of Gebal, Matan-ba'al, king of Arvad, Abi-ba'al, king of Samsimuruna, Pudu-il, king of Beth-Ammon, Ahi-milki, king of Ashdod--12 kings of the sea coast. Ekishtura, king of Edi'il (Idalion), Pilagura, king of Kitrusi (Chytrus), Kisu, king of Sillu'a (Soli), Ituandar, king of Pappa (Paphos), Erisu, king of Silli, Damasu, king of Kuri (Curium), Atmesu, king of Tamesi, Damusi, king of Qartihadasti, Unasagusu, king of Ledir (Ledra), Bususu, king of Nuria--10 kings of Iadnana (Cyprus), an island; --a total of 22 kings of the Hatti-land, the seashore and the island. I sent all of these to drag with pain and difficulty to Nineveh, the city of my dominion, as supplies needed for my palace, big beams, long posts and trimmed planks of cedar and cypress wood, products of the Sirara and Lebanon mountains, where for long they had grown tall and thick; also from their place of origin in the mountains the forms of winged bulls and colossi made of ashnan-stone, female colossi and abzastu

" انا اسرحدون فاتح صيدون التي عند البحر لقد سوت بالتراب ابنيته المشيدة ورميت بأنقاض سورها وأساساتها الى البحر، ومحوت المكان الذي قامت عليه اما ملكها عبيدي ملكوتي فقد امسكت به كالسمكة عندما هرب الى عرض البحر امام هجومي وقطعت رأسه.

ثم حملت معي الكثير من ممتلكاته المكسدة ذهباً وفضة وعاجاً وابانوساً وجلود فيلة. وسقت حشوداً من شعبه امامي الى نينوى. وسقت المواشي كبيرها وصغيرها والحمير.. ثم دعوت كل ملوك خاتي وبلاد شاطئ البحر وجعلتهم على اعمال السخرة من أجل بناء مقر جديد لي (مدينة) اسميتها كار اسرحدون. احللت بها سكاناً من المناطق الجبلية ومن شاطئ البحر.

دعوت الى ملوك بلاد خاتي على الجهة الاخرى للنهر. بعلو ملك صور ومنسى ME NA SI I ملك يهوذا IA U DI وقوش غابي ملك ايدوم. وموصوري ملك مؤاب وسلبيل ملك غزة، وميتيني ملك اشقلون، واكوسو ملك عقرون، وملكي أشابا ملك جبيل، وميتان بعل ملك ارواد، وأبي بعل ملك شامي مورونا، ويودويل ملك بيت عمون، وأهي مكي ملك اشدود. كل هؤلاء ارسلتهم الى نينوى مقر حكمي وجعلتهم ينقلون اليها تحت اقسى الظروف مواد بناء لقصري..."(1)

وهذا يوافق اقوال الوحي في عدة اشياء:

- 1- حديثه عن احتلال صيدا وقوله انه سوى ابنيته بالتراب يوافق كلام الانبياء عما سيحل بها ان استمر اهلها في العصيان (2)
- 2- حديث الوحي عن اسرحدون كملك جبار غزا كثيراً من البلدان (3).
- 3- ذكره لمنسى ملك يهوذا.
- 4- ذكره لعدد من دويلات الشرق التي جاء ذكرها في كتب الوحي مثل صور وصيدا ويهوذا وأدوم ومؤاب وغزه واشقلون وقرون وارواد وبيت عمون واشدود وعلى رأسها نينوى عاصمته، تلك المدينة العظيمة التي افرد الانبياء في وصفها فصولاً.

thresholds, slabs of limestone, of ashnan-stone, of breccia both large and fine grained, of yellow limestone, of pyrites. "

(1) D. Winton Thomas , documents from old testament times , p.74.

(2) اش 23 : 4، ار 27 : 3، حز 32 : 30.

(3) 2مل 19 : 37، عز 4 : 2، اش 37 : 38.

آشور بانيبال ونهاية الامبراطورية

كان آشور بانيبال محبا للعلم والمعرفة وقد اولى عناية خاصة بمكتبة اسلافه التي كان للكشف عنها بالغ الاثر في معرفة تاريخ الاشوريين واخبار ملوكهم وذلك بفضل جهود علماء الآثار: لايرد، وراسام، وجورج سميث.

وقد ذكر ذلك في حوارياته قائلا: "انا آشور بانيبال الذي لي حكمة نيبو(الهة)، واعلم كل فنون الكتابة التي يعرفها كل الكتبة وكل الملوك وقد تفوقت عليهم جميعا"⁽¹⁾



اسرحدون



آشور بانيبال

وعلى صعيد السياسة الخارجية سار بانيبال على نهج أبيه في الحفاظ على امبراطوريته فسار الى مصر على رأس جيش كبير، والتقى بطهرقا في الدلتا وهزمه، ثم واصل زحفه جنوباً، ولما تأكد من خضوع القطر كله قفل راجعاً إلى بلاده. ولم يكد يصل الجيش الآشوري إلى سوريا⁽²⁾ حتى ثار ثلاثة من أمراء الدلتا مما اضطر الآشوريين إلى

(1) "I, Ashur-bani-pal, within it (i.e., the palace) understood the wisdom of Nebo, all the art of writing of every craftsman, of every kind, I made myself master of them all." - E. A. Wallis Budge - The Babylonian Story of the Deluge as Told by Assyrian Tablets from Nineveh

(2) ورد اسم سوريا (Syria) في كتابات هيروdot وفي الرسالة رقم 108 من رسائل تل العمارنة. وعرفت في النصوص الاوغاريتية في القرن الرابع عشر قبل الميلاد باسم Shrin.

العودة، وتدمير مدن الدلتا الثائرة: سايس Sais، ومندس، وتانيس Tanis. وقد ذكر اخبار حملته على مصر موضحا اسبابها وملايساتها والانتصارات التي حققها بقوله:

" ترهاقة ملك مصر وكوش الذي هزمه ابي اسرحدون وحكم بلاه نسي عظمة اشور واشتار وبقية اسيادي الالهة، واضعا ثقته في قوته.

انقلب على الملوك والولاة الذين عينهم ابي في مصر ودخل مدينة ممفيس التي الحقها ابي بملك اشور فجعلها مقرا له... دعوت قواتي التي اوكلها لي الاله اشور والالهة عشتار. واتخذت الطريق المباشر الى مصر وكوش... ترهاقة ملك مصر وكوش سمع في ممفيس باقتراب حملتي فدعا كل محاربيه وارسلهم الى المعركة الفاصلة ضدي، ولكني هزمت القوات المدربة لجيشه في معركة مفتوحة كبيرة. سمع ترهاقة ممفيس بخبر الهزيمة فاعماه الهلع من عظمة اشور وعشتار حتى غدى كالمجنون، ثم هرب طالبا حياته الى مدينة ني⁽¹⁾ (طيبة). ولكني تقدمت واخذت هذه المدينة ايضا... وتوليت من جديد مقاليد مصر وكوش. اما ترهاقة الذي اخذه الخوف في مخبئه من اسلحة اشور سيدي فلم يسمع عنه خبر بعد "⁽²⁾.

وقد سكنت النصوص المصرية عن ذكر الهزيمة بينما روته النصوص الآشورية جملة وتفصيلا. وجدير بالذكر ان الكتاب المقدس قد سبق وحدثنا عن ترهاقة، وعن كثير من ملوك مصر قبل ان يحل توماس يونج، وجان فرانسوا شامبليون - وغيرهما - شفرة اللغة المصرية القديمة. بل وقبل ان يظهر الى الوجود علم الآثار والآحافير بما يقرب من ثلاثة آلاف عام.

وفي الشرق، دخل آشور بانيبال في حرب ضد الميديين والمانيين حوالي عام 660 ق.م. كما دخل في حرب ضد أخيه الأكبر شماش شوم أوكين ملك بابل حوالي عام 652 ق.م. لتأمره عليه. وانتهت بتدمير بابل كما لقي شماش شوم أوكين حتفة منتحرا عندما أشعل النار في قصره في عام 648 ق.م. وقد ذكر آشور بانيبال في حولياته: " وشماسو موكين أخى الصغير لم يخلص لى فى الطاعة، وأثار على رجال أكّد، وبلاد الكلدان، وأرام، وشاطئ البحر... فهؤلاء جميعاً ثاروا، وانتمروا معه على "وقال أيضا" "... فأخضعتهم كما أمر آشور(إلهه) وبتليس، وسائر الالهة.. ونصبت عليهم نواباً.. وفرضت

(1) تحرير للفظه نبوت بمعنى المدينة في اللغة المصرية القديمة وهي من اسماء مدينة الاقصر القديمة. اما لفظه طيبة thebes فقد اطلقها البطالمة نسبة الى مدينة يونانية تحمل ذات الاسم. جيمس بيكي - الآثار المصرية في وادي النيل ج3.

(2) فراس السواح- الحدث التوراتي ص243 و244

عليهم جزية.. " وقطعا كان منسى ملك يهوذا أحد هؤلاء الخاضعين لآشور بانيبال. وقد كان قبل ذلك يودى الجزية لسلفه أسرحدون حسبما جاء فى حوليات الملك الآشورى. ويروى سفر أخبار الأيام الثانى عن غير قصد أنه اقتيد إلى بابل ليمثل أمام ملك آشور الذى كان هناك من أجل قمع ثورة أخيه.

" فجلب الرب عليهم رؤساء الجند الذين لملك آشور فأخذو منسى بخزامة وقيوده بسلاسل نحاس وذهبوا به إلى بابل. ولما تضايق طلب وجه الرب إلهه وتواضع جداً... فاستجاب له.. ورده إلى اورشليم إلى مملكته فعلم منسى أن الرب هو الله" (2أى 33: 11). وفى مصر تحالف بسماتيك أحد ملوك الأسرة السادسة والعشرين مع جيجيس ملك ليديا ضد آشور، وتمكنا من طرد الحامية الآشورية من مصر.

وأخيراً تتوقف حوليات آشور إثر ظهور الميديين فى هضبة إيران كقوة عظمى، استطاعت - بمساعدة بابل- أن تزيل نينوى عاصمة الآشوريين من الوجود. الأمر الذى تحقق فى عام 612 ق.م على يد سياكسار (سياخار) زعيم الميديين وحليفه نابو بلاسار زعيم الكلدانيين⁽¹⁾. وبذلك تم قول نحميا النبي عن نينوى: " كل الذين يسمعون خبرك يصفقون بأيديهم عليك لأنه على من لم يمر شرك على الدوام" (نح 3: 19).

وسقطت نينوى المدينة التى بلغت شأواً عظيماً من الحضارة والمجد والترف، فذكر هيرودوت الذى رآها رؤية العين أن ارتفاع أسوارها كان مئة قدم وتحيطها ستين ميلاً. ويقول ديودور الصقلي أن فيضان النهر ساعد فى سقوط جانب من أسوارها مما مهد

(1) "In the fourteenth year the king of Babylonia called out his army and marched to..., the king of the Umman-manda and the king of Babylonia met each other in... Kyaxares made... the king of Babylonia to cross and they marched along the Tigris river bank and pitched camp by Nineveh. From the month of Sivan to the month of Ab they (advanced?) only three.... They made a strong attack on the citadel and in the month of Ab, [on the... th day the city was taken and] a great defeat inflicted on the people and (their) chiefs. On that same day Sin-shar-ishkun, the Assyrian king, [perished in the flames]. They carried off much spoil from the city and temple-area and turned the city into a ruin-mound and heap of debris... of Assyria moved off before [the final attack?] and the forces of the Babylonian king [followed them]. On the twentieth of Elul Kyaxares and his army returned to his land; the Babylonian king and his army marched as far as Nisibin. Booty and prisoners.... and of the land of Rusapu were brought before the Babylonian king at Nineveh. In the month of [... Ashur-uballit] sat on the throne in Harran as king of Assyria."

D. Winton Thomas, documents from old testament times, p.76.

لدخول الجنود الماديين. وقد كانت مدينة عظيمة البناء اذ بلغ ارتفاع اسوارها نحو 33م وعرضها 16م وهو ما كان يكفي لمرور 6 عربات متجاورة. وكانت تتخلل اسوارها الابراج العالية التي بلغ ارتفاعها نحو 61م. وكان يحيط بها خندق مائي عرضه 50م والى الداخل من هذا السور كان يوجد سور اخر. وعلى الرغم من هذه الحصانة فقد تحالفت ضد نينوى قوة الميديين والبابليين معا ففي آب (اغسطس) من عام 612 ق.م. احاطت بها الجيوش من كل جانب وبعد نحو ثلاثة اشهر فقط من الحصار سقطت المدينة العظيمة وأهلها مخمورين وقيل ان ارتفاع النهر⁽¹⁾. تسبب في هدم جزء من السور مما سهل على الاعداء اقتحامها. ولما احس الملك الآشوري بالخطر وايقن الكارثة فانه جمع اهله واشعل النار فب قصره مفضلا الانتحار الجماعي على ان يظفر بهم الاعداء.

وقد اتفقت رواية ديودور الصقلي في وصف هذه المدينة على ما جاء به الانبياء كما صادقت ابحاث المنقبين على ما تنبأوا به بشأن المصير المحتوم الذي ادرك تلك المدينة. فكان للآثري البريطاني السير أوستن لايرد (19 ق) السبق في اكتشاف اطلال المدينة القديمة تحت سطح الارض بعمق يصل الى 45 قدما. ثم تابع رجال الآثار اعمالهم الحفرية حتى تمكنوا من العثور على اطلال القصر الملكي وكانت بركامه آثار الحريق. وهكذا ازاح المنقبون الستار عن مدينة كان للانبياء السبق في الحديث عن مجدها كما عن سقوطها هي وغيرها.

ويقول المسيو بلاس القنصل الفرنس في العراق في وصف قصر سرجون الذي عثر عليه في اطلال نينوى القديمة "...وفي هذه النقوش طالع المكتشفون محتوى النص والصورة يشير الى صلاة وتوسل الى الارواح العلوية ثم الاشادة باباطال اشور ثم صور ممثلي الولايات يؤدون الجزية وهم صاغرون امام الملك الجالس بين عظمائه وحاشيته. كما ترى مناظر حربية تصور الاشوريين وهم يسلبون الاسرى او يشطرونهم بالمنشار او يصلبونهم او يضعونهم على خوازيق او يحزون رؤوسهم وهو اخف طرق الموت. كما ترى الملك وهو يقرأ عيني احد الاسرى بأصبع يديه.."⁽²⁾

هكذا نرى ان موضع فخار الملوك هو في حقيقته عار على الانسانية. والتي عبروا عنها بالبطولات هي في الحقيقة بطولات زائفة يتوجها الفنانون بمشهد يصور الملك وهو يتعبد الى الهه ويقدم له باكورة مغانمه. ثم تمتاز مشاهد الوحشية بمشاهد الاثم والخطية

(1) يسقط المطر في مارس اذار ويفيض النهر في ابريل ومايو وخلال ثلاثة شهور بدأت الأسوار تترنح بسبب المياه من ناحية، وقوة الجيوش الجرارة من ناحية أخرى.

(2) جوستاف لوبون - حضارة بابل وأشور - المطبعة العصرية الفجالة 1947. ص 123، 124.

فترى الملك وهو يضطجع على فراش وثير يمتع لاحظيه بمشاهدة الراقصات وهن يتمايلن على انغام القيثارة وامامه مائدة مثقلة بأطيب المأكولات واذكى المشروبات، وهيهات!

وبعد موت اشور بانيبال وقعت مملكته تحت سلطان نابو بلاسر الكلداني وهو الذي رد عن بابل اخر عدوان اشوري نحو سنة 615 ق.م. ثم دمر الميديون مدينة آشور عام 614 ق.م. ثم تحالف الميديون والبابليون على مملكة اشور المتداعية ودمروا نينوى واقتسموا ممتلكاتها. وهكذا انتهت المملكة الآشورية وزالت نينوى، وتمت فيها اقوال الانبياء الذين سبقوا وتنبأوا بزوالها. "ويل لمدينة الدماء كلها ملأنة كذباً وخطفاً، يزول الاقتراس، صوت السوط، وصوت رعشة البكر، وخيل تخب ومركبات تقفز، وفرسان تنهض، ولهيب السيف، وبريق الرمح وكثرة جرحى ووفرة قتلى من أجل الزانية الحسنة الجمال.. ويكون كل من يراك يهرب منك ويقول خربت نينوى"⁽¹⁾



طرق تعذيب الاسرى عند الآشوريين

(١) نا 3: 1-7 انظر كذلك صفنيا 2: 13، طوبيا 14: 6.

مملكة بابل الكلدانية

يقسم المؤرخون تاريخ بابل الى عصرين رئيسيين: الاول هو عصر الامبراطورية الكلدانية الاولى (4000-1360 ق.م). ويدينون بتأسيسها الى سرجون الاكدي⁽¹⁾ الذي اشتهر باعماله الحربية والانشائية. والثاني هو عصر الامبراطورية الكلدانية الثانية (625-533 ق.م). وقد اشتهرت في عهد نابوبلاسر ونبوخذ نصر وبلشاصر الذين اشتهروا في العهد القديم.

كانت بابل منذ القدم عاصمة لدولة الكلدانيين الأولى التي أقامها حمورابي (2123-2081 ق.م) صاحب القوانين الشهيرة والتي وجدت منقوشة على حجر من الديوريت تم الكشف عنه في مدينة السوس (شوشن القصر) عاصمة العيلاميين، بعد ان نقلت من بابل حوالي عام 1100 ق.م. فيما نقل من مغنم الحرب⁽²⁾. وبعد وفاة حمورابي لم تعمر بابل طويلا فقد دهمها الكاسيون الغزاة من الشرق. وربما يكونوا هم الذين جلبوا معهم الخيل الى بابل. ثم تعرضت البلاد الى غزو الحثيين من الشمال حوالي عام 1750 ق.م.⁽³⁾

و تعرضت بابل للغزو الآشوري علي يد شلمانصر الأول (1290-1260 ق.م). كما تعرضت للتدمير على يد سنحريب حوالي عام 689 ق.م نظراً لتمردها على الحكم الآشوري المستبد. ثم تمكن نابو بلاسر (625-604 ق.م) وحمية سياخار CYAXARE زعيم دولة الميديين الناشئة – من اجتياح نينوى عاصمة الآشوريين معلناً سقوط دولتهم، وذبحوا أهلها، ودمروا ما بها نحو سنة 612 ق.م، بعد 14 عاماً من موت آشور بانيبال (سر ادانبال). واقتسم الحليفان أملاكها. وتحققت فيها نبوءة صفنيا وناحوم النبيين (صف2، نا 3).

وأسس نبوبلاسر(625-604 ق.م) مملكة بابل الثانية التي اشتهرت في الكتاب المقدس. وكان لمملكة بابل الفخر الدنيوي في أن يعتلى عرشها نبوخذ نصر، ذلك الرجل الذي استخدمه الله لكي يؤدب به ممالك وامم كثيرة مثل إسرائيل ويهوذا وأدوم ومواب وعمون وأشور ونينوى وحاصور وصور وصيدا⁽⁴⁾.. ففي عام 587 ق.م، قاد جيوشة بنفسه، وعسكر في ريلة في وادي العاصي. ومن هناك خرجت الحملات التي تمكنت من إخضاع المدن الفينيقية، وبلاد اليهودية، وخضعت صور حوالي عام 572 ق.م بعد مدة طويلة من

(1) جوستاف ليون - حضارة بابل وأشور - المطبعة العصرية الفجالة 1947. ص30-50

(2) ول ديورانت - قصة الحضارة المجلد الأول ج 2 ص 188.

(3) جيمس هنري برستد - تاريخ الشرق القديم، ص 193، ترجمة د. احمد فخري القاهرة 1969.

(4) إر 1:16، 20:5، 24:8-10، حز 12:12، 13.

الحصار. وكان إشعياء النبي قد تنبأ منذرا بخرابها - عسى ان يرجع اهلها فيرفع الخراب - وذلك قبل نحو مئة عام بقوله:

"... ويكون في ذلك اليوم أن صور تنسى سبعين سنة كأيام ملك واحد" (إش23).
وعن خرابها على يد نبوخذ نصر قال حزقيال النبي:

"ها أنذا أجلب على صور نبوخذ نصر ملك بابل... ويبنى عليك معاقل، ويبنى عليك برجاً، ويقم عليك مترسة ويرفع عليك ترساً، ويجعل مجانق على أسوارك، ويهدم أبراجك بأدوات حربته... يقتل شعبك بالسيف... ويهدمون أسوارك، ويهدمون بيوتك، ويضعون حجارتك، وخشبك، وترابك في وسط المياه..." (حز 26: 7-14).

ويتفق ذلك أيضاً مع رواية يوسيفوس أن نبوخذ نصر حاصر مدينة صور ثم دخلها بعد ثلاثة عشر عاماً⁽¹⁾، وهرب أهلها إلى قرطاجة، وطرسوس، وبعد سبعين عاماً عادوا إليها وأعادوا بناءها. ولكنها تعرضت للتدمير على يد الإسكندر بعد نحو قرنين ونصف القرن.

وتمكن نبوخذ نصر من إخضاع جوف سوريا، ومواب، وعمون وغيرهم. كما أنه هزم جيش نخو فرعون مصر عند قرقيش لتحالفه مع ملوك يهوذا ضده. ثم تتبع البابليون فرعون مصر حتى عقر داره. وفي ذلك قال حزقيال النبي: "إن أبيد ثروة مصر بيد نبوخذ نصر ملك بابل" (حز 3: 10). وقال أرميا النبي، وهو بعد في تحفحيس بمصر:

"ها أنذا أرسل وأخذ نبوخذ نصر ملك بابل عبدي، وأضع كرسيه فوق هذه الحجارة التي طمرتها فيبسط ديباجة عليها" (أر 43: 10). وعرف نبوخذ نصر في تاريخ العرب وذكروا انه حارب قبائلهم. وجاء على لوح⁽²⁾ عثر عليه في بابل أنه ذهب إلى مصر للحرب فجمع أماسو ملك مصر جيوشه وسير عساكره، كما ذكر الأثر أن نبوخذ نصر فرض عليه جزية.

وفي عام 1886م عثر عالم الآثار فلاندرز بترى في تحفحيس (تل دفنه) بمصر السفلى على أطلال قصر، كان حفرع (ابريس) ملك مصر قد أنزل فيه بنات صدقيا ملك يهوذا - الذي أسره نبوخذ نصر إلى بابل - وارميا النبي وغيرهم ممن هاجروا إلى مصر

(1) الاسقف ايسيدوروس - المطالب النظرية ص 457-458. وفيليب حتي - تاريخ سوريا ولبنان وفلسطين

(2) محفوظ الآن بالمتحف البريطاني.

عقب التدمير الذى أحل بمملكة يهوذا وبعاصمتها أورشليم، وما تبعه من سبي وتشريد لاهلها.

وقد انفق نبوخذ نصر مغنم حروبه فى تحصين وتجميل مدينة بابل⁽¹⁾، فأحاطها بسور عظيم طول ضلعه 65 ميلاً. وذكر هيرودت أن اتساع الجدار يكفى لمرور عربة يجرها أربعة جياد. كما أنشأ قصراً له تحرسه تماثيل من البازلت على هيئة أسود رابضة. وروي عن هيرودوت أيضاً فى وصفه لبابل قوله: "تشكل هذه المدينة القائمة على منبسط من الارض فسيح، مربعا صحيحا طول ضلعه 120 غلوة مما يجعل طول السور 480 غلوة"⁽²⁾. وبالفعل كانت بابل تعرف بمناعة اسوارها وبمكائنها السياسية والحضارية بين جيرانها وليس هناك ابلغ من وصف الوحي لها بأنها عظمة (دا4: 30)، و "بهاء الممالك وزينة فخر الكلدانيين" (اش 13: 19)، "فخر كل الأرض" (ار 51: 41). كما يصدق الباحثون على اقوال الأنبياء والمؤرخين مقرين بعظمتها:

"كانت مدينة بابل اعظم مدن اسيا وأبعدها اثرا وارفعها قدرا وأكثرها وأوسعها عمرانا وأمنعها عزة وسلطانا صاحبت الملوك دهرا طويلا وتقلب في احضان النعيم والعز امدا بعيدا حتى لم يكن لها مثيل بين المدن التي تقدمتها والتي عاصرتها"⁽³⁾

وفي وسطها كان يجري نهر الفرات من الشمال الى الجنوب و عليه كانت تقوم قنطرة رائعة عند احد طرفيها كان يقوم معبد للبعل وكان به تماثيل من الذهب الخالص. وعند الطرف الآخر كان يوجد قصر للملك نبوخذ نصر.. وبالقرب من القصر أقام حدائق بابل المعلقة الشهيرة التى ترتفع لنحو 75 متراً عن سطح الأرض، وذلك حتى يجلب السرور على قلب أميتيس AMYTES زوجته الميديدة.

(1) تقع اطلال المدينة القديمة - التي اكتشف المنقبون اساسها في القرن التاسع عشر - على نهر الفرات بالقرب من مدينة بغداد الحالية على السهل المنبسط الممتد بين الدجلة والفرات وتبلغ مساحتها حوالي 196 ميلا مربعا وهي ما وقد وصفها Dio cassius بأن لا شئ بها سوى الاطلال. وجاءت الاكتشافات في القرن التاسع عشر تؤكد ما رواه الرحالة القديم فما تزال غير مسكونة، وليست بها زراعة لملوحه تربتها. وتشير ابحاث الأثريين الى ان سور المدينة القديمة كان يرتفع لنحو 100 ذراع او ما يعادل 95 مترا وان سمكه يبلغ 25 مترا، وهي تكفى لمرور ثماني عربات حربية. ويعتقد بأن لها منة مدخل ومحصنة بمنة برج وبخندق كانت تملأه مياه الفرات. وقد كشفت البعثة الفرنسية في الفترة ما بين سنة 1852 و 1854 عن تحديد اسوار المدينة وتبين ان مساحتها بلغت 513 كيلومترات مربعة. وينتهي الى المنة باب خمسون شارعا رئيسيا خمسة وعشرون منها متوازية مع الفرات والخمسة والعشرون الباقية متعامدة معها فتقسم المدينة الى مربعات منتظمة وكان يشطر المدينة جسر على الفرات مصنوع من الخشب وقائم على دعائم من الحجر

(2) ارنست بابلون - الآثار الشرقية ص 65 - ترجمة : مارون عيسى الخوري - طرابلس لبنان.

(3) د. حامد عبد القادر - الأمم السامية - ص 87.

ويشير هيرودوت الى ثراء المدينة بقوله "ومن الادلة على عظمة غنى بابل انها كانت تنفق على اطعام جيش الملك اربعة اشهر في السنة وفي الثمانية اشهر الباقية تنفق عليها البلدان الاخرى... فكان ثروة بابل ثلث ثروة البلاد كلها" (1)

ويذكر جون أ. هامرتين ان بابل في ايام دارا الكبير ملك فارس كانت ضمن عشرين ولاية تابعة له وانها كانت تقدم ثلث دخل الامبراطورية الفارسية. وكانت الهند تقدم الثلث الثاني وباقي الولايات كانت تقدم الثلث الاخير (2)

ويرجع ثراء المدينة الى اشتغال اهلها بالتجارة فكانت السفن تتجه عبر الخليج الفارسي الى المحيط الهندي لجلب اللؤلؤ من جزيرة اوفير (3) والذهب والعاج والابنوس من بلاد الحبشة والعمور والاحجار الكريمة من الهند كما كانت تصدر منتجاتها الفاخرة من الطنافس والمنسوجات المطرزة وسروج الخيل والاثاث. ولهذا لا نجد غرابية في وصف الوحي للمدينة بالمجد والعظمة والتفوق على جيرانها (4)

وكان نبوخذ نصر في مستهل حياته يدين لبعل مردوك كبير آلهة الكلدانيين، فبنى له معبداً أسفل أحد الأبراج (5).

ودأب هذا الملك - الذي ربما يكون قد أنهى حياته تقياً- على تلاوة الأناشيد مدحاً في معبوده: " إنك أنت خالقي، وأنت الذي حكمتني في جيوش العباد... بدل قوتك الرهيبة حباً ورحمة... وابعث في قلبي الاحترام لربوبيتك، وهبني ما ترى فيه الخير لي... أنظر الى بعطف وتقبل دعائي..." (6).

وكان لما ارتفع وتكبر أن الله أذهب عنه رشده، فبات يأكل العشب كالثيران، وطال شعره مثل النسور وأظافره مثل الطيور، ثم عاد إليه عقله فاتضع أمام الله وقال:

"... وباركت العلى وسبحت وحمدت الحى إلى الأبد الذى سلطانه سلطان أبدي وملكوته إلى دور فدور، وحُسبت جميع سكان الأرض كلا شيء، وهو يفعل كما يشاء فى

(1) جوستاف ليون - حضارة بابل واشور ص 69 ترجمة محمود خيرت 1947

(2) جون أ. هامرتين - تاريخ العالم ص 418

(3) ربما تنسب المنطقة الى اوفير ابن يقطان الوارد ذكره في (تلك 10 : 29) الذي تنسب اليه قبيلة قحطان العربية، ويعتقد ان اوفير استقر في جنوب بلاد العرب عند اليمن- قاموس الكتاب المقدس ص 138.

(4) اش 13: 19، ار 51 : 41، دا 4: 30.

(5) يعتقد أنه البرج الذى أقامه أبناء نوح وكان يبلغ ارتفاعه 650 قدماً - قصة الحضارة، المجلد الأول ص 198.

(6) ول ديورانت - قصة الحضارة المجلد الاول ص 224.

جند السماء، وسكان الأرض، ولا يوجد من يمنع يده أو يقول له ماذا تفعل... من يسلك
بالكبرياء فهو قادر على أن يذله" (دانال 4).



نبوخذ نصر

٢٦١ - من سقلماء بابل... قد يسهل - و قد نه زب سقلماء قلماء ما وه زبلماء زبلماء علقا (١)

دانيال النبي وممالك العالم:

سبي دانيال⁽¹⁾ الى بابل في السبي الأول الذي وقع في العام الثالث من حكم يهوياقيم وفي هذا السبي سلب نبوخذ نصر آنية بيت الرب ووضعها في خزانة معبد الهته في ارض شنعار. ووقع اختيار أشفَنَر رئيس الخصيان على دانيال والفتية الثلاثة حننيا وعزريا وميشانيل (دا 1: 6).

وعند انتهاء فترة الاعداد والتدريب والتعليم وقفوا جميعا أمام الملك، وأعطاهم الله حكمة في القول والفعل والتدبير لحفظهم لوصاياهم. وظل دانيال في السبي طيلة ما تبقي من الحقبة الكلدانية وحتى العام الأول لكورش الملك الفارسي (دا 1: 21).

وفي السنة الثانية من ملكه رأى نبوخذنصر رؤيا الهية فاستدعى السحرة والعرافين ليفسروا له السر فيما رأى. ولكنهم عجزوا عن فهم ما يفوق عقولهم، وقالوا للملك "والامر الذي يطلبه الملك عسر وليس اخر يبينه قدام الملك غير الالهة الذين ليست سكناهم مع البشر" (دا 2: 11). وقد كانوا صادقين في قولهم هذا، لان الرؤيا كانت من عند الله وليست اضغاث احلام. فكلف الملك خادمه اريوخ ان يبيد كل حكماء بابل بما فيهم دانيال النبي ورفاقه الثلاثة الأبرار. ولكن دانيال وجد شفعة لدى الملك ان يمهله الوقت حتى يتبين له تعبير الحلم ومراده. وراح يصلي هو وأصحابه ان يلهمهم الرب بمعنى الحلم وينقذهم من تلك الورطة. والأفضل من ذلك ان يتمجد في قديسيه. وفي رؤيا الليل كشف له الرحيم السر المكنون. "فبارك دانيال اله السماوات... وقال ليكن اسم الله مباركا من الازل والى الابد لان له الحكمة والجبروت. وهو يغير الاوقات والازمنة يعزل ملوكا وينصب ملوكا يعطي الحكماء حكمة ويعلم العارفين فهما..." (دا 2: 19).

حينذ أدخل أريوخ دانيال الى مولاه فكشف له السر وأنقذ حكماء بابل من موت كاد ان يكون محققا. وعظم الملك دانيال وجعله رئيسا على جميع الحكماء في بابل وقربه منه. وحقيقة الأمر ان الملك هو الذي انتفع بالاكتر من دانيال وليس العكس. ولكنه لم يتعظ من كل ذلك وظل على ولانه لعبادة الاصنام. وذات يوم عمل الملك تمثالا لمعبوه ونصبه في دورا ببابل وصنعه من ذهب خالص، وخص الناس بالسجود له فلبى الجميع النداء الا الفتية الثلاثة الذين أبوا إلا السجود لله الواحد رب السماوات والأرض وحده.

(1) اقتيد الى بابل وهو لم يبلغ العشرين من عمره - موسوعة الكتاب المقدس ص 147 .

فأمر الملك بإحضارهم ليتيقن من الأمر. ولما تبين له صدق المدعين فإنه أجاز إجازتهم في أتون النار المحمى فلم تصبهم النار بأذى، ورآهم كمن ينتزهون في حدائقه المعلقة، فاندحش وتحير ونادى الفتية للخروج من الأتون وقال لهم :

" تبارك اله شدرخ وميشخ وعبد نغو الذي ارسل ملاكه وانقذ عبيده الذين اكلوا عليه... فمني قد صدر امر بان كل شعب وامة ولسان يتكلمون بالسوء على اله شدرخ وميشخ وعبد نغو فانهم يصيرون اربا اربا وتجعل بيوتهم مزبلة اذ ليس اله اخر يستطيع ان ينجي هكذا.." (دا 3: 28-30)

الرؤيا وتفسيرها:

رأى نبوخذ نصر - فى رؤى الليل- تمثالاً عظيماً رأسه من ذهب، وصدره وذراعه من فضة، وبطنه وفخذه من نحاس، وساقاه من حديد، وقدماه بعضهما من حديد والبعض من خزف، ثم قطع حجر بغير يد ف ضرب التمثال على قدميه فانسحق الحديد، والخزف، والنحاس، والفضة، والذهب معاً، وصارت كعصاة البيرد فى الصيف فحملتها الريح، أما الحجر الذى ضرب التمثال فصار جبلاً كبيراً، وملأ الأرض كلها" (دا 2: 31-36).

فاستدعى نبوخذ نصر، بلطشاصر (دانيال النبي) وعرض عليه رؤياه ليفسرها له. فأنبأه دانيال أن هذا التمثال يشير إلى مملكة بابل وإلى الممالك الأخرى التى سوف تعقبها وذلك على النحو التالى:

- 1- رأس التمثال (من ذهب): تشير إلى مملكة بابل الجديدة (حوالي 625 - 539 ق.م.).
- 2- الصدر والذراعان (من فضة): "يرمزون إلى مملكة مادى وفارس (539-332 ق.م.).
- 3- البطن والفخذان (من نحاس): يرمزون إلى مملكة الإسكندر المقدوني (332-32 ق.م.).
- 4- الساقان (من حديد): يرمزان إلى الإمبراطورية الرومانية (32 ق.م-؟).
- 5- القدمان (من حديد وخزف ونحاس): يرمزان إلى ظهور دويلات وممالك متفاوتة فى القوة والمجد.
- 6- الحجر: يرمز إلى مملكة المسيح الروحية، وانتشار المسيحية فى المسكونة كلها.

نهاية بابل وتحقق النبوات:

بعد موت نبوخذ نصر انتقل عرش بابل الى خليفته أويل مردوخ سنة 562 ق.م. وهو الذي اطلق سراح يهوياكين عام 651 ق.م. وبدأ الضعف يحل في المملكتين حتى استفحل في عهد خليفته بلشاصر في الوقت الذي اخذت فيه قوة الميديين والفرس بزداد يوما بعد يوم حتى تمكن قورش من توحيد المملكتين نحو عام 552 ق.م. ثم اتجه الى بابل واستولى عليها بعد ان هزم بلشاصر⁽¹⁾ آخر ملوكها نحو سنة 539 ق.م. وهكذا تحقق سقوط بابل على يد كورش ملك الفرس والميديين، وعن سقوطها كان إشعياء النبي قد أنبا وقال:

" فأقدم عليهم يقول رب الجنود، واقطع من بابل اسما وبقية، ونسلا وذرية يقول الرب، واجعلها ميراثا للقنفذ وآجام مياه، واكنسها بمكنسة الهلاك يقول رب الجنود " (اش 13: 11-14).

وقال أرميا النبي:

"نادوا عليها ممالك آراراط، ومتنى، واسكناز، أقيموا عليها قائدا، أصعدوا الخيل كغواء مقشعرة، قدسوا عليها الشعوب؛ ملوك مادی ولاتها... ليجعل (الرب) أرض بابل خراباً بلا ساكن... وتكون بابل كوماً ومأوى بنات آوى، ودهشاً وصغيراً بلا ساكن... وأعاقب بيل (إله بابل) في بابل، وأخرج من فمه ما ابتلعه فلا تجرى إليه الشعوب بعد ويسقط سور بابل أيضاً"⁽²⁾. لقد زالت المدينة التي وصفها بوزانياس بأنها "أكبر مدينة عرفتها الشمس في مسيرتها"⁽³⁾

وهكذا لم يقدر لتلك المدينة ان تهنأ طويلا بالمجد الذي كان لها مثل طيبة ونيوى فقد حاصرتها جيوش الماديين والفرس ولما تعذر على قورش دخولها فانه - كما يروي هيرودوت - حول مياه الفرات فانحسرت عن مجراه الذي كان يخترق المدينة من تحت اسوارها فدخلها واهلها سكارى على فراش الخطيئة في عام 539 ق.م.

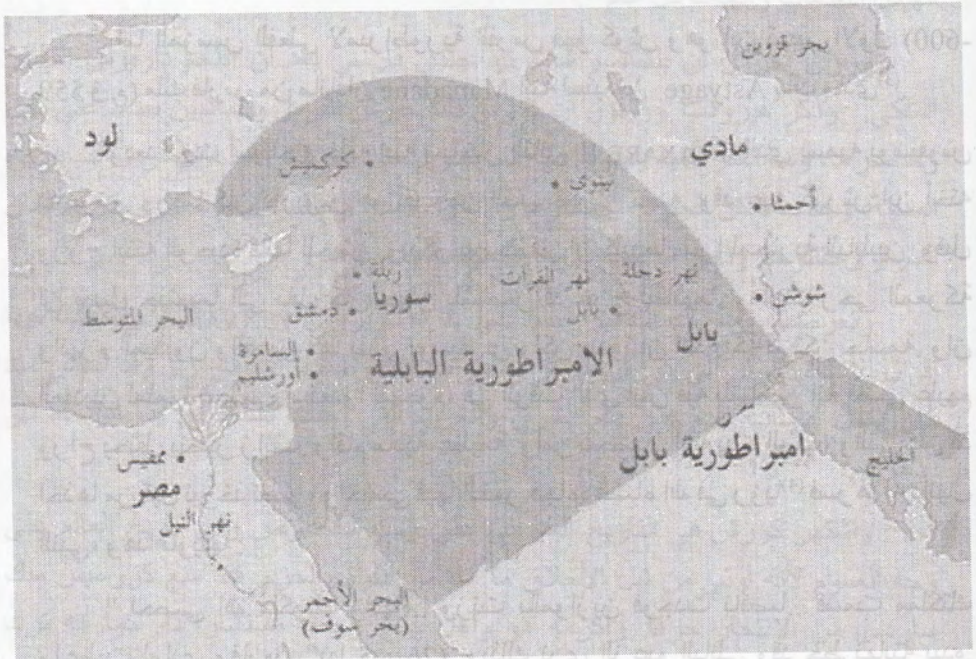
ونهب الفرس نفائسها وبمرور الوقت لم يبق فيها حجر على حجر. واستمرت المدينة مهجورة الا من الزواحف والطيور الجارحة حتى وطأتها الجيوش المقدونية. واراد الاسكندر ان يعيد بناء هيكلها لكن الموت عاجله. ثم كان للصراع الذي دب بين قادة الاسكندر اثره السيئ على المدينة التي الت الى السليوقيين ولكن بدلا من ان يعيدوا

(1) د. نجيب ميخائيل - مصر والشرق الأدنى القديم ص 455.

(2) أر 51: 27-44، إر 50: 35-40، اش 13: 17-31.

(3) ارنست بابلون - الآثار الشرقية ص 65.

تعميرها فضلوا اقامة مدينة اخرى الى الشمال منها وهي التي حملت اسمهم (سليوقيه) نسبة الى سليوقوس. واذا كان التاريخ قد اوعز الى هيرودوت ان ييوح باسرار عزها، فانه لم يخفي عن سترابون ما اصابها من تدمير حتى صارت كصحراء قاحلة وامست اطلالها ومأوى لحيوانات البرية.



الامبراطورية الفارسية

كورش وتأسيس مملكة الفرس:

ينسب الوحي الالهى العيلاميين (الفرس) الى جدهم الأكبر عيلام ابن سام ابن نوح⁽¹⁾. كما انه يميز بينهم وبين الميديين⁽²⁾ كشعبيين مختلفين (25 : 25). ونظرا لتجاور الشعبين وتقاربهما المكاني والعرقى فنجدهما يردان معا في الاسفار التاريخية والنبوية.

اما المؤسس الفعلي لامبراطورية الفرس فهو كورش وهو ابن قمبير الأول (600-559 ق.م) ملك فارس من مانادان Manadane ابنة استياج Astyage ملك مادي⁽³⁾.

وبعد موت استياج خلفه ابنه سياخار الثانى CYAXARE II الذي يسميه يوسفوس داريوس. وربما كان داريوس هو لقب من القاب قورش نفسه. وقد عين كورش ابن أخته وزوج ابنته الوحيدة قائدا للجيش. ويذكر يوسفوس ان كليهما سارا لمحاربة البابليين. وقبل ان يصل جيشهما الى بابل كان جيش بلشاصر قد خرج للقائهما. ودارت رحى المعركة وانهزم الميديون والفرس كما يقرر يوسفوس ولكن يبدوا ان المعركة لم تكن حاسمة. وان الميديين لملموا شملهم واستعدوا للهجوم، في الوقت الذي ايقن فيه بلشاصر انه قضى عليهم وراح يحتفل بنصر زائف. وأقام مأدبة عظيمة وأمر باحضار آنية بيت الرب، والتي كان قد اخذها من قبل نبوخذ نصر، واحتسى فيها الخمر فجاءه قضاء الله في رؤيا⁽⁴⁾ فسر لها له دانيال النبي، وهذا تاويلها :

" احصى الله ملكوتك وانها.. وزنت بالموازين فوجدت ناقصا.. قسمت مملكتك واعطيت لمادي وفارس " (دا 5 : 26). وبذلك نرى الزعيم البابلي وقد خط نهايته بيده. وكان ذلك الجزاء عادلا له ولكل حاكم او امة اسرفت في الظلم والمجون، ليبقى عدل الله ما بقيت او زالت الأمم.

(1) تذك 10 : 22، دا 8 : 2.

(2) يعتقد المختصون بان الميديين والفرس ينتمون إلى الجنس الآري الذى نشأت عنه الشعوب الهندو-أوربية. وكانوا يسكنون المنطقة الواقعة فى إقليم بخارى وسمرقند، ومنه توغلوا جنوبا حتى وصلوا إلى بلاد فارس حيث أنشأ ديويسيس ملكهم مدينة أكباتان (همدان) لتكون مقرا لعرشه، ومنذ ذلك الوقت أصبح الميديون خطرا يهدد جيرانهم وبخاصة مملكة آشور التي عملوا على اسقاطها بمساعدة البابليين نحو سنة 612 ق.م.

(3) Bossuet- discours sur l'histoire universelle P. 30.

(4) رأى بلشاصر يدا تكتب على الحائط مصيره بكلمات رمزية " وهذه هي الكتابة التي سطرت منا هنا تقبل وفرسين " (دا 5 : 25).

وحدث بعد ذلك - كما يروي يوسيفوس - ان احد خدم بلشاصر اغتاله وهو نائم في فراشه، وقطع رأسه وذهب بها الى كورش. وقص عليه امر انتهاكه للمقدسات واحتسائه للخرم في الأواني المكرسة لببيت الرب، وأمر الكتابة وتفسيرها. فوعد كورش باعادة المسيبين والأواني المقدسة، وباعادة بناء بيت الله الذي هدمه البابليون متى حانت له الفرصة. وبالفعل تمكن الحليفان من دخول بابل واقتسما املاكها. وبر كورش بوعده وزاد عليه ان تبرع بالإتفاق على اعمال البناء من ماله الخاص. وكان يطلق للقائمين على خدمة الهيكل التقدّمات والهبات كل عام⁽¹⁾.

وروى آخرون ان بلشاصر مات بيد جندي فارسي بعد ان اقتحم داريوس القصر الملكي. وذكر هيرودت وزنفون أن كورش قائد جيوش الفرس والماديين صعد على بابل وحاصرها، ولما تعذر عليه دخولها فإنه قام بتحويل مياه نهر الفرات؛ فانحسرت المياه تجاه المدينة، وعندئذ تمكن الجنود من دخولها وباغتوا الملك، وحاشيته وهم سكارى في أحضان السرارى فقتلوه. ونهبوا ما بقصره وما بالمدينة، ثم دمروها.

وتعرضت بعد ذلك للتدمير التام على يد أحشويروش AXARXES. وتحققت فيها اقوال الأنبياء. ثم آل الى كورش عرش مملكة مادي⁽²⁾ وضمها الى فارس. وقد انقض منذ كان يعمل لحساب جده على أمم الشرق والغرب التي أخذت تسقط في يده الواحدة تلو الأخرى.

واشتهر كورش في التاريخ العبرانى على وجه الخصوص وفي تاريخ العالم على وجه العموم لأنه أوتى من نبل الأخلاق ما أتاه من القوة والحزم. فقد منع كروسيس ملك ساردس من الانتحار حرقاً. واکرمه هو وأهل بيته، وجعله مستشاراً له. كما أنه ترك للشعوب التي خضعت له الحرية في ممارسة شعائرها وفقاً لمعتقداتهم ونحلهم. كما سمح لليهود بالعودة إلى بلادهم بعد مضي ما يقرب من سبعين عاماً على سبيهم في بابل. وصدرت لذلك ثلاثة قرارات⁽³⁾. وأذن لهم باستعادة كنوز الهيكل التي سلبها منهم نبوخذ نصر. فإذا كان نبوخذ نصر يمثل عصا التأديب لهم فإن كورش كان العكاز الذي توكأوا عليه. وتنبأ عنه إشعياء النبي قانلاً: "هكذا يقول الرب لمسيحية، ولكورش الذى أمسكت

(1) يوسيفوس - القمص انطونيوس الأنطوني ص 13.
(2) جيمس هنري برستيد، تاريخ الشرق القديم ص 263. ترجمة د. احمد فخري، القاهرة 1969. & جون أ. هامرتين - تاريخ العالم.
(3) الاول: أصدره كورش نفسه حوالى عام 536/8 ق.م. وينص على عودة اليهود الى بلادهم (عز 1: 1-17)، الثاني: أصدره داريوس سنة 518 ق.م. (عز 6: 1 - 12). الثالث: صدر من ارتخششتا (ارتاكسر كسيس) سنة 457 ق.م. (عز 7: 12 - 26).

بيمينه لأدوس أمامه أمماً وأحقاء ملوك... أنا أسير قدامك والهضاب أمهد... أنا الرب وليس آخر: لا إله سواي مصور النور، وخالق الظلمة. (اش45: 1-8).

وأخيراً مات كورش صريعاً في إحدى المعارك التي خاضها ضد القبائل التي كانت تهدد أطراف مملكته من الشمال؛ فخلفه ابنه قمبيز. وقد امتدت الإمبراطورية التي أسسها قورش من الهند إلى اثيوبيا وفي سبيل ذلك خاض حروباً كثيرة. فكان عليه أن يواجه الحلف الثلاثي المكون من مصر وليديا وبابل. فهزم كريسوس الزعيم الليدي نحو سنة 547 ق.م. كما انتصر على بابل في عام 539 ق.م. ولم يمهله الأجل أن يحقق طموحه في مصر الأمر الذي تيسر لخلفه قمبيز الذي دهم القطر المصري في سنة 525 ق.م.

وعن الكيفية التي مات بها كورش يروي يوسفوس أن كورش حارب ملك شطيم وقتله هو وابنه بينما تمكنت زوجته من الهرب، وكمنت له في عدد لا بأس به من الرجال. وثناء عودته بعد أن سبقه أكثر الجيش إلى بلاده، انقضت عليه توليد أرملة ملك الشطيم، وطوقوه وظفروا به وقطعوا رأسه⁽¹⁾. ويقول بريستد أنه مات صريعاً في ساحة الوغى عام 529 ق.م. أثناء قتاله مع البدو⁽²⁾.

وروى بلوتارخوس (بلوتارك) المؤرخ أنه قرأ على قبر⁽³⁾ قورش هذه العبارة "أيها الإنسان كائنا من تكون ومن أي مكان جئت، أنا كورش مؤسس الإمبراطورية الفارسية. لا تحسني على التراب القليل الذي يغطي جسدي"⁽⁴⁾.

وتعاقب على عرش فارس مجموعة من الملوك كان آخرهم داريوس الثالث الذي في عهده زالت الأسرة الأخمينية التي افتتحها قورش. وكان لتقدم المقدونيين وعلى رأسهم الإسكندر الأكبر العامل الأساسي في إسقاط دولة فارس التي قدر لها البقاء لنحو قرنين من الزمان.

(1) يوسفوس- المرجع السابق ص 14.

(2) جيمس هنري برستيد، تاريخ الشرق القديم ص 265. ترجمة د. احمد فخري، القاهرة 1969.

(3) دفن قورش في القبر الذي أعده لنفسه على مقربة من القصر والمعبد وبعد نحو مائتي سنة زار الإسكندر قبر قورش ووجد جثمانه ملقى على الأرض بعد أن جرده اللصوص من الحلي فأمر الإسكندر بالنعيا به. وقد عثر على بقايا قصره في بازار جاداي Pasargadae وفيه عثر على نقش بارز للملك مصحوباً باسمه ولقبه "قورش الملك العظيم" - جيمس هنري برستيد، تاريخ الشرق القديم ص 264.

(4) هيرت لوكير - ملوك وملكات الكتاب المقدس ص 55.

عودة المسيبيين:

فى عام 538 ق.م أصدر كورش الملك أمره كتابة بعودة بنى إسرائيل الذين كانوا فى بابل منذ تم سبيهم قبل سبعين عاماً إتماماً لنبوّة أرميا النبو (25: 12)، كما حثّ العاندين على المساهمة فى إعادة بناء مدينتهم وھيكلهم الذى دمره البابليون. وأمر متراواس بتسليم الأنبة التى سلبها نبوخذ نصر من بيت الرب لشيشبصر (زروبابل) رئيس يھودا، وھى عبارة عن 5400 أنبة من الذهب والفضة (عز 1: 11).

وفور عودة المسيبين قام زروبابل بن شالتنيل ويشوع بن يوصاداق ببناء مذبح للرب لتقديم الأضاحى (عز 3). كما حملا على عاتقھما مهمة إعادة بناء أسوار المدينة، وھيكلھا. وذلك على أكتاف سبطى يھودا وبنيامين. ورفض زروبابل اشتراك أسباط المملكة الشمالبة فى العمل لأنهم كانوا يعبدون الأصنام التى أقامھا لهم عدد من ملوكهم. ولذلك نراهم يلجأون إلى الوشاية لدى ملوك فارس لإيقاف العمل بحجة أن أورشليم مدينة عاصبة وقد تتمرد عليهم متى قويت واستحکمت أسوارھا. وقد وجدت هذه الوشايات صداھا لدى أرتحششتا ARTAXARXES؛ فأمر بإيقاف العمل لفترة. وبقي الأمر معلقاً حتى السنة الثانبية من حكم داريوس الذى أصدر أوامره باستكمال أعمال البناء والترميم (عز 5، 6).

وفى السنة السابعة للملك أرتحششتا صعد عزرا⁽¹⁾ بن سارايا الكاتب والكاهن، وأتى إلى أورشليم محملاً بالمنح والعطايا لأجل الھيكل وخدامه، وتولى عزرا التنظيم الإدارى والسياسة والدينى داخل أورشليم، وأقام عليها حكماً، وقضاة لسياسة الشعب (عز 7، 8).

وأما نحميا⁽²⁾. فقد كان ساقياً للملك أرتحششتا فى مدينة سوص SUS (شوشن القصر)، واعتاد يصوم ويصلى باكياً على ما أصاب شعبه من السبى وانتشتت خارج بلادهم نتيجة لخطاياهم ويلتمس العون من رب الجنود عساه ينظر إلى صراخهم. وفى السنة العشرين من حكمه أذن ارتحششتا لنحميا بالذهاب إلى أورشليم للمشاركة فى ترميم أسوارھا، وأبراجھا المهدمة على أن يعود لخدمته ثانبية، وأرسل معه قوة عسكرية لمتابعة العمل، فأتم نحميا مهمته فى غضون إثنين وخمسين يوماً فقط (نح 6: 15).

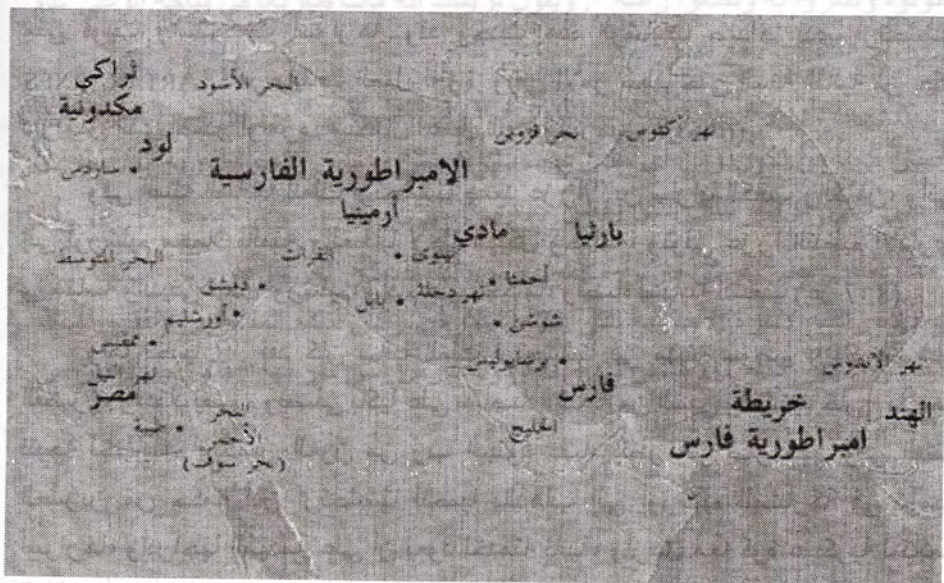
وتحدث نحميا عن جهود زميله عزرا الذى سبقه فى العمل، وكيف أنه اجتمع بالعائدين الذين نسوا لغة بلادهم، وتمكنت منهم لغة الكلدانيين، وأخذ يتلو فى مسامعهم سفر شريعة

(1) عاد من السبى نحو عام 457 ق.م.

(2) عاد من السبى نحو عام 444 ق.م.

الرب مفسراً إياها (نح 8). وتعهد الشعب - كعادته - أن يسيروا في شريعة الرب وأن يحفظوا وصاياه (نح 10: 29).

وكان لسبى بنى إسرائيل، وابتعادهم عن موطنهم أن اتاحت الفرصة لجيرانهم أن يحلوا محلهم. ويعمروا أرضهم، فلما عادوا من السبى وجدوا الكنعانيين، والحثيين، والفرزيين، واليوسيين، والعمونيين، والموابيين، والمصريين، والأموريين يسكنون أرضهم، فأختلطوا بهم، وصاهروهم، وعبدوا آلهتهم فلما سمع عزرا نبأ اختلاطهم بهم أن مدق ثيابه وبتف لحيته (عز9). وبقي اليهود ينعمون بالحرية الدينية قرابة قرنين من الزمان فى ظل الحكم الفارسى (332-332 ق.م). ثم خضعوا للإسكندر وخلفائه لنحو ثلاثة قرون (332-62 ق.م). ثم للرومان، وظلوا تحت الحكم الرومانى حتى تم حصار أورشليم والتدمير الأخير الذى لحقها نحو عام 70م على يد تيطس القائد الرومانى.



(٢١: ٥) الحق له من يسمع وينتبه إن سمع ربه فتموه ليحيا ملكا

تخلص قمبير (الثاني) من أخيه سمرديس فخلا له العرش بعد مصرع كورش أبيه، ووجه قمبير لاحظية صوب مصر ذلك البلد الغني بثروته المتقدم على الشعوب بحكمته مستغلا ما به من ضعف وانقسام، وبالفعل دخل البلاد، ووصل حتى منف ولكن الحملة التي بعث بها إلى واحة آمون بسبوه هلكت في رمال الصحراء لانتشار الكثبان الرملية. كما فشلت حملة أخرى في الاستيلاء على قرطاجة إحدى مستعمرات الفينيقيين، وأصاب حملة كوش ما أصاب الحملتين السابقتين. وقد قادته حماقته أن يسخر من آلهة المصريين؛ فاشهر سيفه في وجه أبيس عجلهم المقدس، ونش قبور ملوكهم، وذنس معابدهم مما زاد من سخطهم على الحكم الفارسي. وانتهت حياته بالجنون؛ فقتل زوجته، وأخته روكسانا، وصرع ابنه بركسيس بسيف غاشم، كما وأد اثني عشر رجلا من حاشيته. وبعد موته احتدم النزاع حول العرش؛ فاستغلت بعض الولايات التابعة لفارس ما دب فيها من انقسام وأعلنت استقلالها مثل بابل، وآشور، وميديا.

وبصعود داريوس ابن هشتسبس على عرش المملكة استخدم القوة والعنف في استرداد البلاد التي استقلت، ويروى أنه قام بصلب ثلاثة آلاف نفس من كبار أعيان بابل. ويروى - ربما بشئ من المبالغة - أنه اخضع بابل وعيلام وميديا وآشور ومصر وبارثيا وارمينيا. ومن الجزر والمدن اليونانية ساموس وسارديس وافسس واثينا ومقدونيا وديلوس وكاريسستوس. واعاد تنظيم الامبراطورية، فمهد الطرق بين الولايات وجعل في كل ولاية مرزبانا ينوب عنه SATRABE واتخذ من سوس (شوشن) مقرا له واستقدم لها الفنانين من ايونيا. وقد اقامها على مساحة 70 فدانا خصص منها 12 فدانا للقصر الملكي. كما بنى له قصرا اخر في بابل وفي بَرسا PARSA (برسبوليس). وفي مصر اقام معبدا في الواحات الخارجة يسمى معبد Hibis، كما انه انه اكمل مشروع ربط الفرع البوبستي للنيل بالبحر الاحمر الذي كان قد بدأه نحو (نكاو، اسرة 26). واصدر داريوس امرا صرح فيه لليهود باستكمال اعمال التشييد والبناء في مدينة اورشليم وهيكلها، ولم تقلح وشاية السامريين في ايقاف العمل.

وعندما اضطرته هجمات السكوديين أن يذهب لتأديبهم مخترقا السفور والدرنديل؛ ان استغلت ايونيا فرصة انشغاله ودخلت في حلف مع اسبرطة، واثينا، وأعلنت استقلالها. وعندما تصدى دارا للمدن المتحالفة فانه لقي الهزيمة عند سهل ماراثون MARATHON،

فتقهقر إلى بلاده، وهو عازم على العودة لكن المرض الذى افضى بحياته⁽¹⁾ حال دون تحقيق ذلك.

وفي برسبوليس بنى دارا قصرا له يبعد نحو اربعين ميلا جنوب قصر قورش. وقد ترك نقشا⁽²⁾ على صخرة بهستون BEHISTON التي تعتبر حجر رشيد اسيا. ونقش دارا يعد من اهم الوثائق التاريخية التي عثر عليها في اسيا وهو مكتوب باللغة الفارسية والبابلية والعلامية ويتحدث عن انتصاراته وانجازاته⁽³⁾.

أما خشيارشاهى (احشويروش الأول XARXÈS فقد تسبب انخراطه هو وشعبه في الرذيلة أن لقي الهزيمة فى سلاميس SALAMIS سنة 480 ق.م. ثم لقي حتفة على يد أرتبانوس (أردوان)، وذلك بتدبير من خليفته ارتخششتا الاول ARTAXARXÈS. وفي عهده كان كثيرون من العبرانيين المسيبيين منذ العهدين الآشوري والبابلي يستوطنون المناطق التي تم نفيهم اليها حتى عهد ارتخششتا وهو ما اكدته اعمال التنقيب التي اجريت في نيبور "وقد كشفت الحفريات الأمريكية في نيبور عن وثائق تجارية لتاجر الجملة موراشو وابناؤه تعود الى عصر ارتاكسر كسيس (حوالي 450 ق.م.) وفيها نقرأ أسماء الكثيرين من المنفيين الذين كانوا يقيمون في بابل مثل نثنائيل وحجي وبنيامين. كما نقرأ عن قناة خابور عند مدينة نيبور"⁽⁴⁾ وهؤلاء كانوا ممن اخذتهم الجيوش الاشورية الى حلب وخابور حسبما جاء في اخبار الملوك "في السنة التاسعة لهوشع اخذ ملك اشور السامرة وسبى اسرائيل الى اشور واسكنهم في حلب وخابور نهر جوزان وفي مدن مادي⁽⁵⁾. وعند هذا النهر رأى حزقيال النبي رؤياه⁽⁶⁾

وبعد فترة حكم طويلة قضاها ارتخششتا (465-425) على عرش فارس خلفه احشويروش الثانى. لكنه لم يعمر طويلا مثل سابقه، فقد امتدت إليه يد أخيه غير الشقيق سجديانوس بعد بضعة أسابيع من توليه الحكم. ثم اغتيل هو الآخر بعد ستة أشهر على يد دارا (الثانى) الذى بلغت به الحماسة ان أمر بتقطيع زوجته اربا، ودفن أمه واخوته أحياء.

-
- (1) حوالي عام 486 ق.م.
 (2) تمكن السير هنري رولنسون وغيره من حل رموز الكتابة البابلية والفارسية الموجودة علي هذه الصخرة الموجودة في الطريق بين بابل والهضبة الايرانية والنقش على ارتفاع 300 قدم.
 (3) جون أ. هامرتين - تاريخ العالم ص 418.
 (4) فريدريك دبليتش - بابل والكتاب المقدس ص 10. ترجمة ايرينا داود، دمشق 1987.
 (5) 2مل 17 : 6، 1 اخبار 5 : 26.
 (6) حز 1 : 1، 3 : 15... الخ

وبعد موته خلفه على التوالي كل من أرتخششتا الثالث أوخوس (359-338 ق.م.)، ثم أرسيس (338-336 ق.م.)، وأخيرا دارا الثالث (336-330 ق.م.) وهو الذي دخل في حرب ضد الإسكندر فتلقى الهزيمة عدة مرات على التوالي انتهت باغتياله وانتهاء ملكه الذي آل الى الاسكندر الاكبر . وبذلك تكون قد زالت مملكة مادی وپارس، أى رأس التمثال التي من ذهب، لتحل محلها مملكة الإسكندر المقدوني والتي يشير إليها صدر التمثال وذراعه (دا 2). وتحققت في سقوطها اقوال ارميا وحزقيال النبيين⁽¹⁾



داريوس الثالث



الاسكندر الأكبر

(1) ار 49: 34-39، حز 32: 24.

الإمبراطورية المقدونية

الأسكندر الأكبر

بعد موت فيليب الثاني ملك مقدونيا واصل الاسكندر⁽¹⁾ سياسة ابيه لتحرير المدن اليونانية في آسيا الصغرى من سيطرة الفرس. وبالفعل تمكن من اخذ كل من فريجيا وليديا وافسس وميليت وهاليكارناس. ثم اتجه نحو الساحل الشرقي للمتوسط حيث استولى على بعض المدن، ثم توغل نحو الشمال والشمال الشرقي حتى بلغ جبال طوروس مستوليا على كيليكية وطرسوس، وهنا اضطر داريوس الى التصدي للحصان الجامح بل للتيس العافي ذي القرن، والتقى به عند ايسوس سنة 322 ق.م. وعلى اثر هزيمته اضطر داريوس الى الفرار. ثم سار الاسكندر الى الساحل الفينيقي حيث سقطت في يده المدن، وكانت آخرها صور التي استعصت عليه لحصانتها؛ ففرض عليها الحصار الذي استمر سبعة أشهر ثم سقطت أخيراً في يده فدمرها وأشعل فيها النار. وتحققت فيها نبوءة زكريا النبي: "ها السيد يمتلكها، ويضرب في البحر قوتها، وهى توكّل بالنار" (زك9: 4).

ومن صور ارسل الاسكندر الى اليهود يدعوهم للدخول في طاعته، ويطلب منهم المؤنة لجنوده لكنهم أبوا بحجة الالتزام بالولاء للفرس ما دام داريوس على قيد الحياة. اما السامريون فقد انصاعوا له وارسلوا له المؤنة والعتاد وثمانية الاف رجل من رجال الحرب. ولما توجه الاسكندر الى اليهودية، فانه لم ينتقم من اهلها، بل انه نزل من على صهوة جواده ليصافح رئيس الاحبار الذي خرج للقائه وبصحبه جمع غفير من الكهنة والوجهاء. وإنحنى الاسكندر امام الحبر الكبير فادهش ذلك رجاله، واستنكر برمينوس هذا التصرف وقال لقائده "كيف تسجد لحبر اليهود انت الذي يسجد لك العالم كله، فأجابه الاسكندر: لم اسجد للحبر بل للاله الذي هو خادمه⁽²⁾. واخبره الحبر بنبوءة دانيال التي تحدثت عنه مما ابهج الاسكندر وزاده سرورا وتقديرا للحبر ولإلهه. ثم اصطحبه الحبر

(1) ولد في 29 تموز سنة 356 ق.م. انجبته اولمبيا الزوجة الشرعية لفيليب الثاني. وكان لفيليب ابن اخر من زوجة ثاتوية يدعى فيليب اريداوس. ويروي بليني انه في يوم ولادة الاسكندر التهمت النيران هيكل ديانا(ارتيميس) في افسس الذي كان من عجائب الدنيل السبع، فكان ذلك مشوما على اسيا الصغرى التي ذللتها في بدئ ملكه. وكان الفتى منقاد الذهن يتمتع بذكاء حاد وبفطنة عارمة فكان نعم التلميذ لارسطو الفيلسوف الشهير الذي قال فيه "لقد حباني ابي الحياة، واما ارسطو فقد علمني كيف احيا حياة حسنة"، وكان مغرماً بالحروب وخوض المعارك، وكان كلما عاد ابوه منتصرا كان الفتى بعكس الناس يظهر استياءا ولما سألوه في ذلك اجاب بان اياه قد اخذ كل المدن ولم يبق له شيئا يفتتحه. - المطران يوسف الدبس، تاريخ سوريا - الجزء الثاني - المجلد الثالث بيروت 1898. عن بليني ك36 ف 14.

(2) المطران يوسف الدبس، تاريخ سوريا - الجزء الثاني - المجلد الثالث، بيروت 1898، ص 65.

الى الهيكل حيث قدم الاسكندر فروض الطاعة والهدايا كعادته في كل بلد يفتتحها، فإنه كان يحترم عبادة اهلها ويحترم أربابهم. وقيل انه سلك هكذا لأنه رأى رؤيا تحذره من المساس بالمدينة ومقدساتها.

وكان دانيال النبي قد تنبأ عن مملكة الاسكندر:

" وبينما كنت متأملاً. إذا بتيس من المعز(المملكة المقدونية) جاء من المغرب على وجه كل الأرض، ولم يمس الأرض. وللتيس قرن معتبر بين عينيه، وجاء إلى الكبش صاحب القرنين (مملكة الفرس) الذي رأيته واقفاً عند النهر ورقض إليه بشدة قوته. وقد وصل إلى جانب الكبش، فاستشاط عليه وضرب الكبش وكسر قرنيه، فلم تكن للكبش قوة على الوقوف أمامه. وطرحه على الأرض وداسه. ولم يكن للكبش مُنقذ من يده فتعظم تيس الماعز جداً ولما اعتز انكسر القرن العظيم وطلع عوضاً عنه أربعة قرون معتبرة نحو رياح السماء الأربع... وأما الكبش الذي رأيته ذا القرنين فهو ملوك مادی وفارس، والتيس العاقى ملك اليونان⁽¹⁾، والقرن العظيم الذي بين عينيه هو الملك الأول (الاسكندر)" (دا 8: 21-7). وأما غزة فقد اصرت على المقاومة فلقبت ما لآفته صور بعد أكثر من شهرين من الحصار، وسحل المقدونيون قائدها حول المدينة. ثم سار الإسكندر إلى

(1) يعتقد ان الشعب اليوناني يرجع في الاصل الى المدعو يوان ابن يافث ابن نوح، فبالإضافة الى التشابه الواقع بين الاسمين، نرى ان نسل يوان هم اليشة وترشيش وكثيم ودودانيم(رودانييم) وقد استوطنوا بلاد اليونان وما جاورها في البحر واليابسة. وتنسب إحدى الروايات القديمة الشعب اليوناني الى جد اقرب لهم عهدا هو هيلين ومنه اشتقت كلمة هيلينستي للتعبير عن الثقافة واللغة اليونانية. كما توجد رواية أخرى تقول بأن قبيلة يونانية تدعى كراي (كريك - اغريق) استظهرت على جاراتها واصبحت لها الزعامة في البلاد التي حملت اسمها : بلاد الاغريق.

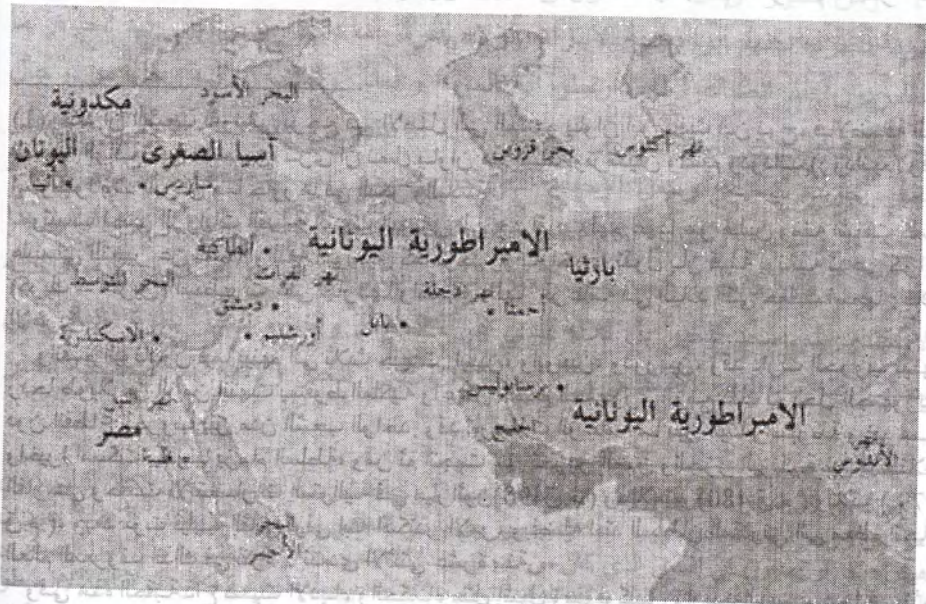
وانقسم اليونانيون فيما بينهم الى ثلاث جبهات: ايليين، وايونيين، ودوريين، وقد دارت الحروب بينهم ردحا طويلا من الزمن انتهت بسقوط الملكية واعلان الحكم الجمهوري، ومع ذلك لم تحل الجمهورية دون انقطاع الحروب بين مدن الشعب الواحد. وقد تارحجت الزعامة ما بين اثينا واسبرطة وغيرها، واخيرا امسكت مقدونيا بزمام السلطة، ومن ثم اتجهت الى تحرير المدن والجزر اليونانية من الاحتلال الفارسي وحققت الانتصارات المتوالية في ماراثون(490ق.م.) وسلاميس(480 ق.م.) وبلاتا (479 ق.م.)، وبعد موت فيليب الثاني تولى ابنه اسكندر الامر، وبفضله امتد السلطان المقدوني الى معظم انحاء العالم المعروف آنذاك في فترة لا تتعدى الاثنتي عشرة سنة.

وفي هذه الحقبة ذاع صيت الادباء والحكماء مثل اشيل وسوفوكليس واربيد الذين برعوا في نشر التراجيديا وفي قرضها، كما برز اريستومان كتب في الكوميديا. وجاب هيرودوت اليايس والماء ليدون اخبار الشعوب والبلدان فكان ذاكرة العالم آنذاك. وبرع الفلاسفة مثل طاليس وديموقراطيس وفيثاغورس وغيرهم وكانت ارواهم هي اللبنة التي بنى عليها كل من سقراط وافلاطون وارسطو صرح الفلسفة اليونانية التي اضاءت عقول الباحثين في الشرق والغرب في الوقت الذي كانت حضارة الفراعنة تلفظ انفاسها الاخيرة تحت وطأة الاحتلال الفارسي.

مصر⁽¹⁾ حيث إستقبله أهلها كفاتح جا. نقذهم من الحكم الفارسي الغاشم، ولكن هل التزم الحكام بالعدل تجاه المحكومين عيلة عهد البطالمة الذين خلفوا الاسكندر في حكم مصر ام ان للمستعمر دائما خصاله؟! ان الاسكندر الأكبر

ومن مصر عاد إلى سورية في ربيع سنة 331 ق.م، فبدأ أولاً يثأر من السامريين لأنهم اغتالوا نائبه اندروماخوس حرقاً، علم الرغم من انهم اجاروا الاسكندر اثناء حصاره لمدينة صور. ويُرجع المؤرخون سبب ذا الانقلاب الى حقد السامريين وغيرتهم من اليهود لأن الاسكندر مَنَّ على اليهود بما ضن به عليهم.

وتحقيقاً لنبوذة دانيال النبي واصل الاسكندر زحفه نحو فارس، وعبر دجله. وهناك بين موقع نينوى وأربيل هزم آخر حشد من جيش الفرس. ثم اخذ الاسكندر بابل وسوس (شوشن). وهناك جاءتة نجدة من مقدونية وتراسه (تراقيا) والموره، عوضته عن خسرهم في معاركه. وقبل ان يغادر سوس ترك بها ارخيلاوس واليا وابوليت حاكما عاما. ثم سار الى برس بوليس العاصمة الثانية للفرس حيث أحرق القصر الملكي الذي كان قد شيده داريوس، انتقاماً لتدمير المعابد الدينية في أثينا على يد أحشويرش.



(1) كان على الاسكندر ان يفتح صور قبل الذهاب الى مصر، خشية ان تنضم هذه المدينة الى الفرس الذين كانت مصر في حوزتهم، ومن ثم تضع اسطولها تحت تصرفهم.

وبعد مصرع داريوس بيد واحد من رجاله⁽¹⁾ اتجه الاسكندر الى اقليم بخاري. وبعد ذلك توغل نحو الشرق، ونحو الجنوب الشرقي قاصدا الهند وكان ينوي مواصلة فتوحاته لكن تآمر رجاله اضطره إلى ايقاف الغزو. وربما لو طال به العمر لكان الاسكندر هو اكبر الغازين واول المستكشفين للقارات. ولكن الله الذي يرى مصير الشعوب والافراد هو الذي اوقف الاسكندر عند هذا الحد. وكان قد استولى على اكثر من اثنين وعشرين ولاية⁽²⁾. وقبل موته الذي حدث في بابل كان الاسكندر قد عقد في مدينة سوس على برسین⁽³⁾ ابنة داريوس. كما عقد عددا كبيرا من الزيجات بين قاداته وبين اميرات الفرس ليجعل من البيتين دما واحدا مما يحول دون وقوع الحروب بين الشعبين.

ثم توجه الاسكندر الى بابل في ربيع سنة 323 ق.م. وهناك مات في 13 يونية من نفس العام، وقبل أن يتم عامه الثالث والثلاثين. وهكذا انكسر القرن الذي بين عيني التيس. "ولم تنقضي عشرون سنة على موته حتى كانت امبراطوريته قد تفككت وقامت على انقاضها اربع ممالك"⁽⁴⁾ وهو ما سبق وأنبا به الوحي الإلهي قبل وقوعه:

" وإذا انكسر وقام أربعة عوضاً عنه فستقوم أربع ممالك من الأمة ولكن ليس في قوته" (دا 8: 22). وبالفعل انقسمت امبراطورية الاسكندر إلى أربع قوى رئيسية. على رأس كل منها قائد: بطليموس في مصر، وسيلوقس في بابل، وانتيغونس في آسيا الصغرى، وانتيباتر في مقدونيا. وعن موت الاسكندر قال سفر المكابيين الأول: "وبعد ذلك انطرح (الاسكندر) على فراشه واحس في نفسه بالموت فدعا عبيده الكبراء الذين نشأوا معه منذ الصبا؛ فقسم مملكته بينهم في حياته. وكان ملك الاسكندر انتتى عشرة سنة ومات فتملك عبيده كل واحد في مكانه ولبس كل منهم التاج بعد وفاته" (1 مك 10: 6).

نبي لعمري ان هذا الممثلة ببقائه منذ ان يقاوم رجا لهفاته من مصيبتنا ببقائه في هذا العالم

نجد - تبيننا - ان هذا الممثلة ببقائه منذ ان يقاوم رجا لهفاته من مصيبتنا ببقائه في هذا العالم

(1) تفصيل ذلك ان الاسكندر ارسل فرقة إلى أكباتان لتتبع داريوس الثالث، ولما بلغ المقدونيون المدينة كان داريوس قد تركها وتوجه الى اقليم بكتريا (تركستان) حيث قبض عليه باسيس حاكم الاقليم وكيهه بالاغلل ولما وصلت الفرقة المقدونية؛ وجدوه ملطخا بدمائه. فأكرم الاسكندر مثواه، وأرسل جثته إلى برس بوليس لتدفن هناك. وامر بجلد باسيس لانه غدر بملكه، وسلمه الى اقرباء داريوس ليقتصوا منه. وكان ذلك في تموز سنة 330 ق.م.

(2) جون أ. هامرتين - تاريخ العالم ص 421.

(3) على حسب رواية اريان بينما يذكر بلوتارك انها تدعى ستاتيرا وربما كانا اسمين لاميرة واحدة، أو انه اقترن باميرتين.

(4) جون أ. هامرتين - تاريخ العالم ص 420.

وقد اختلف في اسباب موته المؤرخون⁽¹⁾ فمنهم من قال بإصابته بالحمى، ومنهم من قال بأن حاسديه دسوا له السم في الطعام. وعند وفاته قال ديمتريوس الحكيم:

"قد كان صوتك مرهوبا وملكك عاليا، فأصبح الصوت وقد انقطع، والملك وقد ارتفع".

وقال آخر: "يا من كان غضبه الموت لما لا غضبت على الموت"⁽²⁾.

وبعد موته حدثت اضطرابات حول من سيخلفه على العرش، إذ لم يكن له وارث سوى طفل من زوجة ثانوية يدعى هيراكليس. بينما كانت زوجته روكسانا حاملا، وبعد ثلاثة اشهر خرج المولود ذكرا فاقتسموا الامبراطورية بينه وبين اريداوس⁽³⁾ وكان مختل العقل. وحكما معا في مقدونيا منذ عام 323 ق.م وحتى عام 305 ق.م. وكان برديكاس هو الحاكم الفعلي في الامبراطورية نظرا لاختلال عقل اريداوس، ولحدثة سن الاسكندر الرابع⁽⁴⁾. وتم بالفعل تقسيم الامبراطورية بين كبار القادة بإشراف برديكاس. وفي ذلك يقول دانيال النبي: "... تنكسر مملكته وتنقسم إلى رياح السماء الأربع، ولا لعقبه... لأن مملكته تنقرض وتكون لآخرين غير أولئك" (دا: 11: 3، 4).

وتحقق ذلك عندما دب النزاع بين خلفاء الإسكندر، وانقسموا إلى قسمين: قسم يضم أوليمبياس أم الاسكندر الأكبر وروكسانا زوجته وابنها الاسكندر الرابع. وكان معهم القائد بوليبرشون. والقسم الآخر يضم إيرديكي وزوجها فيليب أريداوس الذي مات بأمر أوليمبياس. وبعد سلسلة من الاغتيالات⁽⁵⁾ زالت عائلة الاسكندر، ومن ثم أصبحت الفرصة سانحة لقادته أن يعلنوا استقلالهم بالولايات التي كانوا حكاما عليها وتوج كل منهم ملكا على ولايته. فوطد كسندر عرشه في مقدونيا، واستولى ليسيماخوس على اسيا الصغرى التي كانت من نصيب انتيجون، وازادها الى تراقيا. وغنم سليقوس شمال سوريا وما بين

(1) اخذت اخبار الاسكندر - الى جانب القليل الذي ورد في أسفار دانيال وذكريا والكابيين - عن المؤرخين : اريان (ولده عام 105 ق.م.) وبلوتارخوس (ولد عام 48 ق.م.) وعن ديودور الصقلي الذي عاش في القرن الاول قبل المسيح وعن يوستينوس الذي عاش في القرن الثاني للميلاد عنهم اخذ رولان وفكتور دورس وغيرهما.

(2) يوسيفوس - تاريخ اليهود ص 26.

(3) سيد الناصري - تاريخ وحضارة مصر والشرق الأدنى في العصر الهلنستي ص 70 و71

(4) ابو اليسر فرج - تاريخ مصر في عصري البطالمة والرومان ص 40

(5) بدأت الاغتيالات بقتل روكسانا لضرتها ساتيرا بنت داريوس، كما تخلصت من دريباتيس ارملة افسستون وشقيقة ساتيرا، ومات برديكاس بأيدي رجاله في مصر عندما هُزم على يد بطلميوس ابن لاجوس سنة 321 ق.م. وتم تعيين انتيباتر خلفا له. وقتل اريداوس وزوجته بتديبر من اوليمبيا زوجة ابيه سنة 217 ق.م. ثم ماتت اوليمبيا بتديبر من كاسندر ابن انتيباتر سنة 316 ق.م. وهو زوج ابنتها تسالونيس شقيقة الاسكندر.

النهرين وما تلاها في بلاد فارس حتى حدود الهند. بينما استقل بطليموس سوتير بمصر وضم إليها منطقة جوف سوريا⁽¹⁾ (فلسطين وجنوب لبنان) التي بقيت محل نزاع بين البطالمة من ناحية وبين انتيجون وابنه ديمتريوس من ناحية أخرى، ثم بينهم وبين آل سليوقوس طيلة عهد المملكتين لما يقرب من ثلاثة قرون. وهكذا آلت امبراطورية الاسكندر الى اربعة ممالك كما سبق وأنبا دانيال النبي.

وامتدت يد بطليموس إلى اليهود فأسر منهم الآلاف وساقهم إلى مصر لانهم رفضوا الانصياع لوامره وظلوا على ولائهم للامميدون⁽²⁾ الحاكم الاصلي للاقليم، ولكنه وثق بهم بعد ذلك واتخذ منهم جنودا في جيشه. وفي تلك الفترة ظهر سمعان ابن أونيا رئيس الكهنة الملقب بالعدل (ابن سيراخ 50). وهو آخر من بقي من أعضاء المحفل الذي اقامه عزرا الكاهن إبان فترة الإصلاح التي اعقبت عودة المسيبيين من بابل. وعلى الرغم من الصراع السياسي الذي كان قائما بين آل سليوقوس في سوريا والبطليموسيين في مصر بشأن سوريا الجوفاء إلا أن اليهود نعموا بالاستقرار النسبي وبالحرية الدينية فسمح لهم ببناء المعابد⁽³⁾ في فلسطين ومصر وبلاد اليونان وغيرها. وأصبح اليهود المشتتين في أنحاء البلاد التي دانت لليونانيين يصطبغون بالصبغة الهلنيسية. وقد عرفوا في العصر الرسولي باسم يهود الشتات (يع 1 : 1).

(1) عرفت بهذا الاسم في العصر اليوناني لانخفاض وادي الاردن - موسوعة سليم حسن ج14 ص113.

(2) كانت منطقة جوف سوريا في الاصل من نصيب لامميدون بعد التقسيم الذي اجري بين قادة الاسكندر في تري باراديوس حوالي سنة 311 ق.م. ولكن امتدت إليها اطماع بطليموس ابن لاجوس فارسلكاتور على راس جيش من البر، بينما ابحر هو على رأس الاسطول لمهاجمة مدن الساحل، فدان له الاقليم؛ ولكن تمكن بعد ذلك انتيجون وابنه ديمتريوس من الاستيلاء - الى حين - على سورية الجوفاء، وعلى املاك مصر في البحر المتوسط. اما رودس فقط استعصت عليهما لبسالة اهلها، وبهذه المناسبة عمل اهلها التمثال الشهير الذي عُِد من عجائب الدنيا السبع، والذي اسغرق صنعه اثنتي عشرة سنة، على ما روى بليني (ك 34 ف 7). وظل قائما ست وستين عاما ثم سقط بعدها على اثر تعرضه لزلزال مدمر. يوسف الدبس، تاريخ سوريا - الجزء الثاني - المجلد الثالث بيروت 1898، ص99.

(3) مرشد الطالبين ص188.

المملكة السلوقية

أسسها سليوقوس الأول الملقب نيكاتور في بابل ثم ضم إليها سوريا والقسم الشرقي من آسيا الصغرى التي كانت تابعة لأنتيغونس، ووسع سليوقوس حدود مملكته حتى بلغت بلاد الفرس. وأقام السلوقيون المدن التي حملت اسماءهم مثل سلوقية الواقعة على ضفاف نهر دجلة والتي كانت قاعدة مملكتهم في الشرق، كما بنوا مدينتين تحملان اسم إنطاكية⁽¹⁾ نسبة الى انطيوخوس/أنطيوخوس، احدهما تقع على نهر الدجلة والأخرى تقع على ضفاف الأورنت (نهر العاصي). ومدينة اباميا بناها كذلك سليوقوس الاول على نهر العاصي، لتحمل اسم زوجته الفارسية ابنة ارتباس. ولاوديكية⁽²⁾ / لاوديسيا التي تحمل اسم امه.

وبلغ الصراع اشده بين قادة الدول ولم يلتزم اياً منهم بما آل اليه عند التقسيم بل حاول كل منهم مدفوعاً إما بالأطماع الاستعمارية وبالرغبة في التمثل بالاسكندر في محاولته توحيد العالم وتكوين امبراطورية عظيمة مثله، وإما دفاعاً عن شعبه وعن حدود مملكته. وهكذا دارت الحروب فيما بينهم واستمر لهيبها ليأتي على الاخضر واليابس. ولم يكن الثمن الذي كان يدفعه العزل من الاطفال والنساء والشيوخ بأقل مما كان يدفعه الجنود الذين كانت تراق دماؤهم في ساحة الوغى.

لما اراد ديمتريوس ان يسترجع ملك ابيه انتيجون في اسيا فانه وجد مقاومة من الملوك المتحالفين ضده: بطلميوس وليسيماخوس وسليوقوس وبيروس وانتهى الامر بالقبض عليه في عام 286 ق.م. وحدد سليوقوس اقامته في سوريا حتى مات بها سنة 283 ق.م. وله من العمر اربع وخمسون عاماً. وبعد ذلك حارب سليوقوس ليسيماخوس وانتصر عليه وقتله سنة 281 ق.م. ثم قُتل هو الآخر على يد جيرانوس ابن بطلميوس سوتير⁽³⁾. وقد

(1) توجد اكثر من ستة عشر مدينة تحمل نفس الاسم ولكن اشهرهن هما انطاكية العاصمة الواقعة في شمال سورية والثانية هي انطاكية بيسيدية الواقعة في اسيا الصغرى والتي بشر فيها القديسان بولس وبرنابا (اع 13: 14).

(2) تعد مدينة اللاذقية إحدى المدن الخمس التي حملت اسم لاوديكية (كو 2: 1، 4: 13، رؤ 3: 14).

(3) يروي يوستينوس (ك 17 ف 1) وأبيان في تاريخ السوريين ص 128 ان ليسيماخوس تزوج بارسينوي ابنة بطلميوس الاول، وتزوج ابنه اجاتوكليس بشقيقتها ليسندره، وبسبب كيد النساء وطمع الاختين في العرش- ارسنوي تريده لابنها، وليسندره تريده لزوجها - أمر ليسيماخوس بقتل ابنه اجاتوكليس بتهمة التآمر عليه، ففرت زوجته بابنها الى سليوقوس مما شجعه على محاربة ليسيماخوس وانتصر عليه وقتله. وبعد ستة شهور غدر به جيرانوس على الرغم من ان سليوقوس أجاز اخته الهاربة، ثم ملك على عرش مقدونيا بعد مصرع ليسيماخوس وابنه، وارغم اخته ارملة ليسيماخوس على الزواج به ثم قتل ابنها ونفاها. اما هو فقد نال جزاء ماء صنع حيث وقع في قبضة الغالين وقتلوه.

تحقق فيه وفي غيره قول السيد المسيح ان " كل الذين ياخذون بالسيف بالسيف يهلكون " (مت 26 : 52).

ثم اعتلى انطيوخوس الاول عرش سوريا⁽¹⁾، واعطى ابنته اباميا زوجة الى ماجاس حاكم ليبيا. واراد ماجاس ان يستعين بحميه ضد اخيه غير الشقيق بطلميوس الثاني فيلادلفوس ولكن خاب مسعى الحليفان بدخول ماجاس في حرب خاسرة ضد اومان ملك بروجام (برغاموس) سنة 261 ق.م. ولم يعيش بعدها طويلا.

وبعد موت انطيوخوس الاول خلفه ابنه انطيوخوس الثاني ونال لقب ثيوس اي المؤله، خلعه عليه اهل ميلات باسيا الصغرى لانه انقذهم من من سطوة تيمورك وجوره. وفي عهده عاش المؤرخ البابلي فاروز. وأخطأ انطيوخوس عندما دخل في حرب ضد مصر تسبب انشعاله بها في اعلان ارساس حاكم بارثيا(فارس) وتيوبث حاكم بكتريا (تركستان) استقلالهما. وحزت حزوهما كثير من البلدان حتى خسر كل الاقاليم الشرقية. ومحاولة منه لانقاذ الموقف انه عقد معاهدة صداقة مع عاهل مصر بطلميوس فلادلفوس تم بموجبها تطليق زوجته لاوديكي، ثم تزوج من برنيس (برنيقي) ابنة فلادلفوس. وتمت مراسيم الزواج في مدينة سلوقية الواقعة عند مصب نهر العاصي. وقد سبق دانيال النبي وان اخبر عن هذه الاحداث قبل وقوعها " وبقوى ملك الجنوب(بطلميوس) ومن رؤسائه من يقوى عليه ويتسلط تسلط عظيم تسلطه(سليوقوس) وبعد سنين يتعاهدان وبنت ملك الجنوب تأتي الى ملك الشمال لاجراء الاتفاق"(دا 11: 5، 6).

ويروى ان فلادلفوس استمع الى مشورة ديمتريوس الفاليري مدير مكتبة الاسكندرية بأهمية ترجمة كتاب العهد القديم الى اليونانية فكتب الى اليغازر رئيس الاحبار ان يرسل له من العلماء من يقوم بالترجمة، فأرسل له نحو سبعين من خيرة الفقهاء والدارسين، وسميت ترجمتهم بالسبعينية. وكان فلادلفوس من المشجعين للحكمة والحكام وخير شاهد على ذلك جهوده في مكتبة الأسكندرية عملا بقول الحكيم " فان كنتم تلتذون بالعرش والصولجان يا ملوك الشعوب فاكرموا الحكمة لكي تملكوا الى الابد.. واحبوا نور الحكمة يا حكام الشعوب " (سفر الحكمة ص 6).

كما اخبرت النبوة عن مستقبل هذه الزيجة السياسية الفاشلة بقوله " ولكن لا تضبط الذراع قوة ولا يقوم هو ولا ذراعه وتسلم هي والذين اتوا بها والذي ولدها ومن قواها في

(1) سورية القديمة هي المنطقة الواقعة من جبال طوروس في الشمال وشبه جزيرة سيناء وخليج العقبة في الجنوب، وبين البحر الأبيض المتوسط في الغرب ونهر الفرات وبادية الشام في الشرق. فهي تشمل سورية الحالية ولبنان وفلسطين والأردن والمنطقة الواقعة الى الشرق بين الفرات والتي كانت تمثل جزءا من ميزوبوتاميا القديمة. د. احمد رحيمة هيو - تاريخ الشرق القديم ص 9، صنعاء 1993.

تلك الاوقات (دا 11 : 6). وبالفعل لم يدم هذا الزواج طويلا فبمجرد ان سمع انطيوخوس بخبر موت فلادلفوس حتى طلق برنيقي واسترد لاوديكي طليقته الاولى. ولكنها لم تكن لتأمن غدره بها مرة اخرى. لذا فقد عزمت على التخلص منه، ووضعت له السم فمات لوقته في سنة 246 ق.م. كما امرت بقتل برنيقي وابنها وهي بعد في دفنة على نهر العاصي، وذلك قبل ان تصل نجدة اخيها بطلميوس الثالث من مصر. ولكن لما وصل بطلميوس فانه اقتص من القاتلة، وملك في سوريا بعض الوقت. ثم اضطر الى العودة الى مصر لقمع الثورة التي اشتعلت في فترة غيابه. وفي ذلك قال دانيال النبي: "فيقوم مكانه فرع من اصولها" (دا 11 : 7).

وكان بطلميوس قد استقدم التماثيل والاشياء التي كان قمباز قد اخذها من مصر ففرح به المصريون ولقبوه افرجت اي المحسن. وفي ذلك يقول دانيال النبي: "ويسبي الى مصر الهتهم ايضا مع مسبوكاتهم وانيتهم الثمينة من فضة وذهب" (دا 11 : 8). وظهر نزاع اخر حول عرش سورية بين انطيوخوس الاول واخيه سليوقوس الثاني (كالينيكوس) مما شجع بطليموس اورجيتس EURGETES على اجتياح سورية⁽¹⁾. كما إغتتم أرشاق/ ارساس ARSACES ملك فرتيا الفرصة في التخلص من نير السيلوقيين ودخل معهم في حرب خرج منها منتصرا. ووقع سليوقوس في الاسر، وظل اسيرا حتى مات في حوالي عام 226 ق.م. فملك سليوقوس الثالث عوضا عن ابيه ولقب بالصاعقة.

ونسلم عن الفرتيين (البارثيين) في الكتاب المقدس فقد جاء ذكرهم في سفر اعمال الرسل ومنهم من شاهد الرسل وسمعهم يتكلمون بلغتهم بعدما نالوا موهبة التكلم بالأسنة وتعجبوا لذلك⁽²⁾.

وكان سليوقوس الثالث ضعيف البنية والشخصية معا، وعلى الرغم من انتصاره على اثال ملك برغام فقد ثار عليه الجند لتأخر رواتبهم فدمسوا له السم فمات في عام 222 ق.م. فملك عوضا عنه اخوه انطيوخوس الثالث الذي كان يتلقى تعليمه في بابل.

(1) تمكن سليوقوس من استعادة المقاطعات المسلوية بعد عودة بطليموس الى مصر.
(2) " فبهت الجميع وتعجبوا قائلين بعضهم لبعض اترى ليس جميع هؤلاء المتكلمين جليليين فكيف نسمع نحن كل واحد منا لغته التي ولد فيها. فرتيون وماديون وعيلاميون والساكثون ما بين النهرين واليهودية وكبدوكية وبنثس واسيا. وفريجية وبمفيلية ومصر ونواحي ليبية التي نحو القيروان والرومانيون المستوطنون يهود ودخلاء. كرينيون وعرب نسمعهم يتكلمون بالسنتنا بعظائم الله" أع 2: 6-11.

انطيوخوس الثالث الكبير

استطاع انطيوخوس الثالث ان يعيد تنظيم الولايات الشرقية وعين عليها الولاة. ثم وجه نظره صوب سوريا الجوفاء فأخذها بتشجيع من واليها ثودوت. ولكن بطليموس تمكن من استجماع قواه وفي عام 217 ق.م اتجه نحو فلسطين، والتقى بأنطيوخوس عند رفح وهزمه، ثم تقدم متتبعا الجيش المتقهقر، وانقض على مدن سوريا الجوفاء واخذها الواحدة تلو الأخرى.

وتنبأ دانيال النبي عن هذه الأحداث قبل وقوعها بقوله:

" وبنوه (جنود أنطيوخوس الثالث) يتهيجون فيجمعون جمهور جيوش عظيمة ويأتي ات ويغمر ويظمو ويرجع ويحارب حتى الى حصنه. ويغتاظ ملك الجنوب (بطليموس الرابع) ويخرج ويحاربه اي ملك الشمال ويقيم جمهورا عظيما فيسلم الجمهور في يده. فاذا رفع الجمهور يرتفع قلبه وي طرح ربوات ولا يعتز. فيرجع ملك الشمال ويقيم جمهورا اكثر من الاول ويأتي بعد حين بعد سنين بجيش عظيم وثروة جزيلة. وفي تلك الاوقات يقوم كثيرون على ملك الجنوب وبنو العتاة من شعبك يقومون لاثبات الرؤيا ويعثرون. فيأتي ملك الشمال ويقيم مترسة وياخذ المدينة الحصينة فلا تقوم امامه ذراعا الجنوب ولا قومه المنتخب ولا تكون له قوة للمقاومة. والاتي عليه يفعل كاردته وليس من يقف امامه ويقوم في الارض البهية وهي بالتمام بيده. ويجعل وجهه ليدخل بسلطان كل مملكته ويجعل معه صلحا ويعطيه بنت النساء ليفسدها فلا تثبت ولا تكون له. ويحول وجهه الى الجزائر وياخذ كثيرا منها ويزيل رئيس تعيينه فضلا عن رد تعيينه عليه. ويحول وجهه الى حصون ارضه ويعثر ويسقط ولا يوجد " (دا 11: 10).

وعن سقوط مدن المنطقة قال الوحي: "وحي كلمة الرب في أرض حدراخ ودمشق.. وحماه أيضاً تتأخمها وصور وصيدون.. هوذا السيد يمتلكها ويضرب في البحر قوتها وهي تؤكل بالنار، ترى أشقلون⁽¹⁾ (عسقلان) فتخاف، وغزة فتتوجع جداً، وعقرون⁽²⁾ ". وحاول

(1) دلت الآثار على ان هاتين المدينتين قد تعرضتا لغزو شعوب البحر في القرن العشرين قبل الميلاد. ثم صارتا مطمعا للدول الكبرى والإمبراطوريات القديمة : المصرية والحيثية والآشورية والبابلية وغيرها. وكان مصيرهما الخضوع للدولة الغالبة فكانتا تارجحان على كفاف هذه الدول. لما كانتا تتمتعان به من موقع متميز على ساحل البحر المتوسط ولما لهما من ثراء وغنى جعل الرزيلة والبغاء يتفشيان في سكانهما لذا نعتهما الانبياء (عاموس 755 - 750 ق.م. صفنيا 640 - 621 ق.م. ارميا 586 - 586 ق.م.) بالفجور ودعوا عليهما بالشروع. وتشير اصابع المنقبين إلى ان اطلال مدينة غزة القديمة قد دفنت في الرمال أي صارت صلعاء على حد تشبيه الانبياء لها.

(2) زك 9: 7-11 راجع كذلك زك 11: 3-1، 2 مك 1: 9، 10، 11، 24.

بطلميوس ان يدخل قدس الأقداس في بيت الرب على الرغم من تحذير الكهنة له، فمنعته العزة الالهية عن تدنيس المكان اذ اصابه مكروه في الحال فحملوه واخرجوه لكنه حنق علي اليهود متوعدا اياهم بالانتقام.

ثم عقد العاهلان الصلح فيما بينهما، واتجه انطيوخوس الى اسيا الصغرى وعبر جبال طوروس وانضم اليه اثال ملك برغام وحاربا اخيوس وضيقا عليه واجبراه على الفرار الى سارديس مات غيلة على يد كريتي مكر (تي 1 : 12).

ثم اتجه انطيوخوس الى المشرق فأخضع اريساس الثاني حاكم بارثيا الذي كان قد استرد اقليم مادي من السليوقيين. وغنم منه ذهباً كثيراً مما زاد من ثروته، كما انه املى على اريساس شروطاً اعدته في حدود مملكته وكان ذلك نحو عام 208 ق.م. كما اخضع اقليم باكتريا (التركستان) وتوغل حتى بلغ الهند فجلب من هناك الأفيال وعاد غانما الى انطاكية في عام 205 ق.م. فلقبوه بالكبير.

وفي العام التالي جاءه خبر وفاة بطلميوس فيلوماتور وهو في السابعة والثلاثين من عمره. وكان انطيوخوس وفيليب ملك مقدونيا يتآمران على قتل الوريث واقتسام املاكه فيما بينهما. وبادر انطيوخوس بالاستيلاء على جوف سوريا. ولكن باغتت الحليفين قوة جديدة لم تكن في الحسبان تمثلت في الرومان الذين حاربوا فيليب وهزموه. كما قاموا بدور الوصي على عرش مصر بناء على طلب السفارة المصرية. وارسلت روما اعلان الوصاية الى انطيوخوس مرفوقاً برسالة تهديد. وبالفعل جاء لابيدوس الى مصر وجعل اريستومان وزيرا للملك. وقد استغل هذا تأييد الرومان له وغياب انطيوخوس في حربه ضد اثال ملك برجام، وتمكن من استرداد منطقة النزاع ولكنه لم يحتفظ بها طويلاً لصالح مصر فقد عاد انطيوخوس وهزم سكوباس قائد الجيش البطلمي مسترداً ما ظنه ارث السليوقيين، وقابله اليهود مقابلة الابطال لانه وعدهم بعدم المساس بالمقدسات، وفي ذلك تحققت نبوة دانيال (دا 11: 22). " فان ملك الشمال... يرجع ويبرز جمهوراً. يقوم كثيرون (فيليب وانطيوخوس) على ملك الجنوب بطلميوس ابيفانوس .. ولا تكون قوة للمقاومة (في واقعة بانياس).

انطيوخوس الكبير



" فيأتى ملك الشمال، ويقم مترسة ويأخذ المدينة الحصينة... ولا تكون له قوة للمقاومة. والأتى عليه يفعل كإرادته وليس من يقف أمامه ويقوم فى الأرض البهية وهى بالتمام بيده" (دا 11: 15، 16).

وأمر أنطيوخوس بنقل عدد من الأسر اليهودية المتبقية من السبى فى بابل، إلى ليديا، وقرجيا بأسيا الصغرى. وكان لهم دور فيما بعد فى قبول المسيحية (بط 1: 1) وعلى الرغم مما نعم به اليهود من امتيازات فى عهد أنطيوخوس الثالث على وجه الخصوص إلا أن ذلك لم يحل دون نشوب الصراعات الداخلية التى نجمت عن الأطماع السياسية بين عائلة أونياس المختصة برياسة الكهنوت، وبين عائلة طوبيا المسؤلة عن جمع الضرائب. كما كان هناك صراع آخر دينى نتج عن الخلاف بين الآسينيين وهم يساريين متطرفين، وبين جماعة الاتقياء (1 مك 2: 42). وهؤلاء قال عنهم دانيال النبى: " أما الشعب الذين يعرفون إلههم فيقومون ويعملون، والفاهمون من الشعب يعلمون كثيرين ويعتزون بالسيف وباللهيب وبالسبى وبالذهب أياماً" (دا 11 : 32).

ونشأ صراع آخر بين هاتين الجماعتين من ناحية وبين جماعة المتهودين الذين تأثروا بالثقافة اليونانية وبفلسفتها الوثنية، وكان على رأسها رؤساء الكهنة الذين اتخذوا من الاستقرابية نمطاً لهم، وهؤلاء وصفهم دانيال النبى بأنهم متعدون على العهد (دا 11 : 32). لأنهم اتحدوا مع الغزاة وتبنوا ثقافتهم، كما يخبرنا سفر المكابيين، فصاروا شركاء لى جلدتهم وجلبوا على أنفسهم الغضب الإلهي (1 مك 1 : 12 - 2، 16 مك 3). وتحت الضغط الروماني⁽¹⁾

(1) بعد أن آمن أنطيوخوس جانب مصر، فإنه تحالف مع هانيال ملك قرطاج ضد الرومان الذين كانوا يتدخلون دائماً في سياسته وبخاصة تجاه مصر. وكان على الرومان أن يواجهوا عدة أخطار تهدد أطماعهم السياسية وتسعى لوقف توسعاتهم الاستعمارية. وبدأوا بفيليب الخامس ملك مقدونيا سنة 197 ق.م. فهزموه. كما هزموا اسطول أنطيوخوس عند جزر الأرخبيل، واسطول هانيال عند بامفيليا.

غير انطيوخوس من سياسته تجاه مصر وأعطى منطقة جوف سوريا مهراً لابنته⁽¹⁾ كليوبترا (الأولى) التي بنى بها بطليموس الخامس. وهي التي وجد اسمها جنبا الى جنب على حجر رشيد الشهير الذي كان بمثابة المفتاح الذي تلقفه العلماء وعلى رأسهم توماس يونج، وجان فرانسوا شامبليون لفك شفرة اللغة المصرية القديمة.

وبعد وفاة كليوبترا امتنع السليوقيون عن إرسال خراج تلك المنطقة إلى بطليموس⁽²⁾ فلذلك عزموا على استردادها عسكرياً. وعاد الصراع من جديد يضرب اوصاله بين الجانبين لما يزيد على قرن من الزمان مما اعطى الفرصة للرومان في نهاية الأمر الى احتلال كلتا الدولتين، كما سنرى تباعاً. وترك انطيوخوس ابنه سليوقوس على سوريا واتجه الى بلاد فارس سعياً في طلب المال لسداد تكاليف الحرب الخاسرة التي شنها على الرومان. وعندما استباح لنفسه ان يدخل احد معابدهم ويمد يده الى الكنوز الموجودة به فان الجمهور ثاروا عليه وقتلوه هو وحاشيته⁽³⁾ سنة 187 ق.م. كما روى سترابون وديودور وايرونيوموس ويوسيفوس، وبذلك تحققت فيه اخر نبوة قيلت عنه على لسان دانيال النبي:

" ويحول وجهه الى حصون ارضه ويعثر ويسقط ولا يوجد..." (دا 11: 19). كما روى سفر المكابيين تلك الحوادث بالتفصيل، نقرأ مما جاء فيه :

"فانه اذ كان الملك في فارس يقود جيشاً لا يثبت امامه احد نكبوا في هيكل النناية بحيلة احتالها عليهم كهنة النناية وذلك انه جاء انطيوخس ومن معه من اصحابه الى هناك متظاهراً بأنه يريد ان يقارنها وفي نفسه ان يأخذ الاموال على سبيل الصداق فابرز كهنة النناية الاموال ودخل هو مع نفر يسير الى داخل المعبد ثم اغلقوا الهيكل فلما دخل انطيوخس فتحوا باباً خفياً كان في ارض الهيكل وقذفوا حجارة رجموا بها القائد ثم قطعوهم قطعاً وحزوا رؤوسهم والقوها الى الذين كانوا في الخارج" (2 مك 1: 13-16).

فأضطر انطيوخوس الى العودة الى انطاكية ومنها ارسل وفداً الى الرومان يعرض عليهم الصلح فقبلوه بشروط مثالية له. منها ان يتخلى عن كل اطماعه في اسيا، وان يدفع غرامة مالية كبيرة. وان يترك عشرين رجلاً رهينة في روما من بينهم ابنه الذي تولى الحكم فيما بعد باسم انطيوخوس ابيفانوس.

(1) كان لأنطيوخوس ثلاث بنات الأولى تزوجها بطليموس الخامس، والثانية تزوجها اربارثيس ملك كبادوكيا، والثالثة رفض يومينس الثاني ملك برغامس عرض انطيوخوس بالزواج منها لعلمه بالصراع القائم بين العاهل السليوقي والرومان فأثر التزام الحياد.

(2) سليم حسن - موسوعة مصر القديمة 16 ح ص 116.

(3) تكررت حادثة مشابهة لهذه مع انطيوخوس الرابع ابيفانوس قد وردت اخبارها في سفر المكابيين الاول 6 : 1 و الثاني 2 مك 9 : 1.

انطيوخوس الرابع والمقدسات

بعد موت أنطيوخوس الثالث (الكبير) خلفه على العرش مباشرة سليوقوس الرابع فيلوباتور، وقد كان عرشه مثقلا بالأعباء المالية والسياسية، بينما كان اخوه انطيوخوس رهينة في روما. وكان ضعيف الشخصية ولم يكن قادرا على مواجهة أعباء الحكم. ولذلك احتقرته الرعية كما سبق وأخبر عنه دانيال النبي "فيقوم مكانه من يعبر جابي الجزية (كناية عن الجزية التي قدمها للرومان) في فخر المملكة وفي أيام قليلة ينكسر لا بغضب ولا بحرب" (دا 11: 20).

وفي هذه الاثناء كانت كليوبترا الأولى قد وضعت طفلا ذكرا ففرح الجميع بالمولود الذي وحد العائلتين بعد أمد من الصراعات والحروب⁽¹⁾. وعند ولادته توجه وفد من احبار اليهود لتهنئة ابيفانوس وكليوبترا بمولودهما وكان ضمن المبعوثين هركانوس ابن يوسفوس الحبر الأعظم الذي حالت شيخوخته دون الذهاب بنفسه للتهنئة. واثناء المأدبة أخذ الجلساء يسخرون من هركانوس الحديث السن، ووضعوا امامه عظام ما نهشوه من اللحم. ثم قال احدهم موجها الخطاب للمك ما يعني ان يوسفوس يلتهم دخل اليهودية مثلما التهم ابنه اللحم فضحك الملك، ثم رد هركانوس بقوله "لا عجب مولاي لان الكلاب تأكل اللحم مع العظام كما صنع هؤلاء، واما الناس فيأكلون اللحم ويتركون العظم كما صنعت"⁽²⁾ فضحك الملك وخجل من ارادوا اخجال الشاب.

وأما سليوقوس فلم يستمر طويلا في الحكم فقد ارسل ابنه ديمتريوس ليحل محل اخيه انطيوخوس كرهينة في روما نظرا لحاجته اليه. واثناء ذلك دبر له هيلودوروس الموت بالسم فكان ذلك في عام 175 ق.م.

وأثناء عودته من روما عرج انطيوخوس الرابع على أثينا وهناك علم بموت اخيه فتوجه الى ملك برغاموس ليساعده في ارتقاء عرش سوريه. وبالفعل نال ما اراد، ولقبوه ابيفان. ولكن نظرا لحماقته نعتة البعض ابيمان بدلا من ابيفان. وعليه ينطبق قول الوحي على لسان دانيال النبي:

(1) بعد فترة من الصفاء اراد بطلميوس ابيفانوس ان يشن حربا على سوريا، وحمل اعباء الإعداد لها على القادة والرعية مما اغضب الجميع فدسوا له السم فمات سنة 181 ق.م. فخلفه ابنه بطلميوس فيلوماتور وهو في السادسة من عمره فقامت امه بالوصاية الاسمية عليه. بينما استقرت السلطة الفعلية في يد القاندين ليناس، ويولاس اللذان كانا ييغيان استرداد سورية الجوفاء.

(2) المطران يوسف الدبس، تاريخ سوريا - الجزء الثاني - المجلد الثالث بيروت 1898، ص 157.

" فيقوم مكانه محتقر لم يجعلوا عليه فخر المملكة ويأتي بغته ويمسك المملكة بالتملقات. واذرع الجارف تجرف من قدامه وتنكسر وكذلك رئيس العهد. ومن المعاهدة معه يعمل بالمكر ويصعد ويعظم بقوم قليل. يدخل بغته على اسمن البلاد ويفعل ما لم يفعله اباؤه ولا اباء ابائه يبذر بينهم نهبا وغنيمة وغنى ويفكر افكاره على الحصون وذلك الى حين. وينهض قوته وقلبه على ملك الجنوب بجيش عظيم. وملك الجنوب يتهيج الى الحرب بجيش عظيم وقوي جدا ولكنه لا يثبت لانهم يدبرون عليه تدابير. والاكلون اطاييه يكسرونه وجيشه يطمو ويسقط كثيرون قتلى. وهذان الملكان قلبهما لفعل الشر ويتكلمان بالكذب على مائدة واحدة ولا ينجح لان الانتهاء بعد الى ميعاد. فيرجع الى ارضه بغنى جزيل وقلبه على العهد المقدس فيعمل ويرجع الى ارضه. وفي الميعاد يعود ويدخل الجنوب ولكن لا يكون الاخر كالاول. فتأتي عليه سفن من كتيتم⁽¹⁾ فيينس ويرجع ويغناظ على العهد المقدس ويعمل ويرجع ويصغى الى الذين تركوا العهد المقدس. وتقوم منه اذرع وتنحس المقدس الحصين وتنزع المحرقة الدائمة وتجعل الرجس المخرب." (دا 11: 21 - 31).

كما جاءت اخباره في المكابيين الاول " وخرجت منهم جرثومة اثيمة هي انطيوخس الشهير ابن انطيوخس الملك وكان رهينة في رومية وملك في السنة المئة والسابعة والثلاثين من دولة اليونان " (1 مك : 11 - 67) ويستمر الكلام عنه في الاصحاحات الثاني والثالث والسادس من نفس السفر، وكذلك في سفر المكابيين الثاني (2 مك : 4 : 7، 9 : 29). وجاء وصف المؤرخ بوليب له مطابقا لما جاء عنه في سفر دانيال وفي اخبار المكابيين من أن افعاله كانت مشينة وانه كان يخالط السفهاء.

ويواكب اعتلاءه العرش الثورة التي تزعمها يهوذا المكابي وخلفاؤه والتي لازمت الجزء المتبقى من حكم السليوقيين، والتي امتد تأثيرها إلى عام 63 ق.م وهو تاريخ سقوط الشرق في أيدي الرومان.

ونحو عام 171 ق.م اتجه أنطيوخوس الرابع نحو مصر ينوي اخذها مستغلا إعلان الوصيين (ليناوس، ويولاس) على عرش بطليموس السادس⁽²⁾ الحرب عليه، وتظاهر

(1) كانت مستعمرة فينيقية كما كانت ميناءا هاما في جنوب قبرص وقد دعاها اليونانيون كيتين Kitin او Kition. - انظر:

Dr.J.Simons, the geographical and topographical texts of the old testament p.18

(2) هو ابن بطليموس الخامس من كليوبترا الأولى أخت أنطوخوس الرابع.

بالدفاع عن النفس أمام روما⁽¹⁾ والتقى بالجيش البطلمي عند بيلوز Peleuse (بالوظا، الفرما) وهزمه وأسر منه عدداً كبيراً، ثم انسحب إلى صور حيث قضى الشتاء هناك، وفي ربيع عام 170 ق.م. دخل مصر على رأس جيش مؤلف من الخيل والعربات، والفيلة، والسفن "ولما استتب الملك لأنطيوكس أزمع على احتلال مصر ليكون مالكا على كلتا الدولتين، فدخل مصر بجيش كثيف وعجلات وفيلة وفرسان، وأسطول عظيم. وأثار الحرب على بطلموس ملك مصر فارتاع بطلموس من وجهه وهرب وسقط قتلى كثيرون. فاستحوذ على المدن الحصينة بأرض مصر وسلبوا غنائم أرض مصر" (1 مك 1: 20-17).

ثم قبض على بطليموس السادس الملك الهارب لكنه لم يمسه بسوء بل استغله ذريعة لفرض سلطانه على مصر بدعوى الوصاية عليه. بل وتوج هو ملكاً في منف متحدياً الرومان، لكن ثورة اليهود أجبرته على العودة إلى بلاده⁽²⁾ فقمع الثورة بعنف شديد، وانتهك مقدساتهم، وقد اسهب سفر المكابيين في وصف تلك الفظائع هكذا:

"ورجع أنطيوكس بعد ما أوقع بمصر⁽³⁾... فصعد إلى اورشليم بجيش كثيف ودخل المقدس بتجبر وأخذ مذبح الذهب والحجاب والأكاليل والحلية الذهبية التي كانت على وجه الهيكل وحطمها جميعاً. وأخذ الفضة والذهب والآنية النفيسة، وأخذ ما وجد من الكنوز المكنونة أخذ الجمع وأنصرف إلى أرضه. وأكثر من القتل وتكلم بتجبر عظيم. فكانت مناحة عظيمة..." (1 مك 1: 21-29).

وفي عام 168 ق.م. استغل أنطيوكس إشغال روما في حربها مع برسيوس ملك مقدونيا وحاول احتلال مصر للمرة الثانية. أو على الأقل فرض سيطرته عليها مما اضطّر البطالمة إلى اللجوء للرومان؛ فأرسل مجلس الشيوخ جايوس بوبليوس على رأس وفد يطالب أنطيوكس بالإنسحاب الفوري من مصر، وبسحب إسطوله من قبرص. فلم يكن أمامه سوى الخضوع والإذعان بعد أن رُسمت حوله أشهر دائرة في التاريخ، وألزم ألا يتخطاها حتى يقرر الأنصراف عن مصر. وعاد إلى بلاده حيث صب جام غضبه من

(1) كانت روما ممثلة في مجلس الشيوخ (السناتو) تحكم في النزاعات بين الدول، وكانت تملئ إرادتها على الطرف الذي يعتدى على الآخر فيما يتفق ومصالحها الخاصة.

(2) سليم حسن - الموسوعة 16 ح ص 216-230.

(3) على أثر عودته من مصر قام أهالي الإسكندرية بثورة نتج عنها قتل الوصيين على عرش بطليموس السادس لأنهما اشتركا في تسليم مصر إلى أنطيوكس، كما أنهم خلعوا بطليموس السادس وعينوا بدلاً منه اخاه بطليموس الثامن أفرجت الثاني، وبعد ذلك نعتوه كاترجت لسوء أفعاله. كما عينوا كومانوس، وسيناس Cenas بمثابة وزيرين له لصغر سنه.

جراء ما لحقه من الخزي على اليهود الذين انتهزوا فرصة انشغاله بمصر وخرجوا عليه لاعتقادهم بانه قتل⁽¹⁾. ونجد ذلك مفصلاً في سفر المكابيين على النحو التالي:

"وبعد سنتين من الأيام أرسل الملك رئيس الجزية إلى مدن يهوذا فوفد على اورشليم في جيش كثيف وخاطبهم خطاب سلام مكرراً فوثقوا به، ثم هجم على المدينة فجأة وضربها ضربة عظيمة وأهلك شعباً كثيراً من إسرائيل وسلب غنائم المدينة وأحرقها بالنار وهدم بيوتها وأسوارها من حولها، وسلبوا النساء والأولاد واستولوا على المواشي. وبنوا على مدينة داود سوراً عظيماً متيناً وبروجاً حصينة فصارت قلعة لهم. وجعلوا هناك أمة أثيمة رجالاً منافقين فتحصنوا فيها، ووضعوا فيها السلاح والطعام وجمعوا غنائم اورشليم... فهرب أهل اورشليم بسببهم فأمست مسكن غرباء وصارت غريبة للمولودين فيها وأبناؤها هجروها (1 مك 1: 30-40).

وتعظم أنطيوخوس وتكبر وأله نفسه حاملاً لقب (ثيؤس ابيفانوس) أى الإله الظاهر، وفرض عبادة آلهته الوثنية على الشعوب الخاضعة له ومنها فلسطين واليهودية. ونصب فى هيكل اورشليم تمثالاً لزيوس معبود اليونانيين. واستبدل القرايين القديمة بالخنازير فتمت فيه نبوة دانيال النبی "وتقوم منه اذرع وتتجس المقدس الحصين وتنزع المحرقة الدائمة وتجعل الرجس المخرب" (دا 31: 11). وكان يعاقب بالسجن من لا يأكل منها⁽²⁾ وحرّم تقديس السبت والاحتفال بالاعیاد، وجرّم شريعة الختان فكانوا يلقون الاطفال المختونين وامهاتهم من فوق الاسوار.

ويذكر سفر المكابيين الأول ذلك بقوله:

"وكتب الملك أنطيوخس إلى مملكته كلها بأن يكونوا جميعهم شعباً واحداً ويتركوا كل واحد شأنه. فأذعنّت الأمم بأسرها لكلام الملك. وكثيرون من إسرائيل ارتضوا دينه وذبحوا للأصنام ودنسوا السبت. وأنفذ الملك كتباً على أيدي رسل إلى اورشليم ومدن يهوذا أن يتبعوا سنن الأجانب فى الأرض... ويبتنوا مذابح وهياكل ومعابد للأصنام وذبحوا الخنازير والحيوانات النجسة... ومن لا يعمل بمقتضى كلام الملك يقتل... فانضم اليهم كثيرون من الشعب كل واحد نبذ الشريعة فصنعوا الشر فى الأرض... وإن كثيرين فى إسرائيل عزموا وصمموا فى أنفسهم على أن لا يأكلوا نجساً واختاروا الموت لنلا ينجسوا الأطعمة. ولا يدنسوا العهد المقدس فماتوا" (1 مك 1: 43 : 66).

(1) ول ديورانت - قصة الحضارة ج 2 ص 55.

(2) ول ديورانت - قصة الحضارة ج 2 ص 56.

٤٠ " فيقوم مكانه من يعبر جابى الجزية فى فخر المملكة وفى أيام قليلة ينكسر (إشارة إلى سليوقوس الرابع) لا بغضب ولا بحرب، فيقوم مكانه مُحترق (انطيوخوس الرابع) لم يجعلوا عليه فخر المملكة، ويأتى بغتة ويمسك المملكة بالتملقات، وأذرع الجارف تنجرف من قدامه وتنكسر وكذلك رئيس العهد (إشارة إل متلاوس رئيس الكهنة)⁽²⁾. وقال أيضاً بشأن انطيوخوس الرابع: " ويفعل الملك كإرادته، ويرتفع ويتعظم على كل إله ويتكلم بأمور عجيبية على إله الآلهة، وينجح إلى تمام الغضب لأن المقضى به يجرى" (دا: 11: 36-11).

(1) وبدأت الشرارة الأولى للثورة بقتل رسول الملك المكلف بالدعوة لتقديم القربان للأوثان، على يد الحاسمونيين بزعامة متنباس وبنيه (1 مك 12-25). كما عثر الثوار عن رفضه لقرار أنطيوخوس بتعيين متلاوس رئيساً للكهنة لعدم شرعيته، ولأن هذا الأمر ديني بحث لا ينبغي أن تتدخل فيه السلطة الزمنية (2) راجع 2 مك 4 : 39 - 42.

الهليستية⁽¹⁾ والثورة المكابية

منذ وقعت اليهودية في ايدي البطالمة وظلت تابعة لهم قرابة المائة عام (318-198ق.م).⁽²⁾ وكان اليهود يتمتعون بحكم ذاتي فيما يتعلق بشؤونهم الداخلية مقابل ما كانوا يؤدونه من جزية ثانوية تقدر بنحو ثمانية الاف وزنة. وكانت السلطة الداخلية تتألف من رئيس الكهنة ومجلس الشيوخ المكون من سبعين عضواً وهو التقليد الذي كان قد وضعه كل من عزرا ونحميا بعد الرجوع من السبي. وكانوا الى حد ما محافظين على الشريعة وحافظين للوصايا وكانوا لا يتزوجون من الاجانب ويرفضون الانخراط في وسائل اللهو سوى الموسيقى، مستخدمين الناي والقيثارة والصنوج والطلل. وكانوا ينشدون من الاسفار المقدسة الايات والفقرات والأصحاحات. ومن ذلك قوله " اسمع يا اسرائيل الرب الهنا رب واحد..." (تث 6: 4) حتى لا يفتتن الشبان بطقوس الشرك الهليستية التي بدأت تنتشر تحت حكم انطيوخوس الرابع الذي فرض عبادة زيوس على اليهود. وكان كهنة يقربون له الخنازير الامر الذي اثار حفيظة الغيورين منهم لان ذلك يتعارض مع نهي الشريعة عن اكله ولمسه⁽³⁾.

وبدا في الضغط على رؤساء الكهنة فيعين منهم من ينصاع لأوامره، ويقبل من يتخاذل في تنفيذها. وراح يشجع الفن الخليع والأدب الخالي من الأدب، والالعب التي يشترك فيها العراة. الأمر الذي جذب الكثير من الشبان. وكانت المدن اليونانية الطابع مثل ابولونيا ودوريس وبلا وجراسا ونيوبوليس مراكز لتروج الثقافة الهليستية بشتى مظاهرها السافرة. والتي شحذت الباب الكثير من الشبان اليهود وبخاصة ابناء الطبقة الارستقراطية الذين راحوا يستمتعون بالرقص والغناء والشراب والمجون، الى جانب الاقبال على تعلم اللغة اليونانية رغبة في تقلد المناصب الادارية. " فابتنوا مدرسة في اورشليم على حسب سنن الامم (1 مك 1: 2، 15، مك 4: 9). وتخلوا عن ناموس آبائهم وهجروا عادة الختان التي كانت رمزا للعهد مع الله. ولذلك جلب الرب عليهم الشر الكثير. الذي فعله انطيوخوس (1 مك 1: 23). وسقط قتلى كثيرون وعمت المناحة ارجاء المدينة "وانتخب الرؤساء والشيوخ وخارت العذارى والفتيان وتغير جمال النساء وكل عروس

(1) يعتقد اليونانيون انهم تناسلوا من جد اكبر لهم يدعى هيلين، والهليينيون غزوا البلاد وتغلبوا على المستوطنين القدماء في نحو القرن السادس عشر قبل الميلاد

(2) ول ديورنت - قصة الحضارة مجلد 2 ج 3 ص 51.

(3) "والخنازير لانه يشق الظلف لكنه لا يجتر فهو نجس لكم فمن لحمها لا تاكلوا وجثثها لا تلمسوا " تث 14: 8، لا 11: 7، 66: 17.

اتخذ مرثاة والجالسة في الحجلة عقدت مناحة " (1 مك 1 : 27). وعلى الرغم من كل ذلك فلم يتب الخطاة ولم يرجع العصاة بل تبادوا في غيهم.

وبعد سنتين من تلك الحادثة، أرسل الملك جيشا آخر، واحتال على اليهود، ثم هاجم المدينة وقتل منها خلقا كثيرا، واخذ منها المغنم. ثم اشعل فيها النار، وهدم اسوارها وببوتها، وسبى نساءها واطفالها. وكان يقتل الاطفال المختونين وامهاتهم "ورد مقدسها خرابا كالقفر وحولت اعيادها مناحة وسبوتها عارا وعزها اضمحلالا وعلى قدر مجدها اكثر هوانها ورفعتها الت الى مناحة " (1 مك 1 : 43).

وفي مقابل هذا التيار المتحرر الى حد المجون ظهر فريق اخر عرف اتباعه بالأتقياء (حسيديم). وقد عزفوا عن الحياة الهلنستية العابثة، وانصرفوا الى شريعة آبائهم عاكفين على الصلوات وحافظين للفرائض. وقد تكبدوا في سبيل ذلك الويل الكثير ففر كثيرون منهم الى الكهوف والمغائر حيث عاشوا حياة الزهد والتقشف. ومنهم كاهن يدعى متتياس وكان له من الابناء خمسة: الاول يهوذا الذي لقب فيما بعد بالمكابى، والثاني يوناثان الملقب اوفوس، والثالث سمعان، والرابع يوحنا الملقب بكديس، والخامس اليعازر الملقب أواران.

وتقدم متتياس وخطب في قومه يشجعهم على التمسك بشريعتهم وقال لهم " انا لن نسمع لكلام الملك فنحيد عن ديننا يمنة او يسرة " (1 مك 2: 22). وقتل رسول الملك المكلف بتدنيس الهيكل وفرض عبادة زيوس على اليهود كما قتل اول من تقدم من بني جنسه للتضحية للوثن ولاذ هو واتباعه الى جبل افرايم ليحتمي فيه من وجه الغادر.

وقبل موته كان سمعان قد عهد الى ابنه يهوذا بالمحافظة على المقدسات وبمناهضة مظاهر الكفر وبمواصلة الكفاح ضد المحتل. فتولى قيادة المكابيين بنجاح وكان يتبع اسلوب الكر والفر في مواجهة قوات انطيوخوس المدربة. وكان ينقض من حين لآخر على انصاب الأمم فيهدمها. ويصفه سفر المابيين الأول بأنه كالأسد في حركاته وكالشبل الزائر على الفريسة" (1 مك 3: 4). وكان يقتات هو واتباعه على الأعشاب⁽¹⁾. واخذت شهرته تزداد في المدن بعد الانتصارات التي احرزها على السليوقيين بقيادة ابولونيوس، ثم بقيادة سارون. وكان يخطب في اتباعه يحفزهم على الدفاع عن مقدساتهم قائلا: " ما اسهل ان يدفع الكثيرون الى ايدي القليلين وسواء عند اله السماء ان يخلص بالكثيرين وبالقليلين. فانه ليس الظفر في الحرب بكثرة الجنود وانما القوة من السماء " (1 مك 3: 18 و19).

واستشاط الملك غضبا بعد الهزائم التي كانت تلحق بقواته. وامسك عن الانفاق الا فيما يخص الجيش واتجه الى بلاد فارس للاغارة ولجمع الجزية والاسلاب. وعهد الى القائد ليسيئاس بمهمة القضاء على المكابي ولابادة اليهود على اخرهم. فسير ليسيئاس قسما كبيرا من الجيش⁽¹⁾ ما بين راجل وفارس تحت قيادة دوريماتس، وكنانور، وجورجياس. ونزلوا عند عمواس، ولديهم امل كبير في القضاء على المكابين حتى انهم قايسوا تجار الرقيق باليهود قبل بدء المعركة. ولكن انتصار المكابين عليهم في المصفاة خيب آمالهم وبدد شملهم، بينما ارتفع شأن المكابي وارتفع عدد مؤيديه. وكان ذلك في عام 165 ق.م.

وفي العام التالي انتصر على جيش اخر قاده ليسيئاس عند بيت صور، ومن بقى منه فر الى انطاكية. اما يهوذا فقد استغل مغنم الحرب وسواعد الرجال في تطهير الهيكل وترميم ما انت عليه جيوش المغيرين " وفي مثل الوقت واليوم الذي فيه دنسته الامم في ذلك اليوم دشن بالاناشيد والعيدان والكنارات والصنوج فخر جميع الشعب على وجوههم وسجدوا للذي انجهم وباركوه الى السماء "(1مك 4: 54).

وادت انتصارات المكابي الى اثارة جيرانه من الامم فباتوا يضايقون اخوانه المقيمين بينهم" وطفقوا يقتلون وبهلكون من الشعب" (1مك 2: 5). فتصدى لهم يهوذا ونجح في قمعهم. وقد ادى هذا الى ارتفاع شأن يهوذا، وعدوه من بين الأبطال. لانه انقذ أبناء جلدته من عدى المعتدين، وطهر بيت الرب من ارجاس المحتلين. لقد كان هذا هو حال العهد العتيق، اما في العهد الجديد فقد تغير الأمر واصبحت الحرب روحانية لا مادية، حرب ضد الشيطان وليس الانسان، حرب ضد الجسد وضد غرائزه، والمنتصرون فيها ينالون المجد السماوي لا الدنوي.

ووصلت هذه الأنباء الى مسامع انطيوخوس وهو بعد في فارس ينتقل ما بين اكباتان وبرسبوليس، مما ضاعف من غمه بعد فشله في دخول مدينة المايس التي كان يطمع في ثروتها. وقد اصابه المرض نتيجة لكل هذه الخسائر، ثم سقط من أعلى جواده، مما عجل بموته بعد ان عهد بالمملكة الى احد المقربين اليه ويدعى فيليب الذي قام بالوصاية على ولي العهد الحدث انطيوخوس الملقب يوباتور⁽²⁾ سنة 163 ق.م. وقيل انه في اخر ايامه ندم على ما فعله باليهود، وانه ارسل لهم مكتوبا وعدهم فيه بانه سوف يصلح ما افسده الجند.

(1) قيل اربعة الاف راجل وسبعة الاف فارس، وقيل ثلاثة الاف فقط، ألف لكل قائد.

(2) عندما جلس انطيوخوس يوباتور على العرش وهو بعد حدث لذلك كان من المتوقع ان ديمتريوس الذي كان رهينة في روما يعود ليتولى الامر، ولكن روما كانت تميل الى الملك الضعيف فلم تطلق سراح الملك ديمتريوس فطاب الحكم للملك الصغير تحت وصاية فيليب

وليته ادرك قبل ان يحتضره الموت قول الحكيم " لان الغنى ليس بدائم ولا التاج لدور فدور (ام27: 24). وأما عن تدنيسه للهيكل فقد سبق دانيال النبي وقال " وتقوم منه اذرع وتنجس المقدس الحصين وتنزع المحرقة الدائمة وتجعل الرجس المخرب. والمتعدون على العهد يغويهم بالتملقات اما الشعب الذين يعرفون الههم فيقومون ويعملون " (دا 11 : 30).

وعلى الجانب الآخر اضطر القائد لسياس الى الرضوخ لمطالب اليهود وترك لهم الحرية في ممارسة طقوسهم وشعائر دينهم بعد ان اخذ موافقة من الوصي على الملك الجديد " فبادر وسعى الى الملك والقواد والجيش وقال لهم انا لنضعف يوما بعد يوم وقد قل طعامنا والمكان الذي نحاصره حصين وامور المملكة تستحثنا والان فلنعاهد هؤلاء الناس ولنبرم صلحا معهم ومع جميع امتهم ولنقرر لهم ان يسلكوا في سننهم كما كانوا من قبل فانهم لاجل سننهم التي نقضناها غضبوا وفعلوا كل ذلك..." (1 مك 6: 57-59).

وبعد فترة من الهدوء عادة الازمة من جديد بين المكابيين والسلوقيين نتيجة لمنع الجنود لليهود من دخول الهيكل مما اضطر المكابي للتصدي لمن اعتبرهم شرزمة من الثوار (1 مك 6: 2 ، 13: 2). ودخل جيش الملك اليهودية من جهة ادم، وكان معهم منلاوس رئيس الكهنة المخلوع والذي كان يطمع في العودة الى منصبه⁽¹⁾. ووصل انطيوخوس الى منطقة بيت ذكريا الواقعة جنوب غرب بيت لحم وهناك استظهر على جيش المكابي، ولكنه اضطر الى العودة الى انطاكية للقضاء على فيليب الذي استغل فرصة غياب الملك ولبس تاج الملك في سورية. وكان قد عقد صلحا مع المكابي وافر له الولاية وضم اليه مدن الساحل، وترك لليهود الحرية في ممارسة شعائرهم دون مضايقة فقد ايقن السلوقيون اهمية المقدسات الدينية بالنسبة لهم.

لقد سار المكابيون في درب الجهاد الوطني. ولكن هذا الفريق تحول بعد ذلك من مجرد الدفاع عن المقدسات وتحرير البلاد الى الاطماع الاستعمارية. وبخاصة بعد النجاحات والمكاسب التي حققتها المكابي بالقوة الجبرية من خلال خوض المعارك. وبدأ قادتهم يعتمدون على قوتهم الشخصية ويثقون في عتادهم ورجالهم اكثر مما يتكلون على الله. كما انهم لم يكتفوا بتحرير البلاد وتطهير المقدسات بل تعدى الامر ذلك وراحوا يوسعون حدود بلادهم على حساب غيرهم لهذا اخفقت الحركة في نهاية الامر وانتهت على يد الرومان وتم المقضي به.

(1) تأمر عليه لسياس بعد ذلك وأوعز الى الملك بضرورة التخلص منه فألقوا به من احد الابراج فمات ولم يعتني به احد

ديمتريوس الاول

في حوالي سنة 187 ق.م. جاء ديمتريوس ابن سليوقوس الرابع من رومه واحتل بعض مدن الساحل ثم سار الى انطيوخوس يبغى القضاء عليه.

وبعد ان استتب له الامر دنا منه مجموعة من المتملقين اليهود يرأسهم الكيمس(الياقيم) الذي كان يطمع في رئاسة الكهنوت. ووشوا بيهودا فارسل ديمتريوس جيشا بقيادة بكيديس وتظاهر بالسلم فخرج له ستون من جماعة الحسيديم فحنث بعهدهم وقتلهم" كما هو مكتوب جعلوا لحوم اصفياك وسفكوا دماءهم حول اورشليم ولم يكن لهم من دافن"(1مك7: 16)

وتصدى المكابي لجيش الملك وطرده عدة مرات على التوالي انتهت بمصرع نيكانور قائد الجيش في جازر، فصار ذلك عيدا يحتفلون به لانهم تخلصوا ممن توعد بتدمير دور عبادتهم وباستئصال الغيورين على شريعتهم. وكان ذلك في الثالث عشر من آذار سنة 161 ق.م.

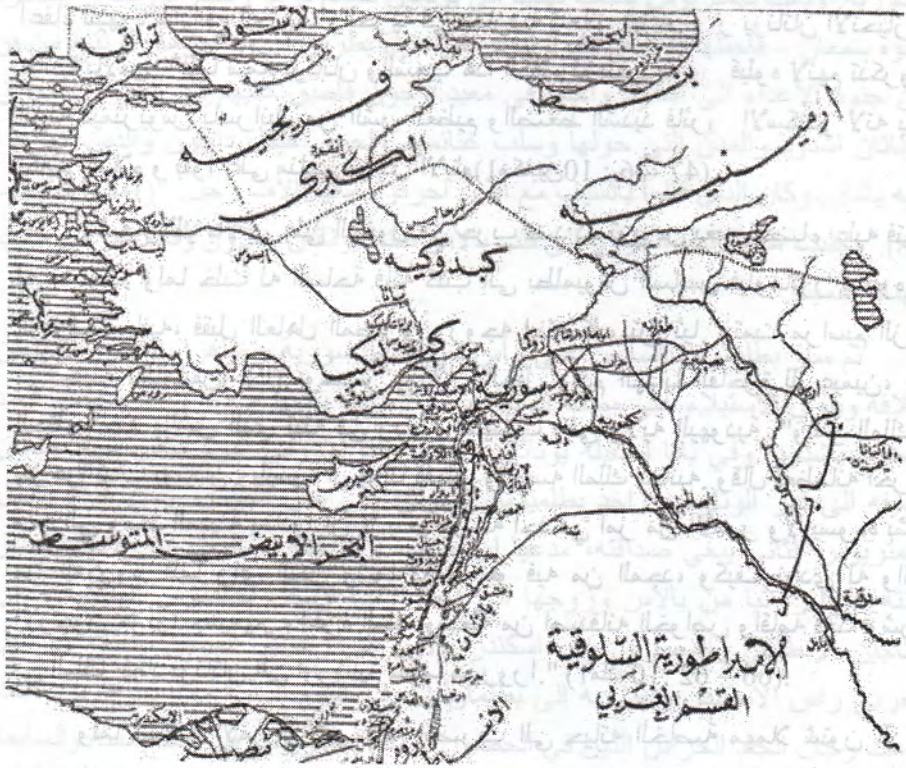
وبعد ذلك تحالف المكابي مع الرومان الذين بعثوا اليه برسالة تأييد دون نصها على الواح نحاسية وارسلت منها نسخة الى اورشليم. كما بعثوا برسالة تهديد الى ديمتريوس يحذرونه من التدخل في شئون اليهودية. ولكن ديمتريوس لم يعبأ بها وارسل جيشا الى اليهودية بقيادة بكيديس والكيمس، انتصر على المكابين. ووقع يهوذا صريعا في ساحة القتال وحمل يوناثان وسمعان جثمان اخيهما ليدفن الى جوار ابائه في موزين. وراح بكيديس يعمل سيفه في اتباع يهوذا بغير هوادة.

يوناثان:

بعد موت يهوذا تولى يوناثان قيادة المكابين(1مك9: 26). ولما علم بكيديس بذلك فانه اعد جيشا وصعد به الى شطوط الاردن حيث التحم الفريقان فسقط من جيش المغير ألف رجل، ثم رحل عن اليهودية تاركا الحاميات في اريحا وعمواس وبيت ايل وبيت حورون وجازر. واخذ معه ابناء الوجهاء رهينة. ثم اتجه يوناثان الى بناء وتعمير ما خربه المحتل واقام التحصينات في المدن⁽¹⁾. اما الكيمس فقد امسكه الفالج عن الكلام والحركة حتى مات. وبعد نحو عامين جاء بكيديس بجيش كثيف فتصدى له سمعان لان يوناثان كان

(1) اريحا وعمواس وبيت حورون وبيت ايل وتمنة وفعرتون وبيت صور وتيفون وجازر والقلعة.

خارج اورشليم فانكسر بكيديس على يد سمعان فشرع في الانتقام ممن اشاروا عليه بالمجي. وقرر الانصراف الى انطاكية بعد ان عقد صلحا مع يوناثان تبادلا خلاله الاسرى.



اسكندر بالاس

في عام 150 ق.م. ظهر شخص يدعى اسكندر بالاس ادعى انه سليل انطيوخوس الخامس، وملك في بطلميس. وارسل الى يوناتان كتابا مصحوح بالهدايا والوعود يطلب فيه الوقوف بجانبه. كما جاءه كتاب آخر مشحون بعبارات التملؤ من قبل ديمتريوس. وفيه اعفاء لليهود من دفع الجزية، والحرية في ممارسة شعائر دينهم. ار يوناتان الانحياز الى جانب بالاس. "فلما سمع يوناتان والشعب هذا الكلام لم يثقوا به و قبلوه لانهم تذكروا ما انزله ديمتريوس باسرائيل من الشر العظيم والضغط الشديد فاثرو الاسكندر لانه بداهم بكلام السلام و بقوا على مناصرته كل الايام(1مكابيين 10 : 46، 47).

وشجع ذلك بالاس على الدخول في حرب ضد ديمتريوس بغية القضاء عليه فتحقق له ما اراد. ولما خلت له الساحة فانه كتب الى بطلميس السادس فيلوماتور يدعوه الى الوقوف بجانبه، فقبل العاهل المصري وزوجه ابنته كليوبترا ثيا. وتمت مراسيم الزواج في مدينة بطلميس(عكا). وحضر يوناتان الحفل وقدم الهدايا الفاخرة للزعيمين، فنال الحظوة عند بالاس الذي ثبته في رئاسة الكهنوت وفي ولاية اليهودية. "وامر الملك ان ينزعوا ثياب يوناتان ويلبسوه ارجوانا ففعلوا واجلسه الملك بجانبه. وقال لعظمائه اخرجوا معه الى وسط المدينة ونادوا ان لا يتعرض له احد في امر من الامور ولا يسوءه بشيء من المكروه. فلما رأى الذين وشوا به ما هو فيه من المجد، وكيف نودي له والبس الارجون هربوا جميعهم. واعزه الملك وجعله من اصدقائه الخواص واقامه قائدا وشريكا في الملك. فعاد يوناتان الى اورشليم سالما مسرورا." (1مك 10: 62 - 66).

ولما استتب الامر لبالاس فانه انصرف الى حياته الخاصة مهملا شئون الرعية فمقته الشعب. وفي سنة 147 ق.م. ظهر على غير ما كان يتوقع ابن لديمتريوس الاول كان قد هرب الى كريت، ولما بلغ اشده فانه عزم على اخذ المملكة من بالاس ولقي تاييد الكريتيين وسكان كيليكية وفينيقية. واراد بالاس ان يحبط مساعي الوريث قبل ان يستقل امره. ولم يصبح امامه بعد ابطاء نجدة حميه بطلميس سوى يوناتان، ووافق يوناتان على موازنة بالاس، رافضا دعوة ديمتريوس في الانضمام اليه.

ديمتريوس الثاني

عندما علم بالاس بمجي ديمتريوس من جزيرة كريت، فإنه ذهب الى انطاكية. اما ديمتريوس فقد فوض قيادة الجيش الى ابولونيوس الذي اح يحشد القوات من البقاع السورية. وبعث ديمتريوس بكتاب تهديد الى يونانان فجمع داته رتقدم الى يافا - يظاهاه اخوه سمعان - فاحتلها ثم التقى بابولونيوس في سهل بطريق الله دود فهزمه. ثم تتبع من فر من جنود الاعداء الى اشدود واختبأ في معبد داجون فاطبق عليهم في المعبد " فاحرق يوناتان اشدود والمدن التي حولها وسلب غنائمهم واحرق هيكل داجون والذين انهزموا اليه بالنار. وكان الذين قتلوا بالسيف مع الذين احرقوا ثمانية الاف رجل. "(1 مك 10: 84 - 87). فجلبت هذه الانباء السرور الى قلب بالاس فمنح يونانان عقرون وتخومها الى جانب الهدايا الثمينة.

ثم سار بطليموس السادس على رأس جيشه الى سورية متظاهرا بالسلم ودع يبطن خلفه وينوي الاستيلاء على مملكة السلوقيين والاطاحة بصهره. وقد راعه ما اح بمعبد داجون باشدود. وفي يافا استقبله يونانان باجلال واکرام. وفي اليوم التالي شيع يونانان ضيفه الى نهر الوتارس. واخذ بطليموس يستولي علي مدن الساحل. ومن هناك راسل ديمتريوس الثاني يبغي صداقته، مدعيا ان صهره يريد قتله. وبالفعل انتزع ملك مصر ابنته كليوبترا ثيا من بالاس وزوجها الى ديمتريوس. ودخل بطليموس انطاكية ولبس التاجين الأنطاكي والمصري. وفر اسكندر بالاس الى زبدنييل العربي " فقطع زبدنييل العربي راس الاسكندر وبعث به الى بطلمائوس. وفي اليوم الثالث مات بطلمائوس الملك فاهلك رجال الجند الحراس الذين في الحصون. وملك ديمتريوس في السنة المئة والسابعة والستين "(1 مك 11: 17).

وأثر ديمتريوس السلم مع يونانان وثبته على حكم اليهودية والسامرة ولدة ووسع تخم مملكته. وظلت بلاده معفاة من دفع الجزية كما كانت في عهد بالاس.

ولما استتب الأمر لديمتريوس فإنه أبقي في جيشه الكريتيين وغيرهم من المرتزقة. وقام بتسريح الجنود الوطنيين (مك 11 : 38). كما انه قتل عددا من الجنود المصريين الذين سبق وأعانوه على بالاس وكان لهم الفضل في جلوسه على العرش. وزيادة على ذلك انه اهمل مثل سابقه شئون الرعية وانصرف الى المجون وانغمس في المذلات. فأدى ذلك الى كراهية الجنود والشعب له والثورة عليه.

وطمعا في زيادة مكاسبه ارسل يوناتان سفارة الى الرومان ليجدد العهد معهم، وبادله الرومان برسالة تعضيد(1مك 15: 16). فصارت منذ ذلك الحين رسائل الود والتحالف. كما بعث برسالة مودة الى اسبرطة ذلك الحليف القديم الذي استقبل من قبل الفارين من بطش نبوخذنصر ملك بابل.



تريفون

كان تريفون يطمع في ارتداء التاج السوري، وكان عليه أولاً ان يتخلص من الملك الصغير ومن يوناثان حليفه فسار اليه ووصل الى بيت شان(بيسان) وخرج يوناثان لملاقاته في اربعين الف رجل "فلما رأى تريفون ان يوناثان قد اقبل في جيش كثيف لم يجسر ان يمد يده اليه فتلقيه باكرام واوصى به جميع اصحابه واهدى اليه هدايا وامر جيوشه بان يطيعوه طاعتهم لنفسه" (1 مك 12: 42) واوهمه انه جاء ليسلمه بطلميائس ثم غدر به.

سمعان:

بعد ان وصلت اليه انباء الغدر باخيه فان سار الى اورشليم وارسل اليه تريفون يقايطه في امر اخيه يوناثان المقبوض عليه فارسل الى سمعان يطلب منه المال مئة قنطار فضة وابني يوناثان كرهينة؛ ولكن تريفون كعادته نكث العهد وغدر بيوناثان وقتله. فاخذ سمعان ودفنه في مودين الى جوار ابائه (1 مك 13: 42). وبعد مناوشات كبيرة بين الفريقين عاد تريفون الى انطاكية حيث كلل اعمال الغدر بالاطاحة بمليكه انطيوخوس ثيوس فقتله وملك بدل منه.

ثم جرت المكاتبات بين سمعان وديمتريوس الذي كان لايزال حيا في اللاذقية، واصبح سمعان بموجبها رئيسا للكهنة وحاكما مستقلا على اليهودية. وبدأ سمعان عهدا جديدا من الحرية والاستقلال التام وبدات العقود والوثائق تؤرخ باسمه⁽¹⁾. "ولم يبق في الارض من يحاربهم وقد انكسرت الملوك في تلك الايام" (1 مك 14: 13). وتحالف معه الرومان والاسبرطيون وكتبوه فارسل سمعان للرومان ترسا من الذهب الف منا "ليقرر المناصرة بينه وبينهم" (1 مك 14: 24). وارسل له الرومان رسالة منقوشة على الواح من نحاس تم وضعها في رواق الأقداس في موضع مشهود.

وكان ارساس (متريداس) ملك بارثيا قد تعاضم واستفحل أمره في بلاد المشرق وأخذ يضايق الولاة التابعين لآل سليوقوس فذهب ديمتريوس لنجدتهم لكنه فشل ووقع في الأسر، ولكن ملك فارس أكرمه وزوجه ابنته التي تدعى رودكون، وكان ذلك في عام 140 ق.م. فلما علمت زوجته الاولى كليوبترا بما جرى لزوجها ان ارسلت الى اخيه وهو بعد في رودس تعرض عليه الزواج والاستحواذ على عرش سوريا، فقبل العرض، وارسل الى

(1) 1 مك 13: 42، 14: 38.

سمعان يعترف بمكانته ويدعوه الى مناصرته للقضاء على تريفون وليسترد عرش ابائه. كما انه سمح لسمعان ان يضرب الصكوك باسمه مقابل دعمه له (1 مك 15: 6).

ولكن ما ان تم له التخلص من تريفون الذي هرب الى دورا ومنها الى ارطوسايس. فانه انقلب على سمعان وارسل اليه اتينويوس يطالبه بالجزية وبالتخلي عن المدن التي صارت في حوزته وإلا فالحسم للحسام "فاجاب سمعان وقال له إنا لم نأخذ ارضا لغريب، ولم نستولي على شيء لاجنبي، ولكنه ميراث ابائنا الذي كان اعداؤنا قد استولوا عليه ظلما حيناً من الدهر. فلما اصبنا الفرصة استرددنا ميراث ابائنا (1 مك 15: 33). ولكن الملك لم يحفل بكلامه وارسل جيشا بقيادة كندباوس اخذ يعيث الفساد في البلاد. كما لم يعبأ بتهديد الرومان انصار سمعان.

ولما تقدم العمر بسمعان فإنه اقام في جازر وأوكل مهمة الدفاع عن امته وعن مقدساتها الى ابنيه يوحنا ويهوذا وقال لهما "والان فاني قد شخت وانتما برحمة الله قد بلغتما اشدكما فقوما مقامي ومقام اخي واخرجا وقاتلا عن امتكما وليؤازركما النصر من السماء" (1 مك 16: 3) فانطلقا وراء كندباوس فكسراه ثم عادا الى ارض يهوذا.

وبعد ذلك تعرض سمعان وولده متتيا ويهوذا للغدر على صهره المدعوا بطلماوس ابن ابوبس الذي قتلهم بعد أن ادب لهم وأفرطوا في الشراب. كما ارسل الى جازر يحتال لقتل يوحنا الأبن الثالث الذي فطن الى ذلك وقبض على رجال بطلماوس. وواصل الكفاح ضد السليوقيين هو وخلفاؤه محافظا على استقلال بلاده.

واطلق ملك فارس سراح صهره ديمتريوس حتى يقتل الأخوان على عرش سورية فينشغلان عن الولايات الشرقية، ولكن خاب ظنه واتحداء، ولكن الى حين.

يوحنا هركانوس:

في بداية عهده صعد أنطيوخوس السابع على أروشليم وحاصرها واستمر الحصار لمدة عام وأثناء ذلك طلب يوحنا هدنة حتى يتسنى للشعب الاحتفال بعيد المظال فوافق أنطيوخوس، وزاد على ذلك أن أرسل تقدمه العيد على نفقته. ورد اليهود على حسن صنيعه بأن أدوا له جزية العام مما دفعه إلى رفع الحصار وعودة الجيش. واستغل اليهود إنشغال أنطيوخوس السابع في الإعداد لحرب ضد بارثيا لنجدة أخيه فأخذوا يعملون على توطيد استقلالهم.

وبعد موت أنطيوخوس السابع، اتصل يوحنا هركانوس بروما (حوالي عام 127 ق.م) يطلب مؤازرتها فأصدر السنطاو وثيقة لحماية اليهود ولصيانة حريتهم مما أعطى لهم الفرصة على يد هركانوس أن يتوسعوا على حساب السليوقيين، وأخذ يمد سلطانه شرقي الأردن كما توسع شمالاً حتى بلغ جرزيم وشكيم. وتوسع جنوباً فأخضع أدومية، وسك النقود بإسمه معلناً الاستقلال التام وعدم التبعية لأحد.

وفي الوقت الذي نعم فيه هركانوس بالحرية والتوسع، كانت سلطة السليوقيين في سوريا والبطالمة⁽¹⁾ في مصر آخذة في التدهار بسبب تفاقم النزاع حول العرش. هذا من ناحية ومن ناحية أخرى تدخل الرومان المستمر في شئون مصر وسوريا، وقد اتبعوا سياسة النحر في عضد الممالك رويداً رويداً حتى يتسنى لهم الانقضاض على الشرق والغرب كفرصة سهلة. وهو ما تحقق بالفعل على يد يوميى وزملائه من أعضاء السناتو فيما بعد.

وفي إنطاكية قامت ثورة ضد ديمتريوس الثاني بعد فشل حملته التي قادها على مصر. وأرسل الثوار إلى الملك البطلمي يطلبون عودته؛ فأرسل لهم شخصاً يدعى إسكندر زابيناس (128 ق.م)، ادعى أنه من سلالة السليوقيين ليتولى أمرهم. ودخل زابيناس في حرب مع ديمتريوس انتهت بهزيمة الثاني وفراره إلى صور بعد أن أوصدت زوجته كليوبترا⁽²⁾ الأبواب في وجهه، وهناك قُتل بأمر حاكم المدينة عام 125 ق.م. وبعد موت ديمتريوس الثاني اقتسم زابيناس⁽³⁾ العرش مع كليوبترا تيا فملك هو في دمشق وشمال

(1) تزوج بطلمئوس الثامن البطن من كليوبترا الثانية أرملة أخيه بطلمئوس السادس. ولكنه بعد ذلك قام بنفيها وتزوج بابنتها من أخيه كليوبترا الثالثة، وانجب منها بطلمئوس التاسع والعاشر وكليوبترا الرابعة والخامسة. وقد أدت أفعاله المشينة إلى قيام الثورات ضده. كما أدت سياسة العنف التي اتبعها في معاملة الثوار إلى هياج الشعب، وتجهروا أمام القصر واشعلوا فيه النار. ولكنه تمكن من الهرب إلى قبرص، فجلست طليفتة على عرش البلاد إلى حين قدوم الوريث من القيروان. ولكن البطن كان قد تخلص منه قبل مجيئه إلى مصر. كما دفعه جنون السلطة إلى الإقدام على ارتكاب جريمة يشيب لها الشبان والعذارى وهي أنه اغتال ابنه منها (بطلمئوس السابع) حتى لا يبقى وارث لعرش مصر سواء. وزادت هذه الأفعال المشينة من حنق المصريين وأبو ان يعود هذا الطاغية إلى عرش مصر ثانية حتى أريقت دماؤهم أمام جيوشه المدربة التي بعث بها من قبرص. واضطرت كليوبترا إلى الهرب إلى عكا حيث كانت ابنتها كليوبترا الصغرى ملكة عليها. بينما عاد البطن إلى عرش مصر بقوة السلاح.

(2) تزوجت كليوبترا أولاً من بلاس ثم طلقت منه وزوجها أبوها بطلمئوس السادس إلى ديمتريوس وبعد وقوعه في أسر ملك فارس تزوجت من أخيه أنطيوخوس سيديتس، وبعد مصرع سيديتس عادت إلى ديمتريوس الذي كان قد أطلق سراحه.

(3) رغب زابيناس في مقاومة جريبوس للاستئثار بالسلطة، ولكن نظراً لضعف امكانياته فإنه لجأ إلى المعابد وإنقضَّ عليها ونهب كنوزها. ثم دخل في حرب خاسرة ضد أنطيوخوس الثامن، حيث انهزم جيشه ولقى مصرعه عام 123 ق.م. قال عرش سوريا كله إلى أنطيوخوس جريبوس.

سوريا، وحكمت هي في عكا وسورية الجنوبية من خلال سليوقوس الابن الأكبر لها. وبعد سنة واحدة استغلت غياب الرحمة من قلبها، وأماتت وازع الأمومة في صدرها، وتخلصت من فلذة كبدها، لانه ابى ان يكون طوع بنانها في ادارة شئون الحكم. ونصبت بدلا منه ابنها الاصغر انطيوخوس جريبوس Grypos الذي تزوج من كليوبترا (السادسة) تريفانا Tryphana ابنة خاله بطليموس التاسع⁽¹⁾.

(1) في عام 117 ق.م. مات بطليموس الثامن البطن تاركا العرش لابنيه الأكبر بطليموس التاسع لاثيروس والاصغر بطليموس العاشر (اسكندر الأول) وامهما كليوبترا الثالثة. وكانت كليوبترا تميل الى رفع اسكندر على اريكة الحكم حتى يتسنى لها ان تملئ ارادتها عليه، ولكن رغبة الكهنة واردة الشعب اختارتا الاكبر. ومع ذلك لم تكف ليس فقط عن التدخل في شئون الحكم بل وفي حياته الخاصة فجعلته يطلق امرأته كليوبترا الرابعة وان يتزوج اختها كليوبترا الخامسة سيلانه. فلجأت كليوبترا المطلقة الى انطيوخوس التاسع السيزيكي وامتته بمن انحاز اليها من الرجال لمحاربة اخيه كريبوس، ولكن دارت عليهما الدائرة واحتمت كليوبترا بأحد المعابد في انطاكية ولكن تريفانا زوجة الملك المنتصر طلبت منه ان يقتلها فأنكر عليها ذلك لعدة اسباب اولها انها تحتمي في مكان مقدس، وثانيا لانها لم تعد تمثل خطورة عليهما، وثالثا بسبب صلة الرحم. ومع ذلك فقد ارسلت الجند لاجراجها عنوة من المعبد وعندما تشبثت بالمنبح قطع الجند يديها واخرجوها وقتلوا سنة 113 ق.م.

الى هذا الحد بلغ جنون السلطة ببطلميوس الثامن ان يقتل ابنه، وبكليوبترا تيا ان تقتل ابنها سليوقوس، وبجريبوس الابن الاصغر ان يقتل ذات الأم القاتلة كليوبترا تيا،...الى هذا الحد طغت السلطة والمجد الباطل على انبل المشاعر التي تربط اقرب المقربين ببعضهم. لقد ذهب العظماء وزال مجدهم الباطل. اين هم الآن واين هي عروشهم التي سفكوا من اجلها اغلى الدماء؟!

ولما علمت كليوبترا (الثالثة) بتحالف ابنها لاثيروس مع السيزيكي ملك سوريا بغية استعادة عرش مصر. واتيحت لكليوبترا الفرصة ان تضرب الحليف وتقعده عن مساعدة لاثيروس فاعطت سيلانه (كليوبترا الخامسة) ابنتها زوجة لكريبوس وعضدته بجيش قوي ضد اخيه ونجحت بالفعل اذ انشغل السيزيكي بحربه ضد اخيه ولم يقوى على مناصرة لاثيروس. وظلت كليوبترا الثالثة على عرش مصر تدبر دفة الامور من وراء ابنها بطليموس العاشر (اسكندر الاول) حتى ضاق ذرعا بتدخلات امه وأمر بقتلها غيلة فثارت عليه الرعية وعزلوه. واستدعوا اخاه لاثيروس ليحكم البلاد بدلا منه. وأما الملك المخلوع فقد حاول مرارا استعادة العرش حتى قتل في احدى المعارك حوالي عام 98 ق.م. فطاب الملك لايه بلا منازع. وبعد موته، عين الرومان بطليموس الحادي عشر (اسكندر الثاني) ابن اسكندر الاول اخي لاثيروس الذي اقترن ببرنيقي ابنة عمه، وحكما معا لاشهر قليلة ثم تخلص منها. وانفرد هو بعرش مصر الى ان مات.

وكان الرومان يتطلعون لعرش مصر كما كانت سيلانه (كليوبترا الخامسة) اخت لاثيروس وارملة يوساب تطمع كذلك في عرش البلاد. وتولى الحكم ببطلميوس الثاني عشر اوليت واستمر فيه حتى

ولما استتب له الأمر حاول جريبوس إقصاء أمه تيا عن التدخل في شئون الحكم فدفعها جنون السلطة إلى محاولة التخلص من فلذة كبدها بأن وضعت له السم في كأس الخيانة وقدمته له ففطن هو إلى الأمر وأجبر أمه على شرب نفس الكأس فوَقعت في الشراك الذي أعدته لابنها وماتت في الحال سنة 120 ق.م.

ودب صراع اخر بين انطيوخوس السيزيكي واخيه كريبوس وتأرجحت كفة النصر بينهما، ووقعت اليهودية في نطاق السيزيكي. وطمع هركانوس في ضم السامرة⁽¹⁾ إلى مملكته، وأرسل يوحنا هركانوس جيشاً تحت امرة ولديه: انتيجونيس، وارسطوبوليس إلى السامرة فحاصرها ثم تمكنوا من دخولها فدمروها. وتمت فيها دعوة الانبياء (ار 23 : 13، هو 13 : 16) - بعد ذلك بُنيت عليها مدينة سبسطية في عهد اغسطس قيصر - ولم يفلح السيزيكي في نجدة اهلها على الرغم من المدد الذي ارسله له لاثيروس. وترك السيزيكي لهركانوس بيسان وغيرها مقابل المال.

ثم مات هركانوس سنة 104 ق.م بعد أن قاد المكابيين إحدى وثلاثين عاماً حقق خلالها إنجازات سياسية وعسكرية تبعتها انهيار روى وانحراف عن الشريعة الموسوية. وبعد موته خلفه ابنه أرسطوبولس (الأول).

عام 52 ق.م. وفي اثنائها تم عزله مرتين. وبعد موته تولى ابنه بطليموس الثالث عشر مقاليد الحكم وله من العمر ثلاثة عشر عاماً بالمشاركة مع اخته كليوبترا السابعة البالغة من العمر سبعة عشر عاماً.

وعلى اثر الصراع الذي احتدم بين الأخوين، وتدخل الرومان انتهى الأمر بهزيمة بطليموس وغرقه على يد الجيوش الرومانية. وأقيم بطليموس الرابع عشر ملكاً من قبل قيصر، ولمدة أربع سنوات. ثم تزوج قيصر من كليوبترا فوضعت له قيصرون الذي حكم بعد اغتيال قيصر باسم بطليموس وهو الخامس عشر في سلسلة البطالمة، ولكنه قتل بعد ذلك على يد اكتافوس حوالي سنة 30 ق.م. وتزوج انطونيوس - الذي اقتسم املاك الرومان بعد مصرع قيصر بينه وبين اكتاف - من كليوبترا وانجب منها هليوس (الشمس) وسيلانا (القمر). ثم دب الصراع بين القائد انطونيوس واكتافوس وانتهى بمصرع الأول وانتحار عشيقته، وألت مصر الى الثاني كولاية رومانية .

(1) بنى السامريون معبدا لهم على جبل جرزيم حيث كنوا يحتفلون بفصحهم. ولا يزال عدد قليل منهم يعيشون في نابلس، وهم يطلقون شعورهم ولحاهم ولهم نسخة من التوراة تحمل اسمهم وهم يحتفلون بالفصح مثل اليهود. واثناء ذلك يحيطون بالمعبد ويقف رئيسهم ويتلو الأصحاح الثاني من سفر الخروج بينما يقو الحاضرون بذبح سبع خراف ثم يحفرون حفرة ويحرقون فيها مخلفات الذبائح التي يأكلونها وهم منتعلين حسبما جاء في الوصية.

أرسطوبولس (الأول):

ان الصراع هو السمة الأساسية للوجود، والذي نحن بصددده الآن هو الصراع السياسي، فإذا توقف في الخارج، ونعمت البلاد بالهدوء والسلام فلا يلبث أن يشتعل في الداخل سواء بين الأحزاب الدينية ممثلة في الصدوقيين والفريسيين، أو بين افراد الأسرة الحاكمة، وهو ما حدث بالفعل بين خلفاء هركانوس بعد مماته. فقام أرسطوبولس بإلقاء أمه في السجن، بل وقطع عنها الطعام حتى ماتت. كما أنه سجن ثلاثة من إخوته، وأمر بقتل الرابع المدعو انتيجونيس بإيعاذ من زوجته سالومة، ولكنه ندم بعد ذلك عندما تبين له كذب المدعين. وعلى الرغم من قصر مدة حكمه إلا أنه توسع شمالاً فأخضع منطقة الجليل وأجبر سكانها على الاختتان والتهود. وبلغ اقليم ايظورية الواقع في جنوب لبنان.

اسكندر جناؤس:

بموت أرسطوبولس تولى الحكم أكبر اخوته المدعو اسكندر جناؤس، وعلى عادة المكابيين سعى إلى التوسع وحاول ضم بطلمايس(عكا) التي كانت في أيدي البطالمة فإستعان أهلها ببطليموس التاسع لاثيروس وهو بعد في قبرص - بعد ان خلعه الشعب وعينوا بطليموس العاشر(اسكندر الاول) بدلا عنه - فسار بطليموس إلى عكا على رأس ثلاثين ألف مقاتل، أما إسكندر جناؤس فإستعان بكليوبترا الثالثة ضد إبنها، ومن عجائب الأمور أن جيش كليوبترا التقى بجيش إبنها. ووقعت خسائر فادحة لدى الفريقين. ولم يخرج رابحاً سوى إسكندر جناؤس الذي واصل فتوحاته وتوسيع رقعة ملكه؛ ولكنه لقي الهزيمة على يد العرب بقيادة عوبيداس الأول. كما لقي هزيمة أخرى على يد ديمتريوس الثالث (ثيوس) لتخلى عدد كبير من اليهود عنه، وبعد عودته انتقم من الخارجين عليه؛ فأمر بصلب ثمانين مائة من رؤسائهم وقتل أبناءهم وزوجاتهم أمام أعينهم حسبما روى يوسفوس. وكان اليهود يمقتونه ويتنكرون عليه رياسته للكهنة كما كانوا يشككون في نسبته لأن أمه وقعت في الأسر، واثناء الاحتفال بعيد المظال كانوا يرشقونه بالليمون ويسبونونه لذلك انتقم منهم شر انتقام. وأخيراً مات اسكندر جناؤس سنة 76 ق.م وله من العمر نحو تسع واربعين سنة، تاركاً المملكة في يد زوجته سالومة التي حملت لقب (الكسندرا).

ولما ضاق الناس ذرعا من جراء الصراع الدائر بين ورثة عرش السلوقيين⁽¹⁾، رأى الوجهاء منهم انه من الاصوب ان يتولى امرهم حاكم اجنبي فلجأوا الى تجران ملك ارمينيا فقبل العرض ولبس تاج سوريا سنة 83 ق.م. ثم عين عليها مفيرات واليا. وحكمت سيلانه في عكا بينما قضى اوساب بقية عمره في كيليكية، واختفى فيليب ولم يعرف عنه شيء. وفي سنة 69 ق.م. عاد انطيوخوس ابن سيلانه من روما ودبر أمور مملكة سوريا لما ينيف على الأربع سنوات حتى دهمها الرومان بقيادة لوكيوس، ثم اكمل بومباي افتتاح المدن مثبتا اقدام الرومان في طول البلاد وعرضها كما انتصر على متريداث حاكم البنطس وتغران ملك ارمينيا. ثم ارسل قائده سكاوروس فأخضع جوف سوريا ودمشق لسلطة المحتلين الجدد.

الكسندرا:

اشتركت مع ابنها الأكبر هركانوس في إدارة المملكة، وفي عهدها ارتفع شأن طبقة الفريسيين الذين تشكل منهم مجمع السنهدريم باعتباره الهيئة الممثلة للشعب، والمختصة بالبت في القضايا الدينية والسياسية، وكان ينازعهم فيها الصدوقيون كممثلين عن الطبقة الارستقراطية في الوقت الذي كان الفريسيون يمثلون الحزب الديمقراطي. أما من الناحية الدينية فكانوا أوصولى النزعة، رافضين للأفكار الهلنيسية. وجاء عن الصدوقيين انهم ما كانوا يؤمنون بالقيامة ولا بالأرواح ولا الملائكة (مر 12 : 18، اع 23 : 8) وهي من تأثيرات الهلنيسية التي اخذوا بأسبابها.

(1) في عام 97 ق.م تعرض كريوس للاغتيال على يد شخص يدعى هركليون، وكان له خمسة أبناء فتولى اكبرهم حكم شطر من سوريا وواصل سياسة ابيه ضد عمه السيزيكي ودخل معه في حرب انتهت بهزيمة السيزيكي حيث وقع في الأسر ثم قتل سنة 95 ق.م. قال عرش سوريا الى سليوقوس ابن كريوس بلا منازع لمدة عامين فقط حتى ظهر ابن لأنطيوخوس السيزيكي يدعى اوساب كان قد فر الى ارواد. وفي سنة 93 ق.م. باغت ابن عمه سليوقوس بجيش جرار واستظهر عليه عند كيليكية وأجبره على الفرار. ثم واصل اخواه انطيوخوس وفيلويوس الحرب ضد انطيوخوس يوساب واثاء عبوره نهر العاصي غرق انطيوخوس أحد الاخوين وبقي فيلويوس وأساب يتنازعان على عرش سوريا. وعزز اوساب مركزه بالزواج من سيلانه ارملة كريوس مما اثار حفيظة زوجها الأول لاثيروس فبعث الى ديمتريوس رابع أبناء كريوس في كريت يدعوه لتنصيبه ملكا في دمشق فقبل وكان لاثيروس يبغي ان يضرب به اوساب وسيلانه.

أرسطوبوليس (الثاني):

بعد موت أمه جرد جيشاً وسار به إلى أريحا لمحاربة أخيه الأكبر هركانوس الثاني الذى لقي الهزيمة فرضخ لأخيه الأصغر وتنازل له عن المملكة وعن رئاسة الكهنوت. وكان ميالاً للصدوقيين فى الوقت الذى كان أخوه يناصر الفريسيين ضده. ثم تحالف هركانوس مع صديقه انتيباتر⁽¹⁾ (أبو هيرودس الكبير) الأدومي، كما تحالف مع اريئاس الثالث ملك النبطيين فى البتراء، وتمكن الحلفاء من الحاق الهزيمة بأرسطوبولس.

وقد استغلت روما هذا النزاع حول العرش لصالحها وتمكن القائد بومبى من هزيمة أرسطوبولس وترحيله مقيداً إلى روما ومعه اثنين من ابنائه. كما أنه قتل من اليهود اثني عشر ألفاً، وأعمل الرومان سيفهم فى الكهنة حتى اختلطت دماؤهم بدماء الذبائح التى كانوا يقدمونها. ودخل بومباي قدس الاقداس مما ادى الى غضب اليهود ومقتهم للحكم الروماني منذ البداية. وفرض بومباي الجزية على من بقي منهم. وترك ادارة البلاد في يد هركانوس وانتيباتر واصبحت اليهودية ولاية تابعة لروما تؤدى لها الجزية منذ عام 63 ق.م. وإدارياً ألحقت بولاية سوريا التى جعل عليها القائد سكاوروس (63-57 ق.م) حاكماً عاماً من قبل بومبى.

وربما لو اقتصر نشاط السليوقيين على فرض الهيمنة العسكرية وتحصيل الجزية دون المساس بالمقدسات الدينية لما قامت الحركة المكابية التى كانت سبباً رئيسياً في تداعي السليوقيين بل وشجعت الكثير من الشعوب التابعة لهم على العصيان مثل الفرتيين⁽²⁾ والأنباط⁽³⁾ والايثوريين⁽¹⁾ وسكان الرها واقليم بكتريا والمدن الساحلية. فكانت

(1) ولد فى أشقلون (عسقلان) فى اسرة من تلك الاسر التى خرجت من بابل مع عزرا الكاتب، وأسرته لصوص أدوميون وهو صبي، ولما عجز أبوه عن دفع جزية له، فإنه تربي وسط الأدوميين، ولما كبر ارتفع شأنه، وتزوج بامرأة من ادومية وانجب منها ثلاثة اولاد هم فزائيل وهيرودس وفيروراس ويوسف وبنتا تدعى اسلوميت. ومات بالسم بتدبير من مالمخوس الذى كان يطمع فى منصبه لكن هيرودس اقتص من قاتل أبيه. - يوسابيوس القيصري ف 6 ص 31

(2) امتدت دولتهم فى منتصف القرن الثاني قبل الميلاد من الفرات الى السند

(3) لعل الانباط يرجعون الى نبايوت احد ابناء اسماعيل الوارد ذكره فى (تك 25 : 13، 28 : 9، 36 : 1، 3 أخبار 1 : 29، اش 60 : 7). والانباط "مجموعة من القبائل العربية القديمة التى هاجرت من جنوب ووسط شبه الجزيرة العربية نحو الشمال.. واستقرت حول ميناء ايله... عندما احتل الملك البابلي نبوخذنصر اورشليم وسبى اليهود واخرجهم من يهوذا مما ادى الى اندفاع الادوميين شمالاً فى ارض يهوذا وفى نفس الوقت زحف الانباط تدريجياً فى ارض ادوم حتى نجحوا فى السيطرة على عاصمتهم سلع التى أصبحت بعد ذلك قلب المملكة النبطية واطلقوا عليها اسم رقوم او الرقيم ثم اطلق عليها الرومان بعد ذلك اسم بتر... ونجحوا فى تأسيس مملكة مستقرة استطاعت ان تقاوم الاطماع اليونانية والرومانية خلال القرنين الثاني والأول قبل الميلاد والقرن الأول الميلادي - د. احمد محمود هويدي - تاريخ الشعوب العربية ص 62، 63.

وفي عام 64 ق.م. فرض بومبي الهيمنة الرومانية على سورية بعد هزيمة القائد الجامح مثرادس. وفي العام التالي ضم الرومان فلسطين الى حوزتهم وهكذا زالت الاربعة ممالك التي اسسها خلفاء الاسكندر والتي رمز لها ببطن وفخذي التمثال الذي رآه نبوخذ نصر في حلمه لتبدأ مملكة جديدة لها من القوة ما لساقى التمثال وقدماء، تلك هي المملكة الرومانية.

(1) ينتمون في الاصل الى بطور بن اسماعيل ابن ابراهيم وهاجر حسبما جاء في تكوين 25: 15 و 1: 31

الامبراطورية الرومانية

تأسيس الامبراطورية الرومانية⁽¹⁾

(1) ينتمي الرومان الى يافث الذي خرجت منه الشعوب المعروفة عند العلماء باسم هندو اوروبية، وكانوا في البداية قبيلة صغيرة هاجرت تحت ضغوط سياسية وبيئية من اسيا الى اوربا حيث نمت وتكاثرت. ويبدأ الرومان تاريخهم من عهد روميلوس مؤسس مدينة روما نحو عام 754 ق.م. وخلال العصر الملكي الذي امتد حتى عام 509 ق.م. تقريبا ازدادت قوتهم وامتدت سلطتهم لتشمل البلدان المحيطة بهم. ثم بدلوا نظامهم الحكومي من الملكية الى النظام الشوري الجمهوري ممثلا في السناتو وكانوا يضعون على راس حكومتهم قنصلين. وفي هذه الفترة لم يتوقف الصراع مع الشعوب المجاورة وكانت هجمات الغال تمثل الخطر الأشد، وبعد صراع مرير تمكن كاميل قائد الجيش في عهد القنصل مناوس من إيقاف هذا الخطر في سنة 389 ق.م. تقريبا.

ثم دخلوا بعد ذلك في صراع مع سكان شرق ايطاليا (السمنيين) وانتصروا عليهم. وقد اكسبتهم هذه المعارك المهارات الحربية والخطط القتالية فاصبحوا في منتصف القرن الثالث قبل الميلاد قوة لا يستهان بها. ثم دخلوا في صراع استعماري مع البونيين (القرطاجيين) ودارت بين الفريقين معارك ضارية فيما عرف بالحرب البونية الاولى (264 - 242 ق.م.) وقد غنموا منها صقلية وسردينيا، وتوسعوا فيما وراء الالب. وخلال الحرب البونية الثانية (219 - 202 ق.م.) تكبد الرومان خسائر فادحة على يد القائد هانيبال. ولكن النصر حالفهم في النهاية واخذوا صقلية الشرقية واسبانيا. ولم تتوقف الحرب الا قليلا لتعود من جديد بين الفريقين فيما عُرف بالحرب البونية الثالثة (201 - 146 ق.م.) وفي نهايتها تم للرومان احتلال قرطاج عاصمة البونيين. ثم اتسعت ساحة المعركة بدخول الرومان في حرب مع مقدونية حيث تمكنوا من هزيمتها سنة 148 ق.م. كما ضايقوا السلوقيين (146 - 133 ق.م.) وطردوهم من اسيا الصغرى. وبذلك اصبح الرومان اقوى الأطراف المتصارعة على الساحة الدولية ولم يكن في مقدورهم التصدي لجميع القوى في وقت واحد ولذلك كانوا يلجأون الى السياسة لضرب الشعوب ببعضها وابتاتوا يتحكمون في شئون الدول. وحتى في اثناء حروبهم مع البونيين كانوا يترقبون الموقف في سوريا ومصر وبارثيا (فارس) وبلاد اليونان واسيا الصغرى وكانوا يفعلون الواقعة بين هذه القوى بين الحين والاخر متى حانت لهم الفرص.

وعلى الصعيد الداخلي كان الوضع يسوده الهدوء النسبي مقارنة بما رايناه عند البطالمة والسلوقيين على سبيل المثال. ومع ذلك كانت للرومان مشاكلهم الداخلية ولكنها لم تكن لتستمر طويلا. ومن امثلتها قيام الحرب الاهلية بين القائد سيلا زعيم الاشراف وبين ماريوس زعيم العامة انتهى بموت سيلا سنة 78 ق.م. ونشب صراع اخر بين شيشرون وكتيلينا انتهى بمصرع الثاني في سنة 63 ق.م. وفي سنة 60 ق.م. التت حكومة السناتو الى ثلاثة من القادة هم بمباي ويوليوس قيصر وكراسوس، ثم ما لبثت الحرب ان انتشبت بين يوليوس وبومباي على الرغم من الانتصارات التي كانوا يحققونها والمكاسب السياسية التي كانوا يستحوذون عليها من ان لآخر في خضم هذه المشاكل.

وانتهى الصراع بمصرع بومباي في مصر على يد بطلمبوس الثاني عشر سنة 48 ق.م. وقد لجأت حكومة البطالمة الى هذا التصرف الاحمق اعتقادا منها ان ذلك يرضي قيصر ويحول دون تدخله في شئون البلاد اذا ما احسنت مصر استقبال بومباي. ولكنه جلب الوبال على البلاد وانتهى باحتلال الرومان لمصر بعد اقل من ربع قرن. وواصل قيصر انتصاراته على فرتاس ملك بنطس سنة 47 ق.م. ثم عاد الى روما في عام 45 ق.م. حيث نظم الشئون الداخلية.

وقد ادى استحوازه على السلطة وميله الى الحكم المنفرد الى اثاره منافسيه فاغتالوه بتدبير من كاسيوس وبروتوس في 15 اذار سنة 44 ق.م. ولكن خرج حكم الرومان من ايدي المغتالين وآل الى ثلاثة من الحكام الجدد هم اكتافيوس وماركوس انطونيوس ولابيدوس. واتحد كل من اكتافيوس وماركوس

عندما احتل بومباي سورية أصبحت ولاية رومانية بعد ان كانت مملكة مستقلة عاصمتها انطاكية، والتي اتخذ منها مقرا لقيادته. كما جعل من كيليكية وسليوقية ولايتين مستقلتين تابعتين لروما في حين تمتعت اليهودية وباقي الدويلات العربية في شمال شبه الجزيرة بالحكم الذاتي مقابل الجزية السنوية.

وكانت مهمة صعبة على الولاة الرومانيين في هذه المرحلة الانتقالية الجديدة نظرا لتعدد القوى المناوئة للمحتلين الجدد ممثلة في آل سليوقوس والبارثيين من جانب، والبطالمة والمكابيين من جانب آخر. وكان الولاة والجنود يجدون صعوبة كبيرة في اخماد الثورات التي لا تلبث ان تشتعل بين الحين والحين. ولم يكن امام القيادة العليا سوى إقالة الولاة وتعيين اخرين. فحكم سوريا على التوالي عدد من الولاة⁽¹⁾ تم تعيينهم اولاً من قبل بومباي، وكان اولهم سكاوروس (63-59)، وآخرهم هو متالوس سبيوس الذي حكم لمدة شهر واحد. كما اشتهر من هؤلاء اولوس جابينيوس AULUS GABINIUS الوالي العام من قبل بومبي وهو الذي قام باعادة بناء المدن ذات الطابع اليوناني التي هدمها المكابيون مثل غزة ودورا والسامرة وبيسان. وقسم اليهودية الى خمسة اقاليم هي: جذارا، وحماه، وأريحا، وسيفوريس (بالجليل)، وأورشليم التي جعل عليها أنتيباتر الأدومي بدلا من هركانوس الذي سحبت منه السلطة الزمنية بينما ظل في رئاسة الكهنوت. أما على صعيد السياسة الخارجية؛ فإنه أعد جيشاً (سنة 55 ق.م) وسار به إلى مصر لمعاونة بطليموس الحادى عشر AULETES فى استرداد عرشه، ثم قفل راجعاً على وجه السرعة للقضاء على ثورة اسكندر بن أرسطوبوليس الذي فر وهو في طريقه الى روما. ورغب في انتزاع العرش من هركانوس، ولكن جابينيوس اوقف مسعاه ودخل جابينيوس الهيكل وسلب امواله. وبعد ذلك تم استدعاؤه إلى روما نهائياً وتعين خلفا له عدد من الولاة⁽²⁾ من قبل بومبي والقيصرة التالبيين.

انطونيوس ضد الجناه واقتصوا منهم، ثم ابعدا لابيديوس واقتسما املاك الامبراطورية فيما بينهما فال الشرق الى انطونيوس والغرب الى اكتافيوس. ثم دب صراع اخر بين الصديقين انتهى بمقتل انطونيوس وتريع اكتافيوس على عرش روما بلا منازع تحت اسم اغسطس قيصر.

(1) سكاوروس (63 - 59)، وكورنيليوس مرسيلينوس (58)، وأولوس جابينوس (57 - 54) ومرقس كراسوس (54 - 53) و غايوس لونجينوس (53 - 51) ومرقس بيليوس (51) و متالوس سبيوس. (2) بعد استدعاء جابينيوس الى روما تعين كراسوس خلفا له في (عام 54 ق.م). ولكن سياسة النهب التي اتبعها الوالي الجديد عجلت بنهايته فتعين كاشيوس بدلا منه. وكان الفرثيون ييغضون الخضوع للرومان، ودخلوا في حرب مع كاشيوس والحقوا به الهزيمة جنوبي حران واضطروه الى التقهقر الى انطاكية. ثم عين يوليوس قيصر واليا من قبله يدعى سيستوس سنة 47 لكنه قتل على يد احد اتباع بومباي ويدعى شيشليوس باوس الذي اخذ سورية سنة 46 ق.م. فارسل قيصر واليا اخر يدعى غايوس باتيس (45-44 ق.م). ثم استاسوس مرقس، ثم غايوس كاسيوس احد المتآمرين على قيصر. وبدءا من عام 43

يوليوس قيصر

ولما بلغ الصراع أشده في روما بين يوليوس قيصر وبومبي، وفر بومباي إلى مصر حيث تعقبه قيصر. فأرسل هركانوس الامدادات إلى قيصر كما دعا اليهود المقيدين في ليبثوبوليس في مصر إلى مناصرة قيصر، ورد قيصر على ذلك التصرف أن ثبته في رئاسة الكهنوت وفي ولاية اليهودية وعين انتيباتر الأدومي مساعدا له. ووسع دائرة حكمه لتشمل الجليل وبعض مدن الساحل مثل يافا، وخفف الجزية عن كاهل اليهود، ومنحهم الحق الكامل في ممارسة شعائرهم الدينية. كما منح اليهود المقيمين بمصر امتيازات عديدة. وكان لانتيباتر الأدومي السلطة الفعلية في فلسطين وتعين ابنه فازانيل على أورشليم لإدارتها محليا. وتولى ابنه الثاني هيرودس البالغ من العمر خمسة وعشرين عاماً على الجليل.



ماركوس انطونيوس



يوليوس قيصر

وبعد مصرع انطونيوس بدا اكتافايوس يرسل الولاية لحكم سورية حتى جاء كرينيوس الوارد ذكره في بشارة القديس لوقا 2:2 وهو الذي أجرى الاكتتاب الاول، ثم ارسله اغسطس الى ما وراء جال طوروس لاختضاع اهله، ثم عاد مرة ثانية الى ولاية سوريا وهو ما اكده ما ورد على لوح عثر عليه في عام 1764م في تيفولي احدى ضواحي

ق.م. بدأ الولاية يفدون الى سوريا من قبل ماركوس انطونيوس بدءاً من بوبيليوس دي لا بلا ومرورا ببوبيليوس الذي استظهر عليه البارثوين (الفرس) واخذوا منه سورية سنة 40 ق.م. ولكن تم طردهم بعد ذلك.

روما ويذكر المطران يوسف الدبس في مؤلفه تاريخ سوريا انها محفوظة في متحف لاترات، وقد جاء فيه:

"سليبيوس قورينوس قد ولي وهو في المقام القنصلي اكرت وسيرانيك. وان واليا من قبل اغسطس في اعمال سوريا وفونيقي. وحارب عشيرة الهومانيين (في جبل طوروس) وقتل ملكهم انيتاس، واخضع هذه العشيرة لسلطة اغسطس والشعب روماني وقدم رجال الندوة للالهة الغير المائتين ضحيتين شكرا لما اولوه اياه من الظفر وامر ان يوشح بحلل الانتصار وولي على اقليم اسيا وهو في مقام نائب قنصل وولي المرة الثانية على اقليم سورية وفونيقي من قبل اغسطس"

ونستخلص من ذلك ان كيرينيوس عين واليا على سورية في فترة اولى حيث ولد المخلص كما قال لوقا البشير (لو:2:2) ثم ترك ولاية سورية بامر اغسطس لمحاربة سكان ما وراء طوروس. ثم عاد مرة اخرى في السنة السادسة للمسيح كما ذكر المؤرخون. ومن المرجح ان عملية احصاء وتعداد الرعية كانت تجرى بصفة مستمرة على حسب الحاجة (لو:2:2، اع 5:37).



وبعد مصرع يوليوس قيصر على يد كاسيوس وبروتوس في سنة 44 ق.م. تمكن انتيجون ابن ارسطوبوليس بمساعدة ملك البارثيين من استعادة عرش سوريا ودعا ملك فارس وهو بعد في سوريا كلا من هركانوس وفازانيل للتفاوض، ولكنه قبض عليهما. وفر هيرودس الى مصر، ومنها الى روما. وسلم ملك فارس هركانوس وفازانيل الى انتيجون، فأثر فازانيل الانتحار وسلم اذن هركانوس حتى لا تبقى له صلاحية في رئاسة الكهنوت. ثم ارسله الى سليوقية باقليم بابل ثم اطلقه فراث ملك بارثيا وبعد ذلك استدعاه هيرودس الكبير الى اليهودية لكنه غضب عليه بعد حين وقتله.

وعلى صعيد السياسة الرومانية تم تقسيم الامبراطورية واصبحت سورية من نصيب ماركوس انطونيوس حوالي سنة 40 ق.م. وقد ازاح الاسرة المكابية عن الحكم وعين هيرودس انتيباتر ملكا عليها، وعلى غير ما كان يتوقع⁽¹⁾. ووجد هيرودس العائلتين الهيرودية والمكابية بزواجه من مريم سليله هركانوس.

(1) ذهب هيرودس الى روما ومثل بين يدي ماركوس انطونيوس وهو متوقع ان يعين ارسطوبوليس شقيق مخطوبته مريم وابن ارسطوبوليس اخي هركانوس على اليهودية، ولكن من عليه انطونيوس بما لم يكن يتوقعه. وصدق السناتو على تعيين هيرودس ملكا على اليهودية سنة 39 ق.م.

سياسة الرومان⁽¹⁾ تجاه الرعايا

على الرغم من تمتع الرومان بالقوة المادية التي مكنتهم من امتلاك الشرق والغرب، إلا أنهم أعطوا قدرا كبيرا من الحرية في الاعتقاد الديني وممارسة الشعائر والطقوس للشعوب، طالما أن ذلك لا يحول دون الخضوع السياسي والولاء للامبراطور وعبادته في بعض الاحيان، الامر الذي كان يأباه المؤمنون باله واحد من اليهود والمسيحيين، بينما قبلته باقي الشعوب التي كانت تؤمن بالتعدد، ولا ترى حرجا في اضافة معبود او عدد من المعبودات الى آلهتها. ولم يجبر الرومان اصحاب البلاد التي احتلوها على تبني ثقافتهم، بل تبنوا هم الثقافة الهلنستية. كما لم يجبروا ايا من الشعوب على النطق باللاتينية، ولم يقطعوا لسان من نطق بغيرها بل على العكس ظلت اللغات المحلية متداولة بين ابنائها. بل وراجت اللغة اليونانية بثقافتها التي شحذت الباب الخاصة والعامة. وامتد اثرها الى الأرستقراطيين من اليهود. بينما اقتصر اللاتينية على المكاتب الرسمية للدولة. واحتفظ اليهود بعبرانيتهم في الصلوات وتحدثوا كذلك بالآرامية فيما بينهم، والتي استخدمها ايضا الايتوريون والادوميون الى جانب لغتهم الخاصة. واستخدمها الأنباط في كتاباتهم، بينما استعملوا احدى اللهجات العربية في في كلامهم.

وقد ظهرت في العصر اليوناني الروماني لغات جديدة كالسريانية التي نشأت عن امتزاج الآرامية بالعبرانية. والقبطية التي نشأت عن امتزاج اليونانية بالهيريوغليفية.

وسمح الرومان لرعايا الامبراطورية بالتنقل في ربوعها دون قيد او شرط فأضحت الولايات الرومانية كوزموبوليتانية تختلط فيها الشعوب والاجناس والاسن. وهوما اشار اليه سفر اعمال الرسل بدون قصد(اع2: 6-11).

وكما كان لليونانيين مدن خاصة بهم في المستعمرات مثل انطاكية وسليوقية وأفامية ولاوديكية⁽²⁾ وغيرها. كما استوطن الرومان مدنا كثيرة مثل بيروت وبعليك وسبسطية وقيصرية. ومن الناحية السياسية كان الرومان يكتفون بالولاء والجزية تجاه

(1) مرت الامبراطورية الرومانية بثلاث مراحل : الأولى وتبدأ من تأسيس روما عام 753 ق.م. وحتى بداية الحرب اليونانية الأولى في عام 264 ق.م. وفي هذه المرحلة كانت روما سيدة ايطاليا من مضايق سينا الى نهر الأرنو. والمرحلة الثانية تبدأ من عام 264 الى 105 ق. م. وفيها وقعت الحروب البونية الثلاث وتم الاستيلاء على الغرب الأوربي، وفتحت بلاد الغال فيما وراء جبال الألب. ثم تأتي المرحلة الثالثة وفيها تم الاستيلاء على مقدونيا سنة 168 ق.م. ثم بلاد الشرق في عام 64 ق.م. واخيرا مصر في عام 31 ق.م. ليصبح العالم كله تقريبا في ايدي الرومان باستثناء اقليم بارثيا وبعض الاقاليم النائية.

(2) كما عرفت باسم بيريتوس التي تحولت الى بيروت.

بعض الولايات مانحين لولايتها الحرية في ادارة شئونها طالما اثبتوا كفاءتهم في ادارتها. فسمحوا لعائلة اريتاس (الحارث) بتوارث الحكم في البتراء ولاذينة Odenathus بحكم تدمر. وكان الوالي العام في سورية يعين لمدة تتراوح ما بين ثلاث الى خمس سنوات. وكان يعاونه مجموعة من الموظفين يقومون بجمع الجزية وغيرها من الامور الادارية. ومن هؤلاء كان بيلاطس البنطي قبل ان يصبح واليا على اليهودية من قبل طيباريوس قيصر (لو 3: 1). تحت اشراف الوالي العام في سورية. ثم طرده فيتليوس Vitellius لسوء معاملته للسامريين⁽¹⁾. وتفصيل ذلك ان السامريين تجمعوا لكشف الكنوز التي اعتقدوا ان موسى اخفاها في جبل جرزيم. وظن بيلاطس انهم تجمعوا للثورة فحشد قواته وقتل منهم الكثيرين.

وكان تحت امرة الوالي قوة لا يستهان بها. ومن هذه القوة خرجت المجموعة التي القت القبض على السيد المسيح في بستان جثيماني وفي اليوم التالي نفذوا في ناسوته حكم الموت. ومن قادة الحاميات الرومانية من آمن بالسيد المسيح ومنهم من قطع اميالا للقاءه (مت 8 و لو 7). ومن الولاة العموميين المعروفين، كيرينيوس الأنف الذكر والذي قام باحصاء اليهود وهو لم يدر ان من المعدودات من كانت تحمل كلمة الله المتجسد.

(1) فيليب حتي- تاريخ سورية ولبنان وفلسطين ص 316. عن

Josephus – Antiquities Bk xvii ch.4 p.152.

ويوسابيوس القيصري – تاريخ الكنيسة ف 7 ص 77.

هيرودس الكبير:

في عام 37 ق.م. استولى هيرودس على اورشليم بمساعدة سوسايوس والى سوريا العام بعد ان حصدت السيوف الالف من القتلى ثمنا لذلك. اما انتيجونس فتم القبض عليه وارسل الى انطونيو وهو بعد في سوريا فبذل هيرودس المال والجهد الكبير حتى حُكم علي غريمه بالاعدام وذلك ليتخلص من سلالة المكابيين الذين كان يخشى حقهم الشرعي في الحكم. فلم يكن يطيب له ان تبقى يد لأي شخص من سلالة المكابيين على اية سلطة او منصب في اليهودية حتى لا ينازعه منازع. وبخاصة ان تاريخ المكابيين الحافل بالبطولات لم يزل له دعائه ومؤيدوه. بالاضافة الى ان هيرودس لم تكن له الشرعية الكاملة لكونه نصف يهودي، فقد كان يهوديا من جهة أبيه أنتيباتر، وادوميا من جهة أمه⁽¹⁾.

وباعتلاء هيرودس عرش اليهودية تمت نبوة يعقوب عن يهوذا عن موعد مجيئ المخلص في نهاية حكم اليهود" لا يزول قضيب (حاكم) من يهوذا ومشترع من بين رجليه حتى ياتي شيلون وله يكون خضوع شعوب (تك 49: 10).

وحتى يبعد المكابيين عن رئاسة الكهنوت، فانه استدعى من بابل رجلا يدعى حنائيل وضعه في هذا المنصب ولكنه غدر به بعد ذلك وقتله. واضطر تحت ضغط ماركوس انطونيوس ولي نعمته ان يعين ارسطوبوليس اخي مريم في هذا المنصب عندما وسطت اسكندرة امه كليوبترا السابعة ملكة مصر لدى انطونيو.

وبدأ هيرودس اول حلقة في سلسلة افعاله النكراء بتدبر اغتيال ارسطوبوليس، فامر الخدام باغراقه في النهر وهو يستحم وعلى الرغم من عدم ثبوت التهمة عليه الا ان امه واخته كانتا على قناعة تامة بان هيرودس وراء هذه الجريمة. وارسلت ام القتيل شكوى الى انطونيو وهو بعد في لاوديكية فاستدعى هيرودس للنظر في الامر.

وكان هيرودس قد اوصى يوسف زوج اخته بان يتخلص من مريم⁽²⁾ زوجته اذا حدث له مكروه حتى لا تكون لغيره من بعده. ولكن المصالح الكبرى عند الساسة اهم من الامور الفردية. والمصلحة الشخصية اولى بكثير من مصالح الرعية. لهذا فبدلا من ان يعاقب انطونيو هيرودس على فعلته فانه ثبت التاج على رأسه.

(1) أوسابيوس القيصري - تاريخ الكنيسة، تعريب القمص مرقس داود ط2، ف6 ص 31.

(2) هي ابنة ارسطوبوليس من الكسندرا الابنة الكبرى لهركانوس الثاني.

ثم جاءت شائعة تقول بموت هيرودس فأفصح يوسف الى مريم عما كان هيرودس قد اوصاه به من قتلها مما اوغر صدرها. وعند عودته عاتبت مريم وعنف هيرودس على ذلك فما كان منه الا ان انتقم من صهره الذي افشى سره. وزج باسكندرة في السجن انها حاولت الهرب بابنتها كما قتل هركانوس البالغ من العمر سبعين عاما بدعوى انه تآمر ضده مع ملك العرب.

وعندما احتدم النزاع بين انطونيوس واكتافيوس⁽¹⁾ ارسل هيرودس الامدادات الى ولي نعمته. وعندما انتصر اكتافيوس، والت السلطة الى يده بلا منازع فانه استدعى هيرودس فمثل امامه ولم ينكر مساعدته لانطونيوس كما اعلن استعدادة للخضوع للعاهل الجديد، فابقاه اكتافيوس في منصبه. وبعد مصرع أنطونيوس وكليوبترا، وإنفراد أوكتافيوس (أغسطس قيصر) بعرش الأمبراطورية الرومانية، توجه هيرودس إلى مصر لتهنئة القائد المنتصر، ولتقديم الولاء له. فحظى نظير ذلك بتثبيت مركزه على ما فى حوزته. كما ضم إليه أغسطس أملاك كليوبترا فى فلسطين. ومنحه إقليم تراخونيتس، وبتانيا، وأورانيس.

وتوطدت العلاقة بينه وبين المحفل الرومانى، فنعم بزيارة قيصر وبزيارة أغريباس. وأطلق هيرودس ألقاب قيصر على المدن مثل سبسطية⁽²⁾ (إقليم السامرة) وقيصرية التى أضحت مقراً للجيش الرومانى. كما بنى مدينة أنتيباتريس (شمالى يافا) تكريماً لأبيه أنتيباتر. وقد ارتبطت هذه المدينة بعصر الكنيسة الأولى (أع 23: 31-34). وأطلق إسم أخيه فازانيل على مدينة فازيليس (شمالى أريحا). وإسم صديقه أغريباس الرومانى على مدينة أغريبون (شمال غزة).

وأصدر هيرودس أمراً بإعادة بناء مدينة أورشليم وتجديد هيكلها حيث استمرت أعمال التجميل إلى أيام السيد المسيح. ولذلك قال له اليهود "فى ست وأربعين سنة بُنى هذا الهيكل أفأنت فى ثلاثة أيام تقيمه" (يو: 2) أما هو فكان يتحدث عن هيكل جسده اللحمى لا عن هيكلهم الحجرى. ولعل هيرودس لم يكن يدرى أن إعادة بناء المدينة المقدسة إنما جاء إتماماً لنبوذا دانيال النبى القائل "فأعلم وإفهم أنه من خروج الأمر لتجديد أورشليم وبنائها إلى المسيح الرئيس سبعة أسابيع، وإثنان وستون إسبوعاً يعود ويبنى سوق وخليج فى ضيق الأزمنة. وبعد إثنين وستون إسبوعاً يقطع المسيح وليس له" (دا 9: 25).

(1) كان اكتافيوس صهراً لأنطونيوس ولكن ساءت العلاقة بينهما بسبب التنافس الاستعمارى.

(2) من ألقاب أغسطس قيصر، وهى كلمة لاتينية تعنى عظيم.

لقد كان هيرودس يرغب في أن يجعل من أورشليم مدينة فخمة تضاهي المدن الأوروبية، فأنشأ بها ميداناً لسباق الخيل، ومسرحاً، ونظم ألعاباً عامة؛ فتعرض لانتقادات الأصوليين من اليهود. لذلك فقد أصدر أمره بإعادة بناء الهيكل إرضاءً لهم. ولو كان هيرودس يدري بما سوف يحل بالمدينة من خراب آجل على يد الرومان لما بذل من المال والجهد الكثير في إعادة إعمارها؛ فقد سبق دانيال وأنبأ: "وشعب رئيس أت يخرب المدينة والقدس، وإنتهأؤه بغمارة إلى النهاية حرب وضرب وخرب قضى بها" (دا 9: 26). وعلى الرغم مما بذله في تجديد أورشليم إلا أنه أثر الإقامة في السامرة بعد أن جدد عمارتها، وجعل اسمها سباسطية تكريماً لأغسطس قيصر الذي حمل لقب سباسطوس اليوناني والذي يعادل لقب أغسطس. كما أنه أعاد بناء برج ستراتونيس على الساحل (بين يافا وحيفا) واطلق عليه اسم قيصرية. وظهر عناية خاصة بمدن المستعمرات ليحظى برضى الاباطرة فامد لاوديكية بقناه للمياه ما تزال اجزاء منها ترى حتى اليوم⁽¹⁾

و ذات يوم وشت سالومي بمريمين الى اخيها هيرودس انها دست له السم في الطعام فحاكمها هيرودس بتهمة الخيانة العظمى. لكنه حزن بعد ذلك لموتها اشد الحزن. وراح هيرودس يببطش بكل من شك في اخلاصه له حتى انه لم يعد يميز بين مخلص وخائن. فقتل من رجاله كستوبار وليسماخوس وانتيباتر ودوزيناوس. ولم ينجوا منه حتى ابناؤه. فقد قتل ابنه من مريمين اسكندر⁽²⁾ وارسطوبوليس⁽³⁾ بادعاء اخيهما انتيباتر الذي انجبه من زوجته دوريس، ولم يسلم انتيباتر نفسه من السجن ثم القتل على يد ابيه. وقد دعت هذه التصرفات اغسطس قيصر الى القول: "يستحب المرء ان يكون خنزيراً لهيرودس من ان يكون ابناً له" واما اشهر جرائمه التي اقدم عليها دون رحمة هي أمره بقتل اطفال بيت لحم الابرياء.

وعاش في بلاطه الفيلسوف والمؤرخ نيقولاؤس الدمشقي الذي نقل عنه يوسفوس تاريخ هيرودس. وهو الذي راجت فلسفته في العالم انذاك. وامتد اثرها الى رعايا كنيسة برغامس في اسيا الصغرى والتي صارت اليها كلمة الله على يد يوحنا الرائي " هكذا عندك انت ايضا قوم متمسكين بتعاليم النقولاييين الذي ابغضه ". كما يمتدح ملاك كنيسة افسس لانه يرفض هذه التعاليم " عندك هذا انك تبغض اعمال النقولاييين التي ابغضها انا

(1) فيليب حتى - تاريخ سورية ولبنان وفلسطين ص 339

(2) تزوج كلافيهره ابنة ارشيلالوس ملك الكابادوك.

(3) تزوج برنيس ابنة عمته سالومي.

ايضا " (رؤ 2 : 15، رؤ 2 : 6). وأدى تعدد زوجات⁽¹⁾ هيرودس إلى تأمر بعضهن ضده؛ فكانت الواحدة منهن ترغب في جعل ابنها خلفاً لأبيه على العرش. وبلغ بالبعض من أبنائه حد التأمر ضد أبيهم طمعاً في منصبه لذلك لم يرى هيرودس بداً من قتل كل من يعترض طريقه سواء كان صديقاً أو زوجة أو ابناً. ولهذا لم يكن من المستغرب أن يقدم هيرودس على جريمة بشعة يقتل فيها أطفال بيت لحم الأبرياء (مت 2: 16) ظناً منه أن من بينهم سوف يخرج من ينازعه سلطته الدنيوية على حسب ما فهم من مجوس المشرق. "ولما ولد يسوع في بيت لحم اليهودية في أيام هيرودس الملك إذا مجوس من المشرق قد جاءوا إلى أورشليم قائلين أين هو المولود فإننا رأينا نجمه في المشرق وأتينا لنجسد له" (مت 1: 1، 2).

ويروى ابن العبري في تاريخ مختصر الدولة عن المجوس قولهم لهيرودس:

"ان عظيماً كان لنا وهو قد أنبأنا بكتاب وضعه ذاكرأ فيه: سيولد في فلسطين مولود أصله من السماء ويتعبد له أكثر العالم. وآية ظهوره انكم ترون نجماً غريباً وهو يهديكم الى حيث هو. فإذا رأيتموه فاحملوا ذهباً ومرأاً ولبناناً وانطلقوا اليه وأطفوه بها واسجدوا له وانصرفوا لنلأ ينالكم بلاء عظيم. والان قد ظهر النجم وأتينا انتم ما امرنا به"⁽²⁾.

"فلما رأوا النجم فرحوا فرحاً عظيماً جداً. وأتوا إلى البيت ورأوا الصبي مع مريم أمه فخرؤا وسجدوا له ثم فتوحوا كنوزهم وقدموا له هدايا ذهباً ولبناناً ومرأاً" (مت 2: 10-12). ويقال ان زرادشت كان معاصراً لإشعيا النبي وانه عرف منه أمر النبوة القائلة "يعطيك السيد نفسه آية، ها العذراء تحبل وتلد ابناً وتدعو اسمه عمانوئيل" (اش 7: 14). وإذا صحت رواية ابن العبري من ان زرادشت كان من عهد قمبيز⁽³⁾ ففي هذه الحالة لا يكون قد التقى مباشرة بإشعيا النبي وانما يكون قد اضطلع على الآية من خلال السفر وليس من إشعيا

(1) تزوج هيرودس عشر نساء : الاولى دوريس وقد انجبت له انتيباتر الذي امر بقتله قبل وفاته بخمسة ايام. اثنائية مريم، انجبت له ثلاثة هم هيرودس (مات صغيراً في روما) واسكندر وارسطوبوليس اللذان اماتهما بتهمة التأمر عليه. كما انجبت له بنتين احدهما تزوجها ابن سالومي اخته والثانية تزوجها ابن اخيه فازانيل. الثالثة بالاس، انجب منها ولدا اسماء فازانيل. الرابعة قدره انجبت له بنتاً دُعيَت روكسان وقد تزوج بها ابن اخيه فيروراس. الخامسة هي مريم ابنة سمعان الحبر، انجت له هيرودس فيلبس الاول الذي تزوج هيروديا وانجب منها سالومي صاحبة الرقصة الشهيرة. السادسة هي مالتاك السامرية، وقد انجبت ارخيلوس الذي تولى الحكم بعد هيرودس الكبير، وهيرودس انتيباس الذي حكم ولاية الجليل وهو الذي تزوج هيروديا امرأة فيلبس اخيه وهو على قيد الحياة وقبلها كان قد تزوج من ابنة اريتاس (الحارث) ملك العرب. السابعة وتدعى كليوبترا وانج منها ابنان الاول دعى هيرودس والثاني دعى فيلبس (الثاني) وهو الذي تولى امر ايطورية الواقعة جنوب دمشق، وتزوج سالومي ابنة هيروديا من اخيه فيلبس الاول. الثامنة هي البيد وقد وضعت له بنتاً تزوجها ابن عمها فيروراس اخي هيرودس الكبير. التاسعة هي ابنة عمه ولم يكن له منها ولد. والعاشرة قيل انها ابنة اخيه.

(2) ابن العبري - مختصر تاريخ الدول ص 65- دار المشرق- بيروت.

(3) ابن العبري - تاريخ مختصر الدول ص 49، الاسقف ايسيدوروس- الخريدة النفيسة ج 1 ص 68

نفسه. هذا اذا كان المقصود هو المشرق البعيد في بلاد فارس وليس المشرق القريب الذي سكنه ابناء ابراهيم من السراري (تك25:6) من الاسماعيليين وغيرهم في المناطق الواقعة في شمال شبه الجزيرة.

ولما علم هيرودس بالأمر فإنه أوكل إلى المجوس الوافدين مهمة البحث عن الملك المولود حتى يتخلص منه "حينئذ دعا هيرودس المجوس سرا وتحقق منهم زمان النجم الذي ظهر، ثم أرسلهم إلى بيت لحم وقال اذهبوا وافحصوا بالتدقيق عن الصبي ومتى وجتموه فأخبروني لكي آتى أنا أيضاً وأسجد له... ثم إذ أوحى اليهم في حلم ألا يرجعوا إلى هيرودس، ثم انصرفوا في طريق أخرى إلى كورثهم... حينئذ لما رأى هيرودس أن المجوس سخروا به غضب جداً فأرسل وقتل جميع الصبيان الذين في بيت لحم وفي كل تخومها من ابن سنتين فما دون بحسب الزمان الذي تحققه من المجوس" (مت 2: 18).

وأراد عدل الله أن يذق هيرودس بعضاً من الآلام والعذابات التي تجرع منها الآخرون بسببه فأصابته أمراض كثيرة قدم لها يوسيفوس وصفاً مسهباً نذكر منها قوله "... عندئذ استحكم المرض في كل جسمه، وسبب له آلاماً متنوعة. لأنه أصيب بحمى بطيئة، وكان جرب الجلد في كل جسمه... أما بطنه فكانت ملتهبة... وكانت تخرج منه الديدان... وتقلصت جميع أطرافه حتى قال العرافون إن أمراضه كانت قصاصاً".

وفي رواية أخرى لا تختلف عن الأولى إلا في الاسهاب فقط، يرويها لنا المطران يوسف الدبس عن يوسيفوس: "انه كان مصاباً بحمى شديدة محرقة في جوفه لا يشعر بها في ملمسه. وكان يحس بجوع كلبي لا شئ يشبعه. واماؤه متقرحة يقاسي منها مغصاً اليماً. ورجلاه متهرتان ينتثر الدود منهما. واعصابه مأوفة لا يمكنه ان يتنفس الا بوجع اليم وتتبعث من فمه رائحة نتانة تمنع من الدنو منه حتى كان كل من رآه يقضي ان الله عاقبه بهذه الأمراض والأوجاع جزاء لمظالمه وسفكه الدماء الزكية. وكان اخر جوره واعتسافه انه ارسل اوجه وجهاء اليهود الى اريحا واقام خفراء عليهم وامر اخته سالومي وزوجها ان يقتلهم على فور موته لتلبس الأمة ثياب الحداد بدلا من مطارف الحبور لموته"(1)

وقبل موته كان قد وعد بالملك من بعد لابنيه اسكندر وارسطوبوليس ولكنه قتلها. ووعد بالملك لابنه انتيباتر ثم قتله هو الآخر موصياً بوراثة العرش لفيلبس الاول. لكنه

(1) يوسف الدبس، تاريخ سوريا - الجزء الثاني - المجلد الثالث بيروت 1898، ص298. عن يوسيفوس تاريخ اليهود ك 17 ف 8.

غير رايه واوصى بارخيلالوس الذي ملك على اليهودية والسامرة، وتولى هيرودس انتيباس امر الجليل، وفيلبس الثاني حكم في اللجا والجولان الى بانياس، وفازانل في اريحا. وفي ذلك يقول القديس متى عن غير قصد: "ولكن لما سمع (يوسف النجار) أن أرخيلالوس يملك على اليهودية عوضاً عن هيرودس أبيه خاف أن يذهب إلى هناك، وإذا أوحى إليه في حلم أنصرف إلى نواحي الجليل وأتى وسكن في مدينة يقال لها ناصرة لكي يتم ما قيل بالأنبياء أنه سيدعى ناصرياً" (مت 2: 22، 23).

واخيرا قضى هيرودس نحبه فاستراح بموته الأكثرون بعد ان ملك نحو سبع وثلاثين سنة. بعد نحو اربع سنوات من التاريخ الفعلي لميلاد السيد المسيح. وبين عامي 1950 و 1951 عثر المنقبون على اطلال قصر له في اريحا وكان من اهم اكتشافات تلك الفترة. كما عثر في قرية سبع التابعة للبنية على هيكل من عصره وقد وجد عليه نقش يقول: " اقام ايستوس (استوس) تمثالا للملك هيرودس مولاه" وبالبحت عن التمثال وجد مهشما. وفي عام 2007 تم الكشف عن قبره عند القلعة التي اقامها على بعد 15 كم جنوب اورشليم وغرب بيت لحم، و اشار المنقبون الى ان قبره كان يرتفع لنحو 25 مترا.



قبر هيرودس الكبير



مملكة هيرودس

أغسطس⁽¹⁾ وولادة السيد المسيح

واتخذ قيصر مجموعة من القادة لإدارة شئون الولايات. بينما ظل هو القائد العسكرى الأعلى، والرئيس الإدارى، والقاضى العام الذى يبيت فى الأمور القانونية والقضائية، وفى الوقت الذى حرم فيه سكان الولايات من إنشاء مجالس تشريعية خاصة بهم – تجنباً لظهور تيارات سياسية مناوئة- نجده قد تساهل مع اليهود المقيمين بمصر. وفى غيرها. فأبقى على تنظيمهم السياسى (GÉROUSIA). ولكن هذا التصرف أوغر صدر السكندريين والإغريق ضد الرومان واليهود معاً، فما كاد أغسطس يغادر الإسكندرية حتى عمت الثورة أرجاءها (27 ق.م) ولكن كرنيليوس جالوس واليه هناك قد تمكن من إخمادها. وقد أمر أغسطس واليه العام فى سوريا كيرينىوس بإجراء تعداد للرعية، وكان يوسف النجار ومريم العذراء قد خضعوا لهذا التعداد، وفى ذلك يقول البشير: "وفى تلك الأيام صدر أمر أغسطس قيصر بأن يكتب كل المسكونة، وهذا الاكتتاب الأول جرى إذ كان كيرينىوس والى سورية فذهب الجميع ليكتبوا كل واحد إلى مدينته، فصعد يوسف أيضاً من الجليل من مدينة الناصرة إلى اليهودية إلى مدينة داود التى تدعى بيت لحم لكونه من بيت داود وعشيرته⁽²⁾ ليكتب مع مريم إمرأته المخطوبة وهى حبلى" (لو: 1-5).

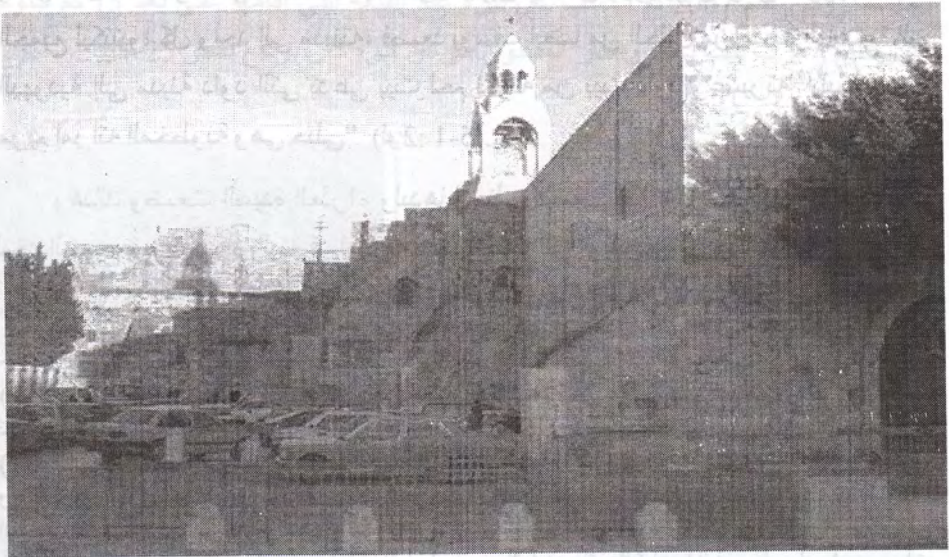
وهناك وضعت السيدة العذراء وليدها. وحظى قيصر بهذا الشرف العظيم وهو ولادة السيد المسيح فى عصره وليته قد آمن به عندما كتب إليه أوتجنينىوس الفيلسوف ليخبره نبأ ولادته: "إن فرس المشرق دخلوا سلطانك وقرىبا القرابين لصبى ولد بأرض يهوذا؛ فأما من

(1) ولد سنة 63 ق.م. وسمى اكتافىوس على اسم والده الذى كان عضواً فى السناتور. وبعد وفاة والده تبناه خاله يوليوس قيصر. وقد حقق انتصارات عديدة فى الخارج، كما انتصر سياسياً على مجلس الشيوخ (السناتور) بأن احتفظ بالسيادة على الجهات ذات الأهمية الإستراتيجية: الغال، وأسبانيا، ومصر، وسوريا. وبذلك جنب الإمبراطورية ويلات الحروب الأهلية والصراع العسكرى الذى شهدته روما إبان العصر الجمهورى بين قادة السناتور ماريوس، وسيلا، وبومبى، ويوليوس، وماركوس أنطونىوس (الأول). وكان القيصر محبا للعلم ومشجعاً للعلماء فى بلاطه عاش الشاعران فرجيل وأوراس. ومات أغسطس حوالى سنة 14 ق.م. وهو فى السابعة والسبعين من عمره، وكان قد عين اغريبيا فاسباسيان والياً على بيروس كما زوجه من ابنته جوليا. وبعد وفاته تولى طيباريوس الحكم وكان قد تزوج من جوليا ارملة اغريبيا، وفى السنة الخامسة عشر لملكه بدأت خدمة يوحنا المعمدان. وفى سنة 20 له مات السيد المسيح بالجسد. أما طيباريوس فقد أدركه الموت سنة 37 م.

(2) يوسف هو ابن يعقوب بالفعل لكنه نسب الى عمه هالى الذى كان قد تزوج أمه، ومات دون أن يترك من يحمل اسمه، لذلك نسب يوسف الى هالى أيضاً على حسب أمر الشريعة (تث 25: 5) حتى لا يفنى ذكره. ويعقوب وهالى هما أخوين غير شقيقين كانت أمهما إستا Estha قد تزوجت مثلاً وهو من سلالة سليمان ابن داود فأنجب منها يعقوب. ولما مات مثلاً؛ فإنها تزوجت من شخص يدعى ملكى. وهو من سلالة ناتان شقيق سليمان، ومنه أنجبت هالى. وهذا ما يفسر الاختلاف الظاهر فى سلسلتى نسب السيد المسيح الواردتين فى بشارتى متى (1: 6، 16) ولوقا (3: 23 و 31).

هو، وإبن من فلم يبلغنا بعد؛" فأرسل قيصر إلى هيرودس ليتأكد من صحة النبأ فرد عليه هيرودس يروى خبر المجوس وأنه ذبح أطفال بيت لحم أجمعين⁽¹⁾ ولعل نبأ هروب العائلة المقدسة إلى مصر ربما يكون قد نما إلى مسامع هيرودس والمحفل الرومانى، وهو ما يفسر تنقل العائلة المقدسة فى ربوع القطر المصرى وعدم استقرارهم فى مكان معين.

ولما بلغ عمر يسوع الزمنى ثمانية أيام أختتن، وبعد تمام أربعين يوماً على تدرعه بالبدن الجسمانى الذى أخذه من العذراء مريم فإنها ذهبت به -ومعهما يوسف- إلى الهيكل لإجراء فروض التطهير الموسوية. وهناك أخبرهما سمعان⁽²⁾ -وحنة- عما سيكون من أمر لصبى؛ فقد أوحى إليه أنه لن يذوق الموت حتى يرى مخلص العام، لذلك لما علم بالوحي انه المسيح المنتظر لهذا طفق يقول "الآن تطلق عبدك يا سيد حسب قولك بسلام لأن عيني قد أبصرتا خلاصك" (لو:2: 29).



بيت لحم - كنيسة المهد

- (1) الاسقف ايسينوروس - الخريدة النفيسة ص 68 عن ابن العبرى.
- (2) كان سمعان ضمن الأخبار المكلفين بترجمة العهد القديم، وبينما هو يترجم ما جاء فى سفر إشعياء "هوذا العذراء تحبل وتلد ابناً..." لم يرق له أن يترجم لفظة عذراء الى ما يقابلها فى لغة الإغريق. ولكنه عمد الى ترجمتها امرأة فاتاه الصوت أن يكتب عذراء، وأنه لن يموت حتى يرى ذلك المولود من عذراء.

خلفاء هيرودس الكبير

أرسطوبولس:

ابنه من زوجته مريمين الأولى ابنة الكسندرا، تزوج من برنيكى ابنة عمته سالومة وأنجب منها هيرودس خالكيس (انتيباس الأول) (أع 12:1) كما أنجب هيروديا التى تسببت فى موت يوحنا المعمدان (متى 4 ومر 6). وقد مات فى حياة أبيه محكوماً عليه بالإعدام بتهمة التآمر ضده (7 ق.م).

فيلبس: (4 ق.م – 34 م):

هو ابن هيرودس الكبير من كيلوبترا الأورشليمية. ورد ذكره فى بشارة القديس لوقا بصفته رئيس ربع على إيطورية وكورة تراخونيتس (لو 3:1).

بينما كان هيرودس أخوه رئيس ربع على الجليل، وكان بيلاطس البنطى الرومانى ينفرد بولاية اليهودية (لو: 1-2). وهو غير هيرودس الملقب فيلبس الذى أنجبه من مريم الثانية ابنة سمعان رئيس الكهنة. وهو الذى أطلق إسم قيصرية على مدينة بانياس الواقعة على منابع الأردن والتي عرفت فى العهد الجديد بإسم قيصرية فيلبس (مت 16: 13، مر 8: 27) وعندها سأل السيد المسيح تلاميذه عن رأيهم ورأي الناس فيه. وبعد موت فيلبس آلت مناطق ولايته إلى أغريباس الأول (أع 25، 26) ابن أخيه أرسطوبولس.

أرخيلاوس: (4 ق.م – 6 م):

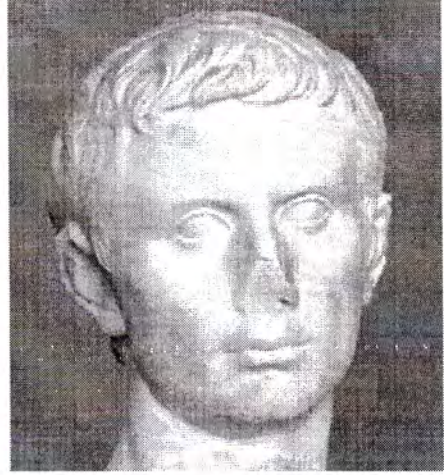
هو ابن هيرودس الكبير من مالثاك السامرية؛ خلف أباه هيرودس بعد موته على ولاية اليهودية والسامرة وأدوميه (مت 2: 22). واثناء غياب أرخيلاوس وأخوته فى روما للبت فى امر ولاياتهم بعد ابيهم قام اليهود بثورة اخرى لم يقوى سابينوس فاروس على اخمادها الا عندما استعان باريثاس ملك العرب. وسقط الاف القتلى واسر فاروس الفين من الثوار وصلبهم فعمت البلاد مناحة عظيمة. وزاد ضغط الرومان على اليهود. وعند توليه الحكم كان عليه أن يواجه جماعة الغيوريين المتطرفين، والفريسيين المتذمتين. وكل من الفريقين كان يرفض الخضوع للأدوميين، والرومان على السواء. وبالفعل تصدى أرخيلاوس للثوار فهلك منهم ثلاثة آلاف نفس فى أورشليم.

وتفصيل ذلك ان الفريسيون استغلوا توافد اليهود على الهيكل في عيد الفصح وهيجوهم على الثورة لتحقيق مطالبهم بالقصاص ممن قتلوا اليهود الذين ازالوا تمثال النسر من الهيكل في عهد والده. وكذلك لتخفيض الضرائب، وما الى ذلك من المطالب. فلجأ ارخيلوس الى العنف في اخماها وقتل من الثوار العدد المذكور. كما أنه تدخل في شئونهم الدينية بعزل وتعيين رؤساء الكهنة. ولذلك لقي الكراهية من اليهود إلى حد أنهم رفعوا شكواهم إلى قيصر، الذي استجاب لهم وقام بعزله ونفاه إلى إقليم الغال، وجعل مكانه كوبونيوس (6-9م) وقام كيرينيوس والى سوريا (لو1:2) بتجريد ارخيلوس من أملاكه كما جرد رئيس الكهنة من منصبه، وعين بدلاً منه حنان رئيساً لهم وفي عهده تم الاحصاء الثاني لليهود، وكان غرض هذا الاحصاء الحصر الضريبي.

ولم يدم حكم كوبونيوس طويلاً إذ تسببت ثورة يهوذا الجليلي في خلعته من منصبه، وتم استدعاؤه إلى روما وتعين بعده على التوالي اثنين غير جديرين بالاعتبار. وبعد موت اغسطس في سنة 14م للميلاد ارسل طيباريوس بالمريوس جراتوس واليا واستمرت ولايته الى سنة 25 وبعده تولى بيلاطس البنطي امرها.



طيباريوس



اغسطس

هيرودوس أنتيباس: (4 ق.م - 39 م):

هو شقيق أرخيلائوس، بعد موت أبيه تم تعيينه رئيس ربع على الجليل، وببريه، ومناطق شرقى الأردن. وقد تزوج من بنت أريتاس (2كو11: 32). ملك النباطيين. ثم قام بتطليقها، وتزوج بهيروديا امرأة أخيه غير الشقيق هيرودس فيلبس، وهو لا يزال على قيد الحياة. وأنتيباس هو الذى أمر بحبس يوحنا المعمدان كما أمر بقطع رأس صوت الحق الذى كان ينتقد أفعاله المخالفة للناموس ومنها زواجه بامرأة أخيه وهو على قيد الحياة. فأوغر ذلك صدر هيروديا الماجنة التى استطاعت بمكرها أن تنتزع منه أمراً - عن غير إرادته - بقطع رأس المعمدان عن طريق سالومه - ابنتها من هيرودس فيلبس - صاحبة الرقصة الشهيرة.

ويروى البشير متى قصة استشهاد المعمدان على النحو التالى: " فى ذلك الوقت سمع هيرودس رئيس الربع خبر يسوع؛ فقال لحكمائه هذا هو يوحنا المعمدان قد قام من الأموات ولذلك تعمل به الآيات. فإن هيرودس كان قد أمسك يوحنا وأوثقه وطره فى سجن من أجل هيروديا امرأة فيلبس أخيه. لأن يوحنا كان يقول له لا يحل أن تكون لك. ولما أراد أن يقتله خاف من الشعب لأنه كان عندهم مثل بنى. ثم لما صار مولد هيرودس رقصت ابنة هيروديا فى الوسط ففسرت هيرودس، ومن ثم وعد بقسم أنه مهما طلبت يعطيها إذ كانت قد تلقت من أمها قالت أعطى ههنا على طبق رأس يوحنا المعمدان. فإغتم الملك. ولكن من أجل الأقسام والمتكئين معه أمر أن يعطى فأرسل وقطع رأس يوحنا فى السجن.. " (1).

ويقول يوسفوس أن هيرودس كان يخشى أن يؤدى نفوذ المعمدان العظيم إلى فتنة، لأن الناس أظهروا استعدادهم ليفعلوا كل ما ينصح به. ولذا وجد أنه من الأفضل أن يسبق فيقتله قبل أن يجد أى شئ بتأثير يوحنا، ذلك أولى من أن يندم بعد حدوث الثورة إذ يجد نفسه وسط المتاعب وبسبب شكوك هيرودس وهو أجسه أرسل يوحنا مقيداً إلى الحصن السابق ذكره (ماكيرا) وهناك قتل (2).

وإذا كان هيرودس قد أثر رأس المعمدان على أن يتندى جبينه أمام قومه فإنه عاد يجر أذيال الخيبة بعد هزيمته على يد أريتاس (الحارس، حميه السابق) ملك النباطيين. وفي ذلك يقول يوسفوس: " قد ايقن كثير من اليهود ان انكسار جنود هيرودس كان عقاباً من الله له ما اجراه على يوحنا الملقب المعمدان، وكان هذا رجلاً متسامياً فى التقوى يحض اليهود على الاستمساك بالفضيلة والاستتارة بالبر وقبول المعمودية بعد استرضاء الله بالتوبة وان لا

(1) مت 14: 1-11، مر 6: 14-29، لو 3: 19.

(2) أوسابيوس القيصرى - تاريخ الكنيسة ص 50 عن كتاب الآثار ليو سيفوس.

يكتفوا بالألا يقترفوا الاثم بل ان يقرنوا طهارة الجسد الى طهارة النفس وكان جم غفير من الشعب يتبعه ويسمع تعليمه. وخشى هيرودس ان ما كان له من السلطان عليهم يبعث على الثورة عليه لانهم كانوا متأهبين ان يصنعوا كل ما يأمرهم به فرأى ان يتدارك الضرر قبل وقوعه فالتقى يوحنا في السجن في قلعة مشيرا فعزا اليهود خذلان جنوده الى حكم الله العادل جزاء على عمله الجائر.⁽¹⁾

وكان هيرودس تواقاً لرؤية السيد المسيح لما سمعه عنه ولكنها لم تكن رغبة النفس المتعطشة إلى البر، بل رغبة في رؤية أعماله العجيبة، ولذلك رفض السيد المسيح الكلام معه. "وأما هيرودس فلما رأى يسوع فرح جداً لأنه كان يريد منذ زمان طويل أن يراه لسماعه عنه أشياء كثيرة وترجى أن يرى آية تصنع منه، وسأله بكلام كثير فلم يجبه بشئ ووقف رؤساء الكهنة والكتبة يشكون عليه باشتداد فاحتقره هيرودس مع عسكره واستهزأ به" (لو 23: 8-11). ومن أعماله الانشائية انه جدد مدينة بيت صيدا ودعاها جوليانا تكريماً لابنة اغسطس قيصر كما انشأ مينة طبرية تكريماً لطيباريوس قيصر. واخيراً تم نفيه هو وزوجته الى بلاد الغال حيث قضيا نحبهما.

(1) المطران يوسف الدبس تاريخ سوريا الجزء الثاني، المجلد الثالث ص 314 عن يوسفوس في تاريخ اليهود ك 18 ف 7.

طيطاريوس قيصر وموت المسيح

بعد موت أغسطس قيصر (14م) عن عمر يناهز السابعة والسبعين، خلفه طيطاريوس ابنه بالتبني⁽¹⁾ واشتهر طيطاريوس بالحزم إلى جانب الاعتدال في ممارسة سلطته فقد قال مرة لأحد ولاته على مصر عندما بالغ في جمع الجزية "إنما أرسلتك لتجز وبر الأغنام لا لتسلخها". وفي السنة الأولى لملكه حدثت زلزلة عظيمة سقطت فيها مواضع كثيرة ومات خلق من الناس والمواشي⁽²⁾. وفي السنة السابعة بنى هيروُدس انتيباس مدينة طبرية - على شرف طيطاريوس قيصر - على بحر الجليل الذي الذي حمل اسم المدينة الجديدة وهناك التقى السيد المسيح بتلاميذه بعد القيامة فعرّفه يوحنا (يو 21: 1).

وأرسل طيطاريوس القائد فاليريوس جراتس (15-26م) ليحكم اليهودية، فاستخدم العنف في معاملة اليهود، وقام بخلع حنان، وعين بدلاً منه إسماعيل ابن فاني رئيساً للكهنة ثم تولى بعده على التوالي - في فترة وجيزة - أليعازر ابن حنان الرئيس السابق، وسمعان بن كاميثوس، ثم يوسف قيافا. وبعد رحيل فاليريوس إلى روما عين طيطاريوس قيصر، بيلاطس البنطي (26-36م) بدلاً منه. ويواكب تعيين بيلاطس على اليهودية بدء خدمة السيد المسيح (26م). ويوحنا المعمدان⁽³⁾.

"وفي السنة الخامسة عشر من سلطنة طيطاريوس قيصر إذ كان بيلاطس البنطي والياً على اليهودية، وهيروُدس رئيس ربع على الجليل، وفيلبس أخوه رئيس ربع على إيطورية وكورة تراخونيتس، وليسانيوس رئيس ربع على الأبليّة.. في أيام حنان وقيافا كانت كلمة الله على يوحنا ابن زكريا في البرية" (لو 1: 3).

وعبثاً حاول بيلاطس إحكام قبضته على اليهود؛ فقام بنقل قيادة الجيش من قيصرية إلى أورشليم. وكانت أولى حماقاته أنه نصب تمثالاً لقيصر في الهيكل كما أنه نصب تمثالاً للنسر الذهبي الممنح شعار الرومان عند مدخل أورشليم مما أثار حفيظة اليهود ضده؛ فاضطر إلى إعادتهما إلى قيصرية ثانية. وتصدى له اليهود أيضاً عندما حاول استخدام أموال الهيكل في الاتفاق على حفر قناة لنقل المياه داخل أورشليم، ولذلك أعمل فيهم السيف فسقط منهم خلق كثير. "وكان حاضراً في ذلك الوقت قوم يخبرونه عن الجليليين الذين خلط بيلاطس دمهم بذبائحهم؛ فأجاب يسوع وقال لهم أتظنون أن هؤلاء الجليليين كانوا خطاة أكثر

(1) كان أبنا لزوجته جوليا.

(2) ابن العبري - مختصر تاريخ الدول ص 66 - دار المشرق - بيروت

(3) توافق السنة الثلاثين لميلاد السيد المسيح الفعلي.

من كل الجليليين لأنهم كابدوا مثل هذا، كلا أقول لكم. بل إن لم تتوبوا فجميعكم كذلك تهلكون" (لو 13 : 1-3).

وكان من بين القتلى جليليون؛ فلذلك نشأت خصومة بين بيلاطس وبين هيرودس أنتيباس والى الجليل، وقد حاول اصلاح ذلك الخطأ بأن أرسل السيد المسيح ليحاكمه بعدما علم أنه جليلي يتبع دائرة اختصاص أنتيباس "فلما سمع بيلاطس ذكر الجليل سأل هل الرجل جليلي وحين علم أنه من سلطنة هيرودس، أرسله إلى هيرودس إذ كان هو أيضاً في تلك الأيام في أورشليم... فاحتقره هيرودس مع عسكره واستهزأ به وألبسه لباساً لامعاً ورده إلى بيلاطس؛ فصار بيلاطس وهيرودس صديقين" (لو 23 : 6-12).

وعندما فحص بيلاطس قضية السيد المسيح؛ فإنه لم يمك عليه خطأ وأراد أن يطلق سراحه، ولكن اليهود وأحبارهم أصروا على قتله. ويروى القديس لوقا ذلك بقوله: "قدعا بيلاطس رؤساء الكهنة والعظماء والشعب وقال لهم قد قدمتم إليّ هذا الإنسان كمن يفسد الشعب، وها أنا قد فحصت قدامكم ولم أجد في هذا الإنسان علة مما تشتكون به عليه ولا هيرودس أيضاً لأنى أرسلتكم اليه. وها لأشئ عليه يستحق الموت صنع منه..... فصرخوا قائلين أصلبه أصلبه...." (لو 23 : 13-23).

وقد عاصر السيد المسيح على الأرض أربعة من رؤساء الكهنة الذين عينهم فاليروس جراتوس وهم: إسماعيل ابن فابى خلفاً لحنان فأليعازر ابن حنان فسمعان ابن كميثوس وأخيراً يوسف قيافا الذى صلب المسيح فى عهده⁽¹⁾.

وقد قال يوسيفوس مؤرخ اليهود عن السيد المسيح: "وهناك عاش في ذلك الوقت يسوع، انسان حكيم ان كان من اللائق حقا ان يدعى انسانا. لأنه صنع اعمالا عجيبة، وعلم الناس فقبلوا الحق بفرح. وقد ضم اليه الكثيرون من اليهود والكثيرين من اليونانيين ايضا كان هو المسيح"⁽²⁾.

وعن حادثة صلب السيد المسيح وقيامته روى أوسابيوس القيصرى عن يوسيفوس قوله "وعندما حكم عليه بيلاطس بالصلب بسبب اتهام رجالنا المبرزين اياه، ظل يحبه من أحبه من البداءة. لأنه ظهر لهم حياً ثانياً فى اليوم الثالث، وقد سبق أن أنبأ الأنبياء المباركون

(1) مت 26، مر 14، لو 23، يو 18.

(2) أوسابيوس القيصرى – تاريخ الكنيسة – تعريب القمس مرقس داود، ص 50.

بهذه الأمور عنه، وبأمور أخرى عجيبة لا حصر لها. وفضلاً عن هذا فإن جنس المسيحيين الذين سموا بإسمه لا يزالون باقين إلى اليوم الحاضر" (1).

وأشار يوستينوس الشهيد والعلامة ترتليانوس إلى وجود تقرير عن السيد المسيح كتبته بيلاطس البنطى. وقال أن هذا التقرير موجود ضمن سجلات المحفل الرومانى. وقد تم العثور على صورة منه مرفوقة بصورة الحكم الذى أصدره بشأن السيد المسيح. وقد جاء فيه: " من بيلاطس البنطى الى طيباريوس الملك، السلام، قد حدث في هذه الاثناء بحسد اليهود ما كنت انا شاهدا له. فان الله وعد ابائهم ان يرسل اليهم من السماء قدوسه فيكون ملكهم الحقيقي. ويولد من عذراء. فانجز الله لهم وعده في مدة ولايتي على اليهودية. ولما راه اليهود يرد البصر على العميان ويشفي المخلعين ويطهر البرص ويطرد الشياطين ويقيم الموتى ويأمر الرياح فتطيعه، ويمشي على البحر ولا تبطل قدماءه، ويصنع ايات اخرى كثيرة جعلت الشعب يحسبه ابن الله. فحسده رؤساء اليهود وقبضوا عليه واسلموه الي. واقاموا عليه شكاوي كثيرة كاذبة. وقالوا انه ساحر، وناقض لسننهم. وانا لظني ما يقولونه صحيحا جلدته وسلمته اليهم فصلبوه واقاموا على قبره حراسا لكنه قام في اليوم الثالث، بينما كان جنودي يحرسون قبره. فاليهود ببخثم اعطوا الحراس فضة واوعزوا اليهم ان يقولوا ان تلاميذه سرقوا جثته. فاخذ الجنود الفضة وما استطاعوا ان يخفوا ما كان حقيقيا، فقالوا ان يسوع المسيح قام وان اليهود رشوهم بفضة ليخفوا الخبر. فلهذا رأيت من فروضي ان اصدقك الحديث على الحقيقة كي لا يصدق كذب اليهود "

وأما صورة الحكم فهي عبارة عن لوح من النحاس الأصفر مكتوب باللغة العبرية، وقد تم العثور عليه سنة 1280م بمدينة أكويا من أعمال نابولى ثم حفظ فى دير رهبان الكارتوزيان القريب من نابولى وقد جاء فيه:

"فى السنة السابعة عشرة من حكم الإمبراطور طيباريوس، الموافق لليوم الخامس والعشرين من شهر آذار بمدينة اورشليم المقدسة، فى عهد الحبرين حنان وقيافا، حكم بيلاطس والى ولاية الجليل (لعلمها اليهودية) الجالس للقضاء فى دار ندوة مجمع البرتوريين على يسوع الناصرى بالموت صلباً بناء على الشهادات الكثيرة المبينة المقدمة من الشعب المثبتة أن يسوع الناصرى:

أولاً: مضل يسوق الناس إلى الضلال.

ثانياً: أنه يغرى الناس على الشغب والهياج.

(1) أوسابيوس القيصرى - تاريخ الكنيسة - تعريب القمس مرقس داود، ص 51

ثالثاً: أنه عدو الناموس.

رابعاً: أنه يدعوا نفسه ابن الله.

خامساً: أنه يدعو نفسه ملك إسرائيل.

سادساً: أنه دخل الهيكل ومعه جمع غفير من الناس حاملين سعف النخيل فلهذا أمر بيلاطس البنطي كوتيتيوس كرنيليوس قائد المئة الأولى أن يأتي ييسوع إلى المحل المعد لقتله. وعليه أيضاً أن يمنع كل من يتعدى لتنفيذ هذا الحكم فقيراً كان أم غنياً...⁽¹⁾.

وبموت المسيح تحققت النبوات التي نطق بها الوحي الالهي على لسان اصفياه⁽²⁾. كما تمت نبوة دانيال النبي عن موعد مجيئه وصلبه "سبعون اسبوعاً قضيت على شعبك وعلى مدينتك المقدسة لتكميل المعصية وتتميم الخطايا ولكفارة الاثم وليؤتى بالبر الابدي ولختم الرؤيا والنبوة ولمسح قدوس القدوسين. فاعلم وافهم انه من خروج الامر لتجديد اورشليم وبنائها الى المسيح الرئيس سبعة اسابيع واثنان وستون اسبوعاً. يعود ويبنى سوق وخليج في ضيق الازمنة. وبعد اثنين وستين اسبوعاً يقطع المسيح وليس له. وشعب رئيس ات يخرّب المدينة والقدس. وانهائوه بغمارة والى النهاية حرب وخرّب قضي بها. ويثبت عهداً مع كثيرين في اسبوع واحد، وفي وسط الاسبوع يبطل الذبيحة والتقدمة. وعلى جناح الارجاس مخرب حتى يتم ويصب المقضي على المخرب" (دا 9: 24 - 27). تحققت هذه النبوة هكذا:

خرج الامر من قبل ارتحششتا (ارتكسر كسيس) الملك الفارسي حوالي سنة 457 ق.م. بإعادة بناء اورشليم وهيكلها بعد التدمير الذي احدثه بها البابليون حسبما جاء في سفر عزرا 7: 25. يضاف اليها ثلاثة وثلاثون عاماً هي حياة السيد المسيح على الأرض فيكون المجموع هو 490 سنة ($7 \times 70 = 490$). وهذا الرأي يحسب المدة من صدور قرار ارتحششتا الى صلب المسيح اعتماداً على قوله "ولكفارة الاثم"⁽³⁾

بينما يفسر البعض الآخر النبوة على انها تشمل المدة من صدور القرار الفارسي الى بدء خدمة السيد المسيح هكذا:

الاسبوع الاول ($7 \times 49 =$ سنة) + اثنان وستون اسبوعاً ($7 \times 62 = 434$) = 483 سنة. أو يضيفون الاسبوع الاول الى الاثنين والستين اسبوعاً الأخرى ($7 + 62 = 69$)

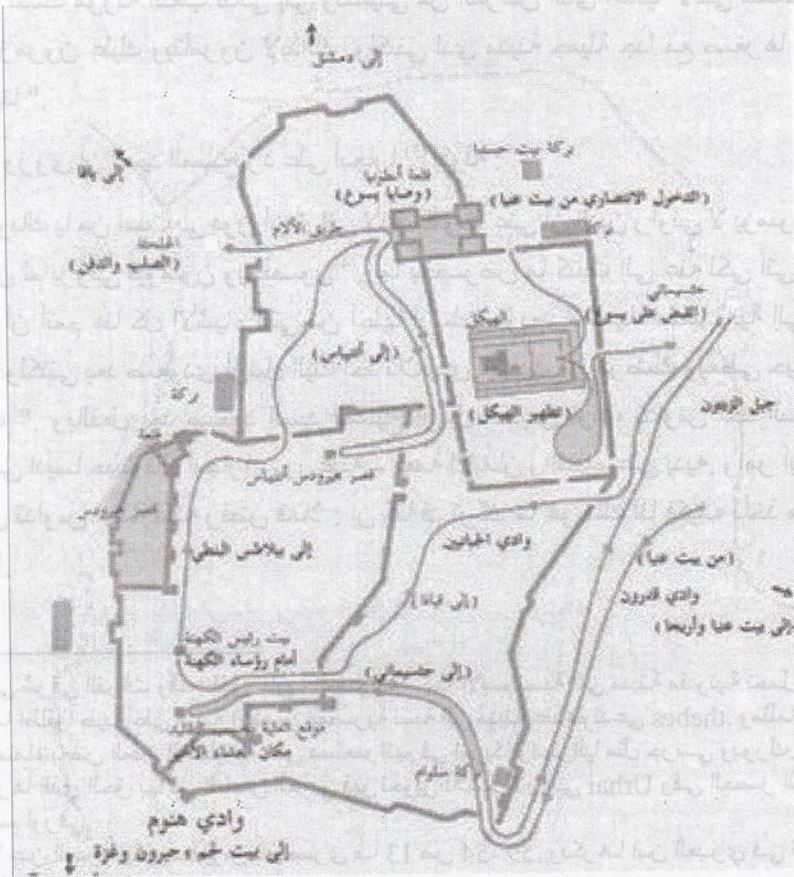
(1) الأسقف ايسيدوروس، الخريدة النفيسة في تاريخ الكنيسة ج 1 ص 30، 31.

(2) اش 53: 5، مز 22... الخ.

(3) القس منسى يوحنا - حل مشاكل الكتاب المقدس ص 93.

7×483) فيكون مجموعها هو 483 سنة. وهذه المدة تنتهي عند بدئ خدمة السيد المسيح والتي بدأت في العام السادس والعشرين ميلادية باعتبار ان الميلاد وقع سنة 4 ق.م. (457 ق.م + 26م = 483 سنة)

وانتهى حكم بيلاطس في اليهودية على أثر شكوى تقدم بها السامريون إلى فيثليوس وإلى سوريا يتهمون فيها بيلاطس بالعنف في معاملتهم على حسب رواية يوسيفوس الأنفة الذكر. فأرسله الوالي العام في سورية إلى روما ليحاكم على جرائمه وتم تعيين مارسيلوس (36م) بدلاً منه. وبينما هو في طريقه إلى روما مات طيباريوس في مارس من عام 37م وصعد غايوس كاليجولا على عرش روما؛ فأرسل مارولوس لولاية اليهودية بدلاً من مارسيلوس، ثم تولى أمرها بعد ذلك هيرودس أغريباس الأول وأخذ لقب ملك. أما بيلاطس فقد نفاه كاليجولا إلى فيينا حيث انتحر هناك.



اورشليم ايام المسيح

رسالة أبجارا ملك إديسا EDESSA⁽¹⁾ (13 ق.م - 50م)

كان أبجارا قد سمع عن يسوع المسيح وعن الآيات التي يصنعها، فبعث إليه برسالة⁽²⁾ قال فيها :

"السلام من أبجارا حاكم إديسا إلى يسوع المخلص السامي الذي ظهر في مملكة أورشليم. لقد سمعت أنبائك وأنباء آيات الشفاء التي صنعتها بدون أدوية أو عقاقير. لأنه يقال أنك تجعل العمى يبصرون والعرج يمشون وأنت تطهر البرص وتخرج الأرواح النجسة والشياطين وتشفى المصابين بأمراض مستعصية وتقيم الموتى. وإذا سمعت هذه الأمور عنك استنتجت أنه لا بد أن يكون أحد الأمرين صحيحاً : إما أن تكون أنت الله وإذا نزلت من السماء فإنك تصنع هذه الأمور، أو تكون أنت ابن الله إذ تصنع هذه الأمور. لذلك كتبت إليك لأطلب أن تكلف نفسك مؤونة التعب لتأتي إلى وتشفيني من المرض الذي أعانيه لأنني سمعت أن اليهود يترمزون عليك ويتآمرون لإيذائك. ولكنني لذي مدينة جميلة جداً مع صغرها وهي تتسع لكلينا".

وروى أن السيد المسيح رد على أبجارا⁽³⁾ بقوله :

طوباك يا من آمنت بي دون أن تراني لأنه مكتوب عني أن الذين رأوني لا يؤمنون بي وأما الذين لم يروني فيؤمنون ويخلصون⁽⁴⁾. أما بخصوص ما كتبت إلى عنه لكي أتى إليك فيلزماني أن أتمم هنا كل الأشياء التي من أجلها أرسلت، وبعد اتمامها اصعد ثانية إلى من أرسلني. ولكنني بعد صعودي أرسل إليك أحد تلاميذي ليشفيك من مرضك ويعطى حياة لك ولمن لك". وبالفعل بعد صعود السيد المسيح أرسل القديس توما، تداوس أحد السبعين رسولاً إلى إديسا حيث نال أبجارا - ورعيته - نعمة الإيمان والشفاء على يديه. وأمر أبجارا أن يعطى تداوس فضة لكنه رفض قائلاً : إن كنا قد تركنا ما هو ملك لنا فكيف نأخذ ما هو لغيرنا؟!.

(1) تقع في شرقي الفرات وقد اطلق عليها المقدونيون هذا الاسم نسبة الى مدينة مقدونية تحمل نفس الاسم مثلما اطلقوا طيبة على مدينة الاقصر المصرية نسبة الى مدينة عندهم تدعى thebes. ومثلما اطلق الانجليز اسماء بعض المدن الانجليزية على مستعمراتهم في امريكا واستراليا مثل جرسى ويورك... الخ. اما اسم الرها الذي الحق بها في العصر العربي فهو تحوير للاسم الارامي Urhai وفي العصر التركي عرفت باسم اورفي.

(2) نقلها عن السريانية يوسابيوس القيصري ف 13 ص 54-59. وذكرها ابن العبري في تاريخ مختصر الدول ص 66 و67.

(3) ربما برسالة شفوية عن طريق رسول أبجارا.

(4) (إش 6: 9، إر 5: 21، حز 12: 2، مت 13: 14، مر 4: 12، أع 28: 26، رو 11: 7)...

ويذكر القديس لوقا ليسانيوس (ليسانياس) الوالي وكان رئيس ربيع على الأبلية (لوقا 1: 40) وهو غير ليسانياس حاكم كاثيس (عنجر) الواقعة بين بيروت ودمشق، تولى الحكم سنة 40 ق.م. بعد ابيه وكانت ولايته تشمل كلثس والأبلية وشرق لبنان وبعبك وغيرها ولكن كليوبترا السابعة او عزت الى انطونيو بقتله. وكان ذلك في سنة 43 ق.م. وبعد مصرع كليوبترا تولى الحكم زينودر ابن ليسانياس. ثم منح اغسطس بعض املاك زينودر الى هيرودس الكبير. وقد عثر الرحالة الانجليزي بوكوك في خرائب الابلية على حائط معبد حيث اشارت الكتابة المنقوشة عليه الى حاكم يدعى ليسانياس في زمن طيباريوس وهو الوارد في بشارة لوقا.

كاليجولا والإضطهاد الديني

هو حفيد أغسطس من ابنته جوليا، خلف طيباريوس على عرش روما، بينما كان فلاكوس والياً على مصر، وكان كاليجولا متعصباً لديانته الوثنية، وكان يأمر أن تقام تماثيل له ولأربابه في كل مكان، وكان من الطبيعي ألا تلقى أوامره قبولا من جانب اليهود - والمسيحيين كذلك- مما تسبب في حدوث فتنة عام 38م بين اليهود المقيمين بالإسكندرية وبين الأمميين. وقد عمد السكندريون على تحريض كاليجولا ضد اليهود نكاية فيهم بحجة أنهم يعرضون عن عبادة الإمبراطور، ويرفضون إقامة نصبه في معابدهم. وهجم السكندريون على معابدهم فرفعوا شكواهم⁽¹⁾ إلى هيرودس أغريباس الأول⁽²⁾ ليتوسط عنهم لدى الإمبراطور؛ فأرسل كاليجولا حملة لقمع المعتدين ولتهدئة الثائرين وألقى القبض على فلاكوس والي وحكم عليه بالنفي لتقاعسه عن قمع السكندريين.

كما امتد أثر قرارات كاليجولا الدينية إلى فلسطين حيث رفض اليهود أن يقيموا له معبداً بإسمه في (يمنيا) مما أثار غضبه ضدهم فأمر بترونيوس والي سوريا بإقامة تمثال له في هيكل سليمان فكتب اليه بترونيوس يخبره بإستحالة تنفيذ ذلك، كما أن إغتيال كاليجولا في يناير من عام 41م أوقف مجازر كثيرة كان من الممكن أن تقع في فلسطين. وبعد موته خلفه كلوديوس.

هيرودس أغريباس⁽³⁾ الأول وشهادة يعقوب الرسول:

عُين والياً على اليهودية من قبل غايوس الإمبراطور صديقه القديم. وذلك بعد وفاة فيلبس الذي لم يكن له بعد وفاته سوى سالومي الشهيرة. وخلع عليه الإمبراطور لقب ملك مما أثار غيرة هيروديا زوجة انتيباس، فاصطحبت زوجها الى روما لمقابلة كاليجولا حتى ينعم عليه بلقب ملك، لكن رسالة صهره أغريباس كانت قد سبقته الى روما وفيها يذكر له مساوئه ومنها مولاته لملك بارثيا عدو الرومان فعزله كاليجولا ونفاه الى ليون وكانت ولايته قد استمرت لمدة سبع سنوات (37- 44 ق.م). إذ أنه مات سنة 44م عن عمر يناهز 54 عاماً -

(1) كان فيلون السكندري على رأس الشاكين.

(2) ابن ارسطوبوليس وحفيد هيرودس الكبير وكان صديقاً لكاليجولا أثناء إقامته في روما لتلقي تعليمه. ولما صار الأمر بيد كاليجولا فاته عينه والياً على ولايات فيلبس وليسانتيوس كما أعطاه ولايتي الجليل وبيرية سنة 39م. وبعد موت كاليجولا. أصبح أغريباس ملكاً على كل فلسطين بعد اضافة ولايتي اليهودية والسامرة الى حوزته.

(3) هو ابن ارسطوبوليس ابن هيرودس الكبير، كان صديقاً لكاليجولا وهو يتلقى تعليمه في روما

كما يذكر يوسفوس- وهو الذي ازدرى بالسيد المسيح والبسه ثوبا لامعا ثم رده الى بيلاطس (لو 23: 11). وامر بقطع رأس القديس يعقوب الرسول (اع 12: 2) كما انه حكم على بطرس بالسجن (اع 12: 4). ويروى عنه انه ملا محارب اليهود اصناما فتوجه كل من فيلون ويوسفوس بشكوى الى الامبراطور⁽¹⁾. وتحدث سفر أعمال الرسل عن نهايته فقال: "ففى يوم معين⁽²⁾ لبس هيرودس الحلة الملوكية وجلس على كرسى الملك وجعل يخاطبهم، فصرخ الشعب: هذا صوت إله لا صوت إنسان ففى الحال ضربه ملاك الرب لأنه لم يعط المجد لله فصار يأكله الدود ومات. وأما كلمة الله فكانت تنمو وتزيد" (اع 12: 21-24).

ولا تختلف رواية يوسفوس عن رواية القديس لوقا إلا فى إسهاب الأول:

"... وفى الحال أحس بألم شديد فى أمعائه، والتفت إلى أصحابه قائلا: أنتم تقولون إني اله وإني لا أموت، وها أنا الآن أموت مغضوبا على من العناية الإلهية بسبب كلمات الكذب والنفاق التى وصفتمونى بها، ولكن على أن أتحمل كل ما يضعه على الله بحسب ما يرضيه، لأننى لم أشق فى حياتى بل عشت ف البذخ والترف..."⁽³⁾

وترك اغريباس ابنا أسماه أغريباس أيضا، وبنيتين هما برنيكى (الثانية) ودورسلا (أع 25: 24) ثالث زوجة لفيلكس والى. وقد جاء ذكرهم فى سفر أعمال الرسل (ص 25).

وتوج خليفته بترونيوس اعمال الكفر بأن نصب تمثالا لزيوس في الهيكل فتحققت نبوة دانيال النبي "وتقوم منه اذرع وتنجس المقدس الحصين وتبزع المحرقة الدائمة وتجعل الرجس المحرب" (دا 11: 31).

ولما قاومه اليهود فان كاليجولا توعدهم بالانتقام اذا لم يزعنوا له. لكن اغتياله الذي وقع في الرابع والعشرين من من كانون الثاني سنة 41 م حال دون الفتك بهم. وكان اغريباس حينئذ في روما. ولما رقي كلوديوس الى عرش الامبراطورية فانه زاد في ملك اغريباس حتى قارب ملك جده هيرودس الطاغية. وعمل هيرودس على ارضاء اليهود بكل السبل حتى الى قتل الابرياء فقبض على القديس يعقوب ابن زبدي وقتله سنة 44م كما جاء في سفر الاعمال انه سجن القديس بولس ولكنه نجا باعجوبة سماوية (12: 1).

وقد عثر على اثر في قنوات حوران جاء فيه اسم هذا الملك والقابه "اغريباس الملك العظيم محب قيصر والرومانيين" ما جاء في هذا المنشور ان الملك يحث سكان حوران

(1) ابن العبري - تاريخ مختصر الدول ص 68.

(2) فى هذا اليوم أقام أغريباس حفلا فى قيصرية لتكريم كلوديوس قيصر كما يذكر يوسفوس.

(3) المطران يوسف الدبس تاريخ سوريا الجزء الثاني، المجلد الثالث ص 314 عن يوسفوس - تاريخ اليهود ك 19 ف 1.

واللجا على اتباع سبل الحياة الحديثة وهجر عيشة الكهوف التي يعيشونها. كما عثر على نقش اخر في البثينة جاء فيه "السلامة مولانا الملك اغريباس اقام... (الباقى مهش)" كما عثر على نقش ثالث وجد في حوران جاء فيه: "في السنة الثالثة لمولانا الملك اغريباس اقام اويديوس مليكاتو مذبحا او نصبا للمشتري"

[illegible]

الامبراطور كلوديوس (41-58م)

خلف كاليجولا على عرش روما وكان لأغريباس الأول الفضل في صعوده على العرش. وفي رسالته التي بعث بها إلى الإسكندرية رداً على السكندريين واليهود المتنازعين نستدل على حسن سياسته واعتداله. كما أنه لم يقبل اقتراح السكندريين بتعيين كاهن خاص لعبادته، أو أن تقام له معابد خاصة. ودعا اليهود إلى الاكتفاء بما لديهم من امتيازات وألا يطمحوا فيما هو أكثر، أي حق المواطنة في مدينة الإسكندرية فهي ليست وطنهم. وفي عهده حدثت مجاعة كبيرة أشار إليها كاتب سفر أعمال الرسل بقوله "وفي تلك الأيام انحدر أنبياء من أورشليم إلى إنطاكية. وقام واحد منهم إسمه أغابوس، وأشار بالروح أن جوعاً عظيماً كان عتيد أن يصير على جميع المسكونة الذي صار أيضاً في أيام كلوديوس قيصر" (أع 11: 27، 28).

وفي عهده ظهر مبتدع يدعى كيرينثوس علم بأن في ملكوت السموات يأكلون ويشربون ويتزوجون. وهذه النفاض التي لا تتمشى مع حياة البر والقداسة في السماء، تتعارض مع تعليم السيد المسيح الذي قال بانه في الملكوت لا يزوجون ولا يتزوجون بل يكونون كملائكة الله في السماء (مت 22 : 30) كما تتعارض مع تعليم القديس بولس الذي قال: "ليس ملكوت الله اكلا وشربا بل هو بر وسلام وفرح في الروح القدس" (رو 14 : 17).



كاليجولا



كلوديوس

أغريباس الثاني⁽¹⁾ (48-93 م):

بعد موت أبيه (سنة 44م) وعده كلوديوس بالخلافة لكنه اخلف في وعده فوُعت اليهودية تحت حكم ولاء رومانين هم كاسيوس فاروس (44-46 م)، طيباريوس اسكندر (46-48م) كومانوس (48-52م)، فيلكس (52-60م) فستوس (60-62م) وجيوس فلوروس (64-66م). اما اغريباس فقد عينه في سنة 50م على امارة صغيرة في شرق لبنان الى جانب الاشراف على الامور الدينية في اورشليم مثل حراسة الهيكل والتوقيع على سيامة رؤساء الكهنة وما الى ذلك. ولهذا نسمع في خطاب الرسول بولس ما يدل على دراية اغريباس بامور اليهود الدينية (اع 26 : 2).

كما كان يستفيد ماديا من سيامة رؤساء الكهنة⁽²⁾ الامر الذي كان مبعوضا من الجمهور فاتخذوا ذلك ذريعة لشكايتهم. وقد كُلف من قبل روما بالمشاركة في حملات ضد البارثيين وضد سكان ارمينيا كما انه انحاز الى فلورس ضد اليهود الذين ثاروا ضده لاجحاه في معاملتهم.

وبعد موت فستوس والى اليهودية وقبل وصول البنوس الوالي الجديد الوافد من قبل نيرون، استغل حنان ابن حنان رئيس الكهنة المعروف في كتب العهد الجديد، والذي كان يشغل منصب رئيس كهنة من قبل انتيباس بعد عزل يوسف، استغل هذا خلو كرسي الولاية وعقد مجمعا ضد القديس يعقوب الصغير ابن حلفى. وضد غيره من المسيحيين وقتلهم رجما. ولذا شكاه المعتدلون من الوجهاء الى اغريباس الثاني فعزله بعد اربعة اشهر فقط من تولي منصبه وعين بدلا منه يشوع ابن دمانوس. وبدءا من العهد السليوقي كان كثيرون من رؤساء الكهنة يرتقون هذا المنصب عن غير حق، والأكثرية كانوا يشترونه بالمال ليحققوا من ورائه المكاسب المادية والدنيوية ولهذا صدق السيد المسيح في قوله "جميع الذين اتوا قبلي هم سراق ولصوص ولكن الخراف لم تسمع لهم" (يو 10: 8).

وقد وصلت حالة الترددي في اليهودية الى زروتها وحسبنا في وصفها قول يوسيفوس المؤرخ "من يتعجب من هذا بعد ان نظر الله الى اورشليم بعين الغضب، وبعد ان امسى بيته المقدس خاليا من القداسة التي تجعله مكرما فقد ارسل الرومانيين ليعاقبوا هذه المدينة التعيسة

(1) ولد في روما سنة 27 م، وعندما توفي ابوه كان في السابعة عشر من عمره.

بالسلاح والنار وسبوا سكانها مع نساينهم واطفالهم لعلهم يستفيقون بالعقاب الاليم من سكر اثمهم" (1)

وأخذ الولاة يتصدون لحركات المقاومة المناهضة للحكم الرومانى والتي تزعمها مجموعة من المتصليين والدجالين مثل ثوداس⁽²⁾ ويهوذا الجليلي اللذان جاء ذكرهما فى سفر أعمال الرسل: "... لأنه قبل هذه الأيام قام ثوداس قائلاً عن نفسه إنه شئ الذى التصق به عدد من الرجال نحو أربعمائه، الذى قتل وجميع الذين انقادوا اليه تبددوا وصاروا لا شئ. بعد هذا قام يهوذا الجليلي فى أيام الاكتتاب وأزاغ واره شعباً غفيراً فذاك أيضاً هلك وجميع الذين إنقادوا اليه تشتتوا. والآن أقول لكم تنحوا عن هؤلاء الناس (يقصد الرسل) وأتركوهم لأنهم إن كان هذا الرأى أو هذا العمل من الناس فسوف ينتقض، وإن كان من الله فلا تقدرون أن تنتقضوه لنلا توجدوا محاربين لله أيضاً" (أع 5: 33-40).

ولم يهدأ الغيوريون من اليهود فقاموا بثورة فى عهد كومانوس الوالى (48-52م) الذى خلف طيباريوس اسكندر، والتي راح ضحاياها الآف من الأنفس. واشتد العداء بين اليهود والسامريين ووصل إلى حد الصدام المسلح مما أدى إلى تدخل العسكرية الرومانية ممثلة فى كومانوس والى اليهودية، وأوميدىوس كوادراتس الحاكم العام فى سوريا. وكان لما عرض الأمر على قيصر فإنه حكم لصالح اليهود بناءً على مناصرة أغريباس (الثانى) وزوجته أغريبينا لليهود. ونفى كومانوس وتعين فيلكس (52-60م). وكان أغريباس -مثل أبيه- يضطهد المسيحيين لكى يرضى اليهود وقد وقف موقفاً سلبياً تجاه بولس الرسول رغم علمه ببرائته، الأمر الذى حدثنا عنه كاتب سفر أعمال الرسل بشئ من التفصيل:

"وبعدما مضت أيام أقبل أغريباس الملك وبرنيكى إلى قيصرية ليُسلما على فستوس. ولما كانا يصرفان هناك أياماً كثيرة عرض فستوس على الملك أمر بولس..." (أع 25: 13). وكان لما استمع إلى دفاع القديس بولس وتحقق من براءته قال "كان يمكن أن يطلق هذا الإنسان لو لم يكن قد رفع دعواه إلى قيصر..." (أع 26: 32).

(1) Josefus , book xx , ch. 5.

for they had the boldness to murder men there, without thinking of the impiety of which they were guilty. And this seems to me to have been the reason why God, out of his hatred of these men's wickedness, rejected our city; and as for the temple, he no longer esteemed it sufficiently pure for him to inhabit therein, but brought the Romans upon us, and threw a fire upon the city to purge it; and brought upon us, our wives, and children, slavery, as desirous to make us wiser by our calamities.

(2) لقي حنفة هو وأتباعه على يد جنود قادوس.

وأثناء الحوار قال له بولس : "أتؤمن أيها الملك أغريباس بالأنبياء أنا أعلم أنك تؤمن" فقال أغريباس جملته الشهيرة: بقليل تقنعني أن أصير مسيحياً". فقال بولس كنت أصلى إلى الله أنه بقليل وبكثير ليس أنت فقط بل أيضاً جميع الذين يسمعونني اليوم يصيرون هكذا كما أنا..." قد عثر لهذا الملك على اثار تشير اليه ففي منطقة دير الشاعر عثر على نقش يذكر اسمه "دار ابوس الوالي من قبل الملك العظيم اغريبا" وفي سبع القرية من قناتى عثر على نقش اخر جاء فيه "اقام هذا البناء فاروس واغريبا ابنه في عهد الملك العظيم اغريباس محب قيصر وصديق الرومانيين كما وجد نقش ثالث في حليون الواردة في سفر حزقيال(27 : 18). والقرية من دمشق جاء فيه" في عهد الملك العظيم مرقس يوليوس اغريباس محب قيصر وصديق الرومانيين اقام...على نفقته" وذكر يوسفوس انه جمل مينة بانياس ودعى اسمها نيرونية على اسم الطاغية نيرون. كما اقام ملعبا (امفثياتر) كبيرا في بيروت.

وعلى النقيض من أغريباس كان فيلكس (52-60م)، وفستوس (60-62م). فقد أظهرنا شيئاً من الاعتدال في معاملة المسيحيين وعلى رأسهم الرسل وذلك بشهادتهم:

"إننا حاصلون بواسطتك على سلام جزيل، وقد صارت لهذه الأمة مصالح بتدبيرك، فتقبل ذلك أيها العزيز فيلكس بكل شكر في كل زمان وكل مكان... إنى قد علمت أنك منذ سنين كثيرة قاض لهذه الأمة أحتج عما فى أمرى بأكثر سرور" (أع 24: 2-10). وعندما اقترن بدورسلا -أخت أغريباس الثانى- زوجة عزيزوس ملك حمص؛ فلذلك وبخه بولس الرسول على ذلك لأنها كانت الزوجة الثالثة له، ولكونها زانية لأنها هجرت زوجها، وبعد أيام جاء فيلكس مع دروسلا إمرأته وهى يهودية فاستحضر بولس وسمع منه عن الإيمان بالمسيح. وبينما كان يتكلم عن البر والتعفف والدينونة العتيدة أن تكون ارتعب فيلكس..."

وفى عهده اشتدت حركة الغورين بزعامة أليعازر؛ فقاموا باغتيال يوناثان رئيس الكهنة ناسبين فعلنهم إلى فيلكس. الذى منى عهده أيضاً بظهور دجال آخر (أع 21: 38). وكان على أثر استخدامه العنف فى فض المنازعات بين اليهود والأميين فى قيصرية أن تم استدعاؤه إلى روما، وتعين بدلاً منه بوركيوس فستوس (60-62م). وقام فستوس بوضع حراسة على بولس الرسول حتى لا يتعرض له اليهود بسوء إذا كانوا عازمين على قتله.

" فلما قدم فستوس إلى الولاية صعد بعد ثلاثة أيام من قيصرية إلى اورشليم فعرض له رئيس الكهنة ووجوه اليهود ضد بولس، والتمسوا منه طالبين عليه منة أن يستحضره إلى اورشليم وهم صانعون كميناً ليقتلوه فى الطريق؛ فأجاب فستوس أن يحرس بولس فى قيصرية... وقال فليزل معى الذين هم بينكم مقتدرون. وإن كان فى هذا الرجل شئ فليشتكوا

وبعد موت فستوس وضع نيرون ألبينوس (62-64م) بدلاً منه. وقبل أن يتولى مهام منصبه قام حنان رئيس الكهنة بعقد مجمع للبت في أمر المسيحيين، وأصدر المجمع المشنوم قراراً بقتلهم جميعاً وكان من بينهم يعقوب الرسول، وكانت يوبيا -يهودية الأصل- زوجة نيرون تزكى الأحكام الجائرة ضد المسيحيين. أما ألبينوس وخلفاؤه فقد اتبعوا أساليب اللصوص في جمع المال والانتحياز للأُمميين ضد اليهود مما زاد من السخط العام ضد الحكم الروماني الذي أفضى في النهاية إلى ثورة اليهود الكبرى. وكان على الرومان قمع ثورتهم بالحديد والنار.

نيرون وشهادة بطرس وبولس

امتازت شخصيته بالتطرف وعدم الاتزان، فقد كثرت جرائمه في روما، فأشغل فيها الحريق وهو ثمل، ولما فاق من سكره فإنه نسب جريمته إلى المسيحيين، ومن ثم أخذ في صب جام غضبه على هؤلاء القوم الضعفاء. وجعل من أبدانهم الطاهرة مشاعل تضي المتنزعات ليلاً. وفي عهده حدثت ثورة كبرى قام بها يهود فلسطين بز عامة شخص يدعى لعازرابن حناني الكاهن. ووجدت صداها في الاسكندرية فحرك تيبريوس يوليوس إسكندر القوات الرابضة في معسكر نيقوبوليس (منطقة مصطفى كامل برمل الإسكندرية) لمواجهة الثورة فهلك من الثوار نحو خمسين ألفاً. ثم واصل خلفاؤه التصدي لفلولهم.

وبلغت الأزمة اقصى اتساع لها في عهد جيوس فلوروس الذي أشعل فتيل الأزمة بفرضه أتاوة على الهيكل، وفشل في تهدئة الثوار، واضطر إلى الإنسحاب من أورشليم. ثم أرسل نيرون القائد فاسبسيان، وانضم إليه ابنه تيطس على رأس جيش من قيصرية في ربيع سنة 67م فبلغ عدد الجنود الرومان 60 ألفاً وتصدى للثوار وكان يوسيفوس - الذي أرخ لتلك الفترة - قد استسلم بفريقته؛ فأحسن فاسبسيان معاملته واستخدمه كوسيط لتهدئة الثوار ولكنه فشل. ثم توالى انهزامات اليهود على يد الجيش النظامي وأخذت مدنهم تسقط الواحدة تلو الأخرى وقبل أن ينقض جيش فاسبسيان على أورشليم بلغه خبر موت نيرون؛ فأجل مسألة اقتحامها وترك الثوار المنقسمين على ذواتهم يفتنون بعضهم بعضاً.

ومعروف أن نيرون قبض على القديسين بطرس وبولس فصلب الأول منكس الرأس، وقطع رأس الآخر بسيف غاشم، ثم أرسل إلى الثغر السكندري فقتل القديس مرقس الرسول. ولم تجد الكنيسة خلاصاً من غطرسة نيرون الا بانتحاره بعد أن قتل اقرب المقربين إليه.

NERO



نيرون



فيسبسيان



تيطس

فاسبسيان وتدمير اورشليم

بعد موت نيرون عمت الفوضى في أرجاء الإمبراطورية، وكثرت المؤمرات حول العرش الذى تعاقب عليه في عام واحد أربعة أباطرة (جالبا، أوتو، فينلسيوس، فاسبسيان) كان آخرهم فاسبسيان الذى التقف حوله الجنود ونصبوه امبراطوراً؛ فلما استتب له الأمر، اتجه إلى مصر ليأخذ تأييد الشعب السكندري الذى استقبله بحفاوة كبيرة. أما مهمة دخول أورشليم والقضاء على الثوار اليهود فقد تركها إلى ابنه تيطس فدخلها بعد حصار دام لنحو ثلاث سنوات. وحطم أسوارها الثلاثة، وأشعل النار فى هيكلها فتهاوت جدرانها، واندك على من فيه من الثائرين فى 8 سبتمبر سنة 70 م. وحمل تيطس إلى روما مائدة خبز الوجوه الذهبية، والمنارة.

وبذلك تحققت نبوة السيد المسيح عن خراب أورشليم وهيكلها: "ومتى رأيتم أورشليم محاطة بجيوش فحينئذ اعلموا انه اقترب خرابها حينئذ ليهرب الذين فى اليهودية إلى الجبال، والذين فى وسطها فيفروا خارجاً، والذين فى الكور فلا يدخلوها لأن هذه أيام انتقام ليتم كل ما هو مكتوب، وويل للجبالي والمرضعات فى تلك الأيام لأنه يكون ضيق عظيم على الأرض وسخط على هذا الشعب، ويقعون بغم السيف ويسبون إلى جميع الأمم وتكون أورشليم مدوسة من الأمم حتى تكمل أزمنة الأمم" (لو 21: 20-24).

أورشليم قبل الحصار:

لم يكتفى اليهود بجريمتهم ضد السيد المسيح بل أخذوا فى تتبع تلامذته يدبرون لهم المكائد وينكلون بالبعض منهم ويقتلون البعض الآخر. واستهلوا أعمالهم برجم اسطفانوس أول الشمامسة، وبينما هو يلفظ أنفاسه الأخيرة رفع عينيه للسماء طالباً الصفح لراجميه !!!، كما قطعوا رأس يعقوب بن زبدي أخى يوحنا. ونال يعقوب الرسول أول أساقفة أورشليم ذات المصير. وأما باقى الرسل فقط تركوا أورشليم قاصدين التبشير فى أرجاء العالم كأمر السيد المسيح لهم "إذهبوا وتلمذوا جميع الأمم....." (مت 28: 19). وعملاً بوصيته أيضاً "متى رأيتم رجسة الخراب التى تنبأ عنها دانيال النبى قائمة فى المكان المقدس (الهيكل) ليفهم القارئ (أى القارئ للنبوة)؛ فحينئذ ليهرب الذين فى اليهودية إلى الجبال...." (مت 24: 15، دا 9: 26).

وبالفعل ترك المسيحيون الأوائل أورشليم قبل الحرب وسكنوا فى مقاطعة بيرية (بلا PELLA) الواقعة شرقى الأردن وكانت تحت سلطة هيرودس أغريباس الثانى. بعد ذلك حل باليهود عقاب شديد من قتل ومجاعات وأوبئة وأمراض وتشتت.

وقد كانت أورشليم وقت الفصح مقصداً ينفذ إليه الحجاج من اليهود من كل صوب ودرب حتى تجمع فيها قرابة ثلاثة ملايين من الأنفس. ولم يفتأ يوسيفوس⁽¹⁾ المؤرخ اليهودي يصور ما حل بأورشليم وبسكانها وبهيكلها مما يروع النفوس والأبدان من ذلك قوله: "ولم يعد الطعام يرى وإذا كان الناس يقتحمون المنازل كانوا يفتشونها بدقة، وكلما وجدوا شيئاً عذبوا أصحابها على أساس أنهم أنكروا أن عندهم شيئاً. وإن لم يجدوا فيها شيئاً عذبوهم على أساس أنهم خبأوه... لم تعد الموائد تبسط في أى مكان بل كانوا يخطفونه قبل أن ينضج وينهشونه.... واشتدت المجاعة فالتهمت بيوتاً وعائلات وامتألت الغرف بجثث النساء والأولاد وطرقات المدينة (المحصرة من قبل جنود تيطس) بجثث المشايخ... فالكثيرون كانوا يموتون فعلاً وهم يدفنون غيرهم، والكثيرون كانوا يعمدون إلى قبورهم قبل أن يأتيهم الموت. وفي بداية الأمر أعطى هؤلاء (الثوار) الأوامر لدفن الموتى على حساب الخزانة العامة، لأنهم لم يحتملوا الروائح الكريهة، ولكنهم عجزوا عن ذلك فيما بعد كانوا يطرحون الجثث من فوق الأسوار إلى الخنادق".

ويستطرد يوسيفوس: "فأعتقد بأنه لو تأخر الرومان في الهجوم على هؤلاء المجرمين الأشقياء لابتلعت المدينة هوة سحيقة أو دهمها فيضان أو دمرتها صاعقة كتلك التي دمرت سدوم، لأنها أخرجت جيلاً من البشر أشر ممن عانوا ذلك التأديب. والواقع أنه بسبب جنونهم أبعد كل الشعب".

ويذكر يوسيفوس أن عدد الذين ماتوا من المجاعة والسيف بلغ المليونين والمائة ألف شخصاً، أما الباقون فمنهم من سيق للخدمة في روما وفي مصر وغيرها ومنهم من لاذوا بالفرار وبيع نحو تسعين ألفاً من الأطفال في أسواق الرقيق. وقد قيل أن نجماً على شكل سيف وقف فوق المدينة قبل خرابها واستمر لمدة عام كامل. وقد جاء وصف يوسيفوس لما حل بأورشليم تصديقاً وتحققاً لما أنبأ به الأنبياء وما ذكره السيد المسيح لتلاميذه: "الحق الحق أقول لكم إنه لا يترك هنا (أى الهيكل) حجر على حجر لا ينقد... لأنه يكون حينئذ ضيق عظيم لم يكن مثله منذ ابتداء العالم إلى الآن ولن يكون"⁽²⁾

(1) كان يوسيفوس قائداً لإحدى الفرق المناوئة للرومان لكنه استسلم لهم فغفوا عنه واتخذوا منه وسيطاً لدى اليهود المتشددين والمقاومين للسلطة الرومانية لعله يفلح في استمالتهم واثباتهم عن المقاومة لكنه فشل فدك الرومان الهيكل على رؤس المحتمين فيه.

(2) ذكر متى البشير (مت 24 : 2، 22) حديث السيد المسيح عن خراب أورشليم وعلامات نهاية العالم.

رسالة السيد المسيح

جاء السيد المسيح الى العالم مخلصا اياه من موت الخطيئة الابدي وقدم من خلال حياته وتعاليمه مثالا لحياة البر والقداسة واعطى مريديه ان يقتدوا به لذا قال "احملوا نيري عليكم وتعلموا مني لاني وديع ومتواضع القلب فتجدوا راحة لنفوسكم" (مت 11 : 29).

جاء ليقدم للناس مفهوما جديدا وساميا للمحبة التي كانت مقتصرة على محبة الاقرباء والأصدقاء. اما هو فقد سمى بهذا المفهوم الى اقصى درجات سمو بقوله "سمعتم انه قيل تحب قريبك وتبغض عدوك واما انا فاقول لكم احبوا اعداءكم باركوا لاعنيكم احسنوا الى مبغضيك وصلوا لاجل الذين يسيئون اليكم ويطردونكم" (مت 5 : 44). وقوله: "ان احببتم الذين يحبونكم فأي فضل لكم فان الخطاة ايضا يحبون الذين يحبونهم" (لوقا 32) فالذي يحب من يحبه لا ياتي بفضل فهذا امر طبيعي يترفع عنه حتى الاشرار. فكثيرون من الناس يحبون ذويهم وفي نفس الوقت يدبرون الجرائم لغيرهم. اما ان يحب الانسان عدوه ويريد له الخير ويصنعه معه. ولا يجازي عن شر بشر فهذا هو التعليم السامي الذي يعتبر محور رسالة المسيحية.

ومن منطلق المحبة السامية علم المسيح اتباعه ان يقابلوا السيئة بالحسنة فقال لهم:

"سمعتم انه قيل عين بعين وسن بسن واما انا فاقول لكم لا تقاوموا الشر بل من اطمك على خدك الايمن فحول له الاخر ايضا. ومن اراد ان يخاصمك وياخذ ثوبك فاترك له الرداء ايضا. ومن سخرك ميلا واحدا فاذهب معه اثنتين. من سالك فاعطه ومن اراد ان يقترض منك فلا ترده" (مت 5: 38-42).

والسيد المسيح قدم نفسه مثالا للحب الاسمي كقول القديس بولس عنه "ربما لاجل الصالح يجسر احد ايضا ان يموت ولكن الله بين محبته لنا لانه ونحن بعد خطاة مات المسيح لاجلنا" (رو 5: 8). وعند الصليب طلب الصفح لصالبيه "يا ابتاه اغفر لهم لانهم لا يعلمون ماذا يفعلون" (لوقا 23 : 34).

"كان غريبا فعلا ان يرتفع صوت بالحب في عالم الكبرياء والطبقات، وان ينادي احد بالرحمة وسيف المظالم مسلط على الرؤوس، وان يشير احد الى السلام في عصر رهبوت روما وتحكمها، وان يبشر جرئ بملوك السموات في عصر يسوده امبراطور روما صاحب النفوذ والجاه والسلطان..."⁽¹⁾

(1) سنية قراءة - الرسائل الكبرى ص 284. القاهرة 6، 15.

وقد انعكس تعليمه على اتباعه فأرنا القديس استفانوس أول الشماسية والشهداء يطلب المغفرة من أجل الذين يرحمونهم ظلما "يا رب لا تقم لهم هذه الخطية" (اع 7).

وايضا جاء السيد المسيح ليعرف الانسان بالله، ليست المعرفة العقلانية البحتة التي كانت سائدة عند الكثير من اليهود، فهذه تترفع عنها الشياطين نفسها كقول القديس يعقوب "انت تؤمن ان الله واحد حسنا تفعل والشياطين يؤمنون ويقشعرون" (يع 2 : 19). بل ليعلم الناس انه من محبته اللانهائية تدرع كلمة الله بالناسوت ليتقرب من الإنسان. وهب له ان يقترب من الله ويتحاجج معه ويدعوه أباه وذلك من خلال حياة البر والقداسة. جاء ليحرر الانسان من الاثم والخطيئة "واما انا فاقول لكم ان كل من ينظر الى امرأة ليستهيها فقد زنى بها في قلبه" (مت 5 : 28).

جاء ليحرر الناس من الافكار الفلسفية الخاطئة فواجه الصدوقيون الذين لا يؤمنون بالقيامة بالقول وبالفعل معا فاقام الموتى مثل لعازر (يو 11 : 43) وابنة يائرس (يو 9 : 25). كما صحح المفاهيم الخاطئة عن الملكوت فقال لهم انه "في القيامة لا يزوجون ولا يتزوجون بل يكونون كملأكة الله في السماء" (مت 22 : 30).

وقال القديس بولس "لان ليس ملكوت الله اكلا وشربا بل هو بر وسلام وفرح في الروح القدس" (رو 14 : 17). كما انه جاء ليحرر الانسان من الذات والكبرياء "ومن اراد ان يصير فيكم اولا يكون للجميع عبدا" (مر 10 : 44). ومن الرياء "ومتى صليت فلا تكن كالمرائنين فانهم يحبون ان يصلوا قائمين في المجمع وفي زوايا الشوارع لكي يظهروا للناس الحق اقول لكم انهم قد استوفوا اجرهم. واما انت فمتى صليت فادخل الى مخدعك واغلق بابك وصل الى ابيك الذي في الخفاء فابوك الذي يرى في الخفاء يجازيك علانية. ومتى صمت فلا تكونوا عابسين كالمرائنين فانهم يغيرون وجوههم لكي يظهروا للناس صانمين الحق اقول لكم انهم قد استوفوا اجرهم. واما انت فمتى صمت فادهن راسك واغسل وجهك. لكي لا تظهر للناس صائما بل لابيك الذي في الخفاء فابوك الذي يرى في الخفاء يجازيك علانية" (مت 6). ومن البر الذاتي "لا تدينوا لكي لا تدانوا. لانكم بالدينونة التي بها تدينون تدانون وبالكيل الذي به تكيلون يكال لكم. ولماذا تنظر القذى الذي في عين اخيك واما الخشبة التي في عينك فلا تفطن لها. ام كيف تقول لـ اخيك دعني اخرج القذى من عينك وها الخشبة في عينك. يا مرائي اخرج اولا الخشبة من عينك وحينئذ تبصر جيدا ان تخرج القذى من عين اخيك" (مت 7) وضع السيد المسيح القاعدة الذهبية لكل قوانين العالم "فكل ما تريدون ان يفعل الناس بكم افعلوا هكذا انتم ايضا بهم لان هذا هو الناموس والانبياء" (مر 10 : 44).

جاء ليعلم الناس الوداعة والاتضاع فكان هو "لا يخاصم ولا يصيح ولا يسمع احد في الشوارع صوته قسبة مرضوضة لا يقصف وفتيلة مدخنة لا يطفئ حتى يخرج الحق الى النصره" (مت 12: 19). وليعطي الرجاء للقائطين والراحة للمتعبين "تعالوا الي يا جميع المتعبين والثقيلي الاحمال وانا اريحكم" (مت 11 : 28). والصفح للخاطئين⁽¹⁾.

ان ما ظنه الرومان في المسيح واتباعه من الضعف مما تأباه عقولهم وجبروتهم كان في حقيقة الأمر القوة الجبارة التي غيرت العالم وجعلت من الذناب حملانا وديعة. فبينما كانوا هم يغزون العالم كان الايمان به يغزو النفوس ويطهرها من الموبقات.

"كان اساس هذه الرسالة الجديدة المحبة، محبة الله ومحبة الانسان، والمحبة الواحدة تفترض الأخرى. والله نفسه محبة. وبالمحبة جعل المسيحيون الانسانية عائلة واحدة تحت ابوة واحدة. وهكذا وضعت المسيحية الاولى مثالا عالميا اعلى بخلاف المثل الاعلى الاقليمي الذي كان يسود في كل مكان. وكان اليونان والرومان يفكرون بالانسانية على اساس القومية، بينما المسيحيون السوريون كانوا اول من اعطى العالم نظرة عالمية فعالة. ولم تكن نظرتهم الى العالم بأنه كسب يجب الحرص عليه، وانما نظروا اليه كعبي. ومجتمعهم لم يكن له طموح دنيوي. وكانت الديانة في جميع تعاليمها تؤكد واجب تكريس الانسان نفسه لله بصورة لا تعرف الانانية وعلى خدمة الانسان وعلى الروحانية الداخلية عوضا عن المبالغة في الطقوس والمظاهر الخارجية... لم تتخذ ايا من العقائد الهلنستية المحبة كفلسفتها الاساسية. والرواقية وحدها حاولت السير في هذا الاتجاه ولم تعلم أية عقيدة سابقة بأن هناك الها قاديا يعتني حتى باحط افراد الجنس البشري... وكان الدين الجديد.. قادرا كما يبدوا على تلبية المطالب الروحية والفكرية والاجتماعية التي كان المتنورون غالبا يطلبونها من دياناتهم التقليدية حتى في كل مكان بدون ان ينجحوا في الحصول عليها"⁽²⁾

في بادئ الأمر نظر الرومان الى المسيحية كمذهب يهودي غامض وذلك لان السيد المسيح ظهر في وسطهم وانه كان المسيا الذي تحققت فيه نبؤات العهد القديم. وكذلك لان الرسل الاطهار بشروا به في وسط اخوانهم الذين في الشتات: في انطاكية ورومية وبلاد اليونان ومصر وغيرها.

(1) مت 9 : 2، مر 2 : 5، لو 5 : 23.

(2) فيليب حتي - تاريخ سورية ولبنان وفلسطين ص 364. دار الثقافة بيروت.

وعلى الرغم من ان الرومان كانوا على استعداد تام لاضافة عبادات جديدة لاي مجموع الهتهم حتى الى قلب العاصمة فكانت عندهم سماحة في هذا الامر تقوم على مبدأ عش ودع الآخرين يعيشون. ولكن اضطهاد الاباطرة للمسيحيين كانت له دوافعه فأولا ان المسيحية جاءت مناهضة للوثنية من جميع جوانبها. وثانيا ان دعوتها الى تنازل كلمة الله الى عالمنا الارضي وتدرعه بالجسد وموته على الصليب لم تكن – في بادئ الأمر – لترضي العقلية الرومانية التي لا تعترف الا بالقوة المادية. والابطال عندهم هم الذين يخوضون المعارك بالانتصار ويجعلون الشعوب تركع تحت اقدامهم. ودعت المسيحية الى المساواة بين السادة والعبيد الأمر الذي رفضه الرومان باعتبارهم سادة العالم ونسل الآلهة.

يضاف الى ذلك وشاية كهنة الأصنام بالمسيحيين ونسبة المآقي اليهم واصرار المسيحيين الأوائل على عدم التقريب للأصنام ورفض عبادة الاباطرة كل ذلك كان يحفز الاباطرة على اضطهادهم. ولكن زالت الاباطرة وزال مجدهم ، ودفنت معهم غطرتهم، وبقيت المسيحية ما بقي الدهر شاهدة على سمو التعاليم السماوية التي جاء بها المسيح – له كل المجد.

أثبتات الملوك

ملوك اشور [الفترة من 1196 إلى 610 ق.م]
 شلمنصر الثاني [1019-1030 ق.م].
 آشور نارارى الرابع [1013-1018 ق.م].
 آشور رابى الثاني [(1012-972 ق.م).
 أدد نيرارى الثاني [934-912 ق.م].
 توكولتى نينورتا الثانى [890-884 ق.م].
 آشور ناصر بال الثانى [883-859].
 شلمنصر الثالث [858-824 ق.م].
 شمشى أداد الخامس [823-811 ق.م].
 أداد نارارى الثالث [810-783 ق.م].
 شلمنصر الرابع [782-773 ق.م].
 آشور دان [772-755 ق.م].
 آشور نارارى الخامس [754-745 ق.م].
 تغلت فلاسر الثالث [744-727 ق.م].
 شلمنصر الخامس [726-22 ق.م].
 سرجون الثانى [721-705 ق.م].
 سنحاريب [704-681 ق.م].
 اسرحدون [680-669 ق.م].
 آشور باتيبيال [668-627 ق.م].
 آشور إيتيل – إيلانى [627-623].
 سن – شار – إيشكون [623-612].
 سقوط نينوى [612 ق.م]
 آشور أو بليت الثانى [611-609]
 الاستيلاء على حران [610 ق.م].

ملوك بابل:

الأسرة الكاشية: (1186-1158 ق.م)
 أسرة إيسن الثانية: (1158-1026 ق.م)
 أسرة بلاد البحر الثانية: (1025-1005 ق.م)
 أسرة بازى: (1004-985 ق.م)
 الأسرة العلامية: (984-979 ق.م).
 أسرة إى: (978-732 ق.م).
 الأسرة البابلية: (728-627 ق.م)
 الأسرة الكلدانية: (625 – 539 ق.م)
 نابو بولاسر [625-605 ق.م].
 نبوخذ نصر [604-562 ق.م].
 أويل مردوخ [561-560 ق.م].
 نرجليس [559-556 ق.م]
 لاباش مردوخ [556 ق.م]
 نابو نيد [555-539 ق.م].
 سقوط بابل [539 ق.م]

ملوك آرام دمشق

بار – هدد الأول [912-871 ق.م].
 هدد إدري (هدد عذر) [853-843].
 حزائيل [843-805/3].
 بار هدد الثانى [805/3 - ؟؟؟].
 رازيان [740-732].
 سقوط دمشق [732 ق.م].

ملوك بني اسرائيل

شاول [1000-1020 ق.م].

داود [1000-961 ق.م].

سليمان [960-931 ق.م].

(إنقسام المملكة)

ملوك اسرائيل

يربعام ابن ناباط [931-910 ق.م]

ناداب ابن يربعام [910-909 ق.م]

بعشا [909-886 ق.م].

أيلة ابن بعشا [886-885 ق.م]

زمرى (قائد) [اسبوع واحد]

عمرى (قائد) [885-874 ق.م]

زمرى القائد [875-868]

عمرى القائد [868-856]

آخاب ابن عمري [874-853 ق.م]

أخازيا ابن آخاب [853 ق.م]

يهورام ابن آخاب [852-841 ق.م]

ياهو ابن نمشي [841-814 ق.م]

يهور آحاز ابن ياهو [814-803 ق.م]

يهواش ابن ابن يهو آحاز [803-790 ق.م]

يربعام الثاني (قائد) [790-750 ق.م]

زكريا ابن يربعام [6 شهور].

شلوم ابن يابيش [شهر واحد].

منحيم بن جادي [750-741 ق.م]

فقحيا ابن منحيم [741-732 ق.م].

فتح ابن رمليا [740-732 ق.م]

هوشع ابن أيلة [731-722 ق.م].

سقوط السامرة [722 ق.م]

ملوك يهوذا

رحبعام [931-914 ق.م].

أبيام ابن رحبعام [914-912 ق.م].

آسا ابن أبيام [912-781 ق.م].

يهوشافاط ابن آسا [871-846 ق.م]

يهورام ابن يهوشافاط [846-841 ق.م]

أخزيا ابن يهورام [841 ق.م]

عتليا ام اخزيا [841-835 ق.م]

يواش بن أخزيا [835-802 ق.م]

أمصيا ابن يواش [802-776 ق.م]

عزريا ابن أمصيا [776-739 ق.م].

يوثام ابن عزريا [739-735 ق.م].

أحاز [734-719 ق.م].

حزقيا ابن أحاز [719-699 ق.م].

منسى ابن حزقيا [699-645 ق.م].

آمون ابن منسى [645-640 ق.م].

يوشيا بن أمون [640-609 ق.م].

يهواحاز بن يوشيا [ثلاثة أشهر].

يهوياقيم ابن يوشيا [609-598 ق.م].

متنيا (صدقيا) [597-587 ق.م].

سقوط اورشليم [587 ق.م]

الملوك السليوقيون

- 1- سليوقوس الأول نيكاتور (الناصر) احد قادة الاسكندر الأكبر [312-280 ق.م].
- 2- أنطيوخوس الأول سوتير (المنقذ) ابن سليوقوس الأول [261-280]
- 3- أنطوخوس الثاني ثيوس (المؤله) ابن أنطيوخوس الأول [247-261]
- 4- سليوقوس الثاني كاليينيكوس (الناصر العظيم) ابن أنطيوخوس الثاني [225-246]
- 5- أنطيوخوس هيراكس ابن سليوقوس الثاني [226-241]
- 6- سليوقوس الثالث سوتير ابن أنطيوخوس هيراكس [223-225]
- 7- أنطيوخوس الثالث ميجاس (الكبير) اخو سليوقوس الثالث [187-223]
- 8- سليوقوس الرابع فيلباتور (المحب لأبيه) ابن أنطيوخوس الثالث [175-187]
- 9- أنطيوخوس الرابع أبيفانوس (الظاهر) اخو سليوقس الرابع [163-175]
- 10- أنطيوخوس الخامس يوباتر (ابن ابيه) ابن أنطيوخوس الرابع [162-163]
- 11- ديمتريوس الأول سوتير [150- 162]
- 12- اسكندر بالاس الأول (مغتصب للعرش) [145-152]
- 13- أنطوخوس السادس ثيوس (المؤله) ابن اسكندر بالاس [142-145]
- 14- ديمتريوس الثاني نيكاتور ابن ديمتريوس الاول [125-127 ، 137-145]
- 15- تريفون مغتصب للعرش [137-142]
- 16- أنطيوخوس السابع (سيديتس) بن ديمتريوس الأول [127-138]
- 16- سلوقس الخامس نيكاتور ابن ديمتريوس الثاني [124-125]
- 17- اسكندر الثاني زابيناس (مغتصب للعرش) [122-126]
- 18- أنطيوخوس الثامن فيلوماتور (المحب لأمه) ابن ديمتريوس الثاني [96-125].
- 19- أنطيوخوس التاسع (سيزيكنوس) اخو أنطيوخوس الثامن [95-96].
- 20- سليوقوس السادس أبيفانوس ابن أنطيوخوس الثامن [93-96].
- 21- أنطيوخوس العاشر يوسيبوس (التقي) ابن سيزيكنوس [92-194].
- 22- أنطيوخوس الحادى عشر فيلادلفوس ابن أنطيوخوس الثامن [90-93].
- 23- فيليب الأول فيلا دلفوس ابن أنطيوخوس الثامن [83-93]
- 24- ديمتريوس الثالث (ثيوس) ابن أنطيوخوس الثامن [88-95].
- 25- أنطيوخوس الثانى عشر (ديونييسيوس) ابن أنطيوخوس الثامن [83].
- 26- أنطيوخوس الثالث عشر الأسويوس ابن أنطيوخوس العاشر [64-69].
- 27- فيليب الثاني فيلوروماتوس المحب للرومان (ابن فيليب الأول) [64-65].

المكابيون	الاباطرة الرومان
يهوذا [160-166 ق.م.].	1- يوليوس قيصر
يوناثان [143-160].	2- أوكتافيوس ⁽¹⁾ [38 ق.م.- 14 م]
سمعان [134-143].	3- طيباريوس قيصر ⁽²⁾ [14- 37 م]
يوحنا هركانوس [104-134].	4- جرمانيقوس ⁽³⁾ [37-41 م]
أرسطوبولس الأول [76-103]	5 - كلوديوس [41-54 م]
اسكندر حناوس [67-103].	6- جايوس كاليوجلا ⁽⁴⁾ [7- 41 م]
الكسندرا [67-76].	7- نيرون ⁽⁵⁾ (54-68 م).
أرسطوبولس الثاني [63-67].	8- فيتلسيوس
	9- فيسبسيان [أول يوليو 69-79 م].
	10- تيطس [79-81 م].
	11- دوميتيان [81-96 م].
	12- نيرفا [96-97 م].
	13- تراجان [98-117 م].
	14- هادريان [117-138 م].
	15- أنطونيوس بيوس [138-161 م].
	16- ماركوس أوريليوس [161-180 م].
	18- كومودوس [180-193 م].
	17- سبتيموس سيفيروس [193-211 م].
	20- كاراكلا [211-217 م]
	19- إلاجابالوس [218-222 م].
	20- الكسندر سيفيروس [222-235 م].
	21- مكسيميانوس [235-238 م].....

(1) ابن أخت يوليوس قيصر وربيبه أصبح إمبراطوراً عام 38 ق.م ونال لقب أغسطس عام 27 ق.م ومات سنة 14 م

(2) ابن ليفيا زوجة أغسطس أنجبته من زوجها السابق

(3) ابن دروسوس شقيق طيباريوس قيصر أنجبته له أنطونيا ابنة أنطونيوس الشهير من أكتافيا أخت أغسطس قيصر. تزوج من أجريينا (ابنة جوليا وأغريبا) وأنجب منها تسعة أبناء تعين حاكماً عاماً على الشرق سنة 17 م.

(4) حفيد أغسطس من ابنته جوليا

(5) ابن جايوس بالتبني

المصادر العربية والمترجمة

- 1- الكتاب المقدس
- 2- قاموس الكتاب المقدس
- 3- هيربرت لوكير - ملوك وملكات الكتاب المقدس (مترجم) القاهرة 2001.
- 4- فيليب حتى - تاريخ سوريا ولبنان وفلسطين - بيروت 1958.
- 5- ول ديورانت - قصة الحضارة. (مترجم) القاهرة 2001.
- 6- ل - ديلاپورت - بلاد ما بين النهرين. (مترجم) القاهرة 1997.
- 7- أوسابيوس القيصري - تاريخ الكنيسة - الطبعة الثانية، القاهرة 1979.
- 8- نيقولا جريمان - تاريخ مصر القديمة. (مترجم) القاهرة 1993.
- 9- جون إلدر - الأحجار تتكلم. (مترجم) ط2 القاهرة 200.
- 10- ج. كوننتو - الحضارة الفينيقية -. (مترجم) القاهرة 1997.
- 11- أ. د. جرنى - الحثيون. (مترجم) القاهرة 1997.
- 12- د. نجيب ميخائيل - مصر والشرق الأدنى القديم ج3/ ط3 / 1966.
- 13- د. احمد رحيم هبو - تاريخ الشرق القديم / صنعاء / 1993.
- 14- فراس السواح - الحدث التوراتي والشرق الأدنى القديم.
- 15- جواد بولس - شعوب الشرق الأدنى وحضارته ج1 بيروت 1993.
- 16- موسوعة الكتاب المقدس - دار منهل الحياة - لبنان 1993.
- 17- ابن العبري - تاريخ مختصر الدول، ط3 - دار المشرق بيروت 1992
- 18- كنت أز كنتشن - رمسيس الثاني (مترجم) القاهرة 1998.
- 19- د. محمد بيومي مهران - تاريخ مصر الفرعونية والشرق الأدنى القديم - 1980.
- 20- ج. ل. مايرز - فجر التاريخ - مركز كتب الشرق الاوسط 1962.
- 21- الأنبا بولا ، الكتاب المقدس والعلم، ج2 ، طنطا 2004.
- 22- روبرت بويد ، العلماء والكتاب المقدس (مترجم)، القاهرة 1960
- 23- ارنست بابلون - الآثار الشرقية - ترجمة مارون عيسى الخوري.
- 24- جون أ. هامرتين - تاريخ العالم
- 25- فريديريك ديليتش - بابل والكتاب المقدس (مترجم) ، دمشق 1987.
- 26- جيمس هنري بريستد - تاريخ الشرق القديم (مترجم) القاهرة 1969.
- 27- المطران يوسف الدبس - تاريخ سوريا - ج1 - المجلد الثاني - بيروت 1898.
- 28- د. عبد العزيز صالح - الشرق الأدنى القديم
- 29- جوستاف لويون - حضارة بابل وأشور - المطبعة العصرية الفجالة 1947.
- 30- د. أحمد فخري - مصر الفرعونية. ط6- القاهرة 1989.

- 31- د. مصطفى العبادى - مصر من الإسكندر الأكبر إلى الفتح العربى.
- 32- د. محمد صادق صبور - موجز تاريخ الحضارات.
- 33- مرجريت مرى - مصر ومجدها الغابر.
- 34- سليم حسن - مصر القديمة ج1. القاهرة 2000.
- 35- سليم حسن - مصر القديمة ج2. القاهرة 2000.
- 36- سليم حسن - مصر القديمة ج3. القاهرة 2000.
- 37- سليم حسن - مصر القديمة ج4. القاهرة 2000.
- 38- سليم حسن - مصر القديمة ج5. القاهرة 2001.
- 39- سليم حسن - مصر القديمة ج6. القاهرة 2001.
- 40- سليم حسن - مصر القديمة ج7. القاهرة 2001.
- 41- سليم حسن - مصر القديمة ج14. القاهرة 2001.
- 42- سليم حسن - مصر القديمة ج16. القاهرة 2001.
- 43- الأب متى المسكين - تاريخ إسرائيل. 2001.
- 44- يوسفوس - القمص انطونيوس الأنطوني.
- 45- الأسقف إيسيدوروس - الخريدة النفسية فى تاريخ الكنيسة. ج1.
- 46- الأسقف إيسيدوروس - المطالب النظرية فى المواضيع الإلهية.
- 47- أنيس فريجه - مرشد الطالبين.

أهم المصادر الأجنبية

- 1-JAMES B. PRITCHARD – THE ANCIENT NEAR EASTERN TEXTS – NEW JERSEY 1969.
- 2-JOHN D.CURRID – ANCIENT EGYPT AND THE OLD TESTAMENT
- 3-DR.J.SIMONS, THE GEOGRAPHICAL AND TOPOGRAPHICAL TEXTS OF THE OLD TESTAMENT .
- 4-RITISH MUSEUM - THE BABYLONIAN LEGENDS OF THE CREATION – TABLET I
- 5- THE SEVEN TABLES OF CREATION - LEONARD WILLIAM KING - LONDON 1902.
- 6- D. WINTON THOMAS , DOCUMENTS FROM OLD TESTAMENT TIMES , p.196.
- 7-JACQUES VICARI- LA TOUR DE BABEL
- 8-BOSSUET – DISCOURS SUR L’HISTOIRE UNIVERSELLE.
- 9-DANIEL JERMY SILVER – MOISE
- 10-DANIEL ROPS – HISTOIRE SAINTE.
- 11-SAMUEL NOAH KARMEL – L’HISTOIRE COMMENCE À SUMMER
- 12-JEAN BATTERO ET MARIE JOSYPHE – LA MESOPOTAMIE .
- 13-LE PROCHE ORIENT ASIATIQUE.
- 14-PAUL PETIT – HISTOIRE GÉNÉRALE DE L’EMPIRE ROMAIN TOM I.
- 15-CHRSTOPHER HOLLIS ET ROLAND BROWINRGG - LIEUX SAINTS.
- 16- MAURICE BAUCAILLE – MOISE ET PHARON.
- 17-MAURICE BAUCAILLE – LA BIBLE ET LA SCIENCE.
- 18-DELUGE IN LIGHT OF MODERN SCIENCE- William Denton - 1882

فهرس الموضوعات

الصحيفة	الموضوع
	 مقدمة:
8	 التكوين والأجيال الأولى
12	 التكوين والعلم
14	 آدم والسقوط
14	 الطوفان وتعمير الأرض
17	 أدلة حدوث الطوفان
20	 سفينة نوح
25	 تعمير الأرض
25	 أبناء نوح
28	 برج بابل
33	 إبراهيم والعبرانيون
41	 يوسف وفرعون
44	 موسي والخروج
44	 فرعون الخروج
58	 طريق الخروج بين التوراة والآثار
70	 العبرانيون وأرض كنعان
73	 يشوع والقضاة
77	 الشعوب التي ذكرت في الكتاب المقدس
77	 الأموريون
79	 الحثيون
81	 الحوريون، ومملكة ميتاني
83	 الآراميون
88	 الفينيقيون
91	 الفلسطينيين
93	 المؤابيون والعمونيون
96	 العيلاميون
97	 عصر الملوك

97	شاول (1020 ق.م)
99	الملك داود (1000 - 961 ق.م)
102	سليمان
105	قيام وسقوط مملكة إسرائيل
115	قيام وسقوط مملكة يهوذا
126	السبي البابلي
132	الامبراطوريات التي ذكرت في الكتاب المقدس
132	الإمبراطورية المصرية
140	الامبراطورية الآشورية
162	مملكة بابل الكلدانية
167	دانيال النبي وممالك العالم
171	الامبراطورية الفارسية
174	العودة من السبي
179	الإمبراطورية المقدونية
179	الأسكندر الأكبر
185	المملكة السلوقية
188	انطيوخوس الكبير
192	انطيوخوس الرابع والمقدسات
197	الهليستية والثورة المكابية
215	الامبراطورية الرومانية
222	هيرودس الكبير
228	اغسطس وولادة السيد المسيح
234	طيطاريوس قيصر وموت المسيح
241	كاليجولا والإضطهاد الديني
244	الامبراطور كلوديوس
249	نيرون وشهادة بطرس وبولس
250	فاسبسيان وتدمير اورشليم
252	رسالة المسيح

فى هذا الكتاب

- شرح للجانب التاريخى فى الكتاب المقدس .
- الاكتشافات الاثرية تؤكد ما جاء بالكتاب المقدس .
- أقوال المؤخين تصدق على ما جاء بكتب الوحى .
- التفسير الصحيح لنبوءات العهد القديم وفقا لأحداث التاريخ .
- الشعوب والممالك التى جاء ذكرها فى الكتاب المقدس .

